

تأليف أبي عبد الله
فيصل بن عبيد قاتر الحاسري
حفظه الله

معرفة النساء

دار الأمياني
الإمبكتورية

دار القبيبة
الإمبكتورية

مَوْعِظَاتُ الرِّسَالَةِ

تَأَلَّفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
فِيصَلُ بْنُ عَبْدِ قَائِدٍ الْحَاشِرِيِّ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

دارُ الأماناتِ
الإسلامية كندرية

دارُ القسمة
الإسلامية كندرية



اسم الكتاب: مواظب النساء
تأليف فضيلة الشيخ : فيصل الحاشدي
رقم الإيداع: ٩٩٨٥ / ٢٠٢١.

محفوظ
جميع الحقوق

نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٣٠ .
القياس: ٢٤X١٧.

تجهيزات فنية،
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف / يسري حسن .

٢٠٢١

الإدارة
دار الإيمان شارع خليل الخياط - مستشفى كامل - الإسكندرية . تليفاكس: ٥١٥٧٣٦٩ - ٥١١٦١٩١
المبيعات
دار الفنية شارع خليل الخياط - مستشفى كامل - الإسكندرية . تليفاكس: ٥١٥٧٣٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail
dar_aleman@hotmail.com

فرعنا في الجمهورية اليمنية

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبا - شارع وداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٢٠٩٩٣٥

فَلْيَسِّرْ لَهُ سُبُلَ الْإِسْلَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد:

فيا الله ما أحوج النساء للمواعظ؛ لأنهنَّ في الغالب أَلْيَنُ أَفئدةً وَأَرْقُ قلوبًا وأسرعُ انقيادًا للخير أو للشرِّ، فهنَّ قَلْبُ المجتمعِ النابضِ إذا صَلَحَ القَلْبُ صَلَحَ المجتمعُ وإذا فَسَدَ فَسَدَ المجتمعُ، ولقد أدركَ ذلك أعداءُ المِلَّةِ على اختلافِ مشربهم فَسَعَوْا جَاهِدِينَ لِإِفْسَادِهِنَّ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نَوْرَهُ.

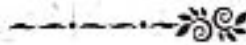
وكما أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّي الْأَرْضَ الْجَذِبَةَ الْهَامِدَةَ، وَيُلَيِّنُهَا بِالْغَيْثِ. وَيَجْعَلُ فِيهَا الْحَرَكََةَ وَالْحَيَوِيَّةَ وَالْحَيَاةَ الْبَهِيجَةَ، فَتَنْبُتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ:
أَوْ لَمْ تُبْصِرُوا إِلَى الْأَرْضِ تُسْقَى ثُمَّ تَهْتَزُّ بِالنَّبَاتِ الْعَمِيمِ
فكَذَلِكَ الْمَوَاعِظُ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَنَمَاءُ الْإِيمَانِ وَزَكَاةُ النَّفْسِ وَسَبِيلُ السَّعَادَةِ
وَالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالْقُلُوبُ الْعَامِرَةُ بِالْإِيمَانِ تَهْتَزُّ لِلْمَوَاعِظِ اهْتِزَازَ الْأَرْضِ الْمَجْدِبَةِ لِلسَّمَاءِ الْمَاطِرَةِ.
تَهْتَزُّ مِثْلَ اهْتِزَازِ الْغُصْنِ حَرَكَهَ مَرُورِ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَخَّاحٍ

وبينَ يديكَ مواظبةٌ للنساءِ كتبْتُها لبعضِ بناتي - أصلحهنَّ اللهُ - يَسْتَفِذْنَ وَيُفِذْنَ
غيرهنَّ (١).

قد وثَّقتُ كتابي هذا اقرأ منه على أهلِكَ كلَّ أسبوعٍ موعظةً وليقرأ منه أهلُكَ أختُكَ
أُمُّكَ على النساءِ في مساجِدِ النساءِ أو مجالِسِهِنَّ واجتماعاتِهِنَّ في البيوتِ أو عندَ
اللقاءاتِ العائلية، فهذا - لَعَمْرِي - من القولِ الحَسَنِ ولا قولَ أَحْسَنُ منه: ﴿وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

ختامًا، أسألُ اللهَ العظيمَ بأسمائِهِ الحُسْنَى وصفاتِهِ العليا أَنْ يَجْعَلَ كتابي كُلَّهَا
خالصةً لوجهِهِ الكريمِ، وأنْ يَنْفَعَنِي بها وَكُلُّ مَنْ قَرَأَهَا أو سَمِعَهَا، ويجعلَ فيها البركةَ
والقبولَ إِنَّ رَبِّي سَمِيعٌ مُجِيبٌ.



(١) من بابِ التَّحَدُّثِ بنعمةِ اللهِ رَزَقَنِي اللهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - من الإناثِ ثمانَ وَهُنَّ: أُمَةُ اللهِ، وَأُمَةُ
الرَّحْمَنِ، وَأُمَةُ الرَّحِيمِ، وَأُمَةُ الْخَالِقِ، وَأُمَةُ الْمَلِكِ، وَأُمَةُ الْعَزِيزِ، وَأُمَةُ الْإِلَهِ، وَأُمَةُ الْكَرِيمِ.
ومن الذكورِ سبعةٌ وَهُنَّ: عَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ الرَّحِيمِ، وَعَبْدُ الْخَالِقِ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ،
وعَبْدُ الْعَزِيزِ، وَعَبْدُ الْإِلَهِ، وَحُسْنُ التَّسْمِيَةِ رِزْقٌ وَقُضْلٌ مِنَ اللهِ - وَلَهُ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ - وليسَ مِنَّا
شيءٌ، أسألُ اللهَ ﷻ أَنْ يُنِيتَ أولادي وأولادَ المسلمين جميعًا نباتًا حسنًا، وَيُفَقِّهَهُمْ في الدينِ،
ويجعلَهُمْ مُبَارَكِينَ أينما كانوا.

مراتبُ الإسلامِ

المرتبة الأولى: الشهادتان

١- شهادة أن لا إله إلا الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] عمران: ١٠٢. ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] النساء: ١. ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ^(١).

أما بعدُ فحديثي اليومَ سيكونُ عن كلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، والعروة.

(١) فائدة: ذَكَرَ الإمامُ الألبانيُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ تَرَكَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ - خُطْبَةُ الْحَاجَةِ - مِنْ أَسْبَابِ عَدَمِ حُصُولِ الْفَائِدَةِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الدَّرُوسِ وَالْمَحَاضِرَاتِ [وَالْكِتَابِ]، مَعَ جِزْءِ النَّبِيِّ ﷺ الْبَالِغِ عَلَى تَعْلِيمِهِ أَصْحَابِهِ إِنَّا هَا، وَاسْتَدَلَّ الإمامُ الألبانيُّ عَلَى ذَلِكَ بِحَدِيثٍ: «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدٌ؛ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ - أَيِ: الْمَقْطُوعَةِ -»، وَبَيَّنَ بِتَفْصِيلٍ أَنَّ الْمَرَادَ بِالتَّشْهَدِ هُنَا هُوَ: خُطْبَةُ الْحَاجَةِ. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» تحت الحديث رقم (١٦٩).

ومعنى لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

ولكلمة التوحيد ركنان:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: النفي: وهو نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى من جميع المخلوقات كائناتاً مَنْ كان.

الرُّكْنُ الثَّانِي: الإثبات: وهو إثبات الإلهية لله وحده دون كل ما سواه، فهو الإله الحق وما سواه من الآلهة باطل^(١)، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

وكلمة التوحيد لا تنفع قائلها إلا إذا عمل بشروطها، وهي ثمانية شروط نظمها بعضهم بقوله:

عِلْمٌ، يَقِينٌ، وَإِخْلَاصٌ، وَصِدْقٌ مَعَ مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا
وَزَيْدٌ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِثْلَكَ بِمَا سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَنْدَادِ قَدْ أَلِهَا

الشرط الأول: العلمُ بمعناها المنافي للجهل وتقدّم أن معناها: لا معبود بحق إلا الله تعالى، فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله - تعالى - كلها باطلة.

قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

(١) «تحفة الإخوان» ابن باز (٢٤).

وفي «صحيح مسلم»^(١) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

الشرط الثاني: اليقينُ المنافي للشك، فلا بُدَّ في حَقِّ قائلها أَنْ يكونَ على يقينٍ بأنَّ الله تعالى هو المعبودُ بِحَقٍّ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا يُغْنِي فِيهِ إِلَّا عِلْمُ الْيَقِينِ لَا عِلْمُ الظَّنِّ أَوْ التَّوَقُّفِ وَالتَّرَدُّدِ، فَكَيْفَ إِذَا دَخَلَهُ الشَّكُّ؟!، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحُجُرَاتُ: ١٥].

وفي «صحيح مسلم»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) - فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبْ بِنَعْلَيْ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ».

فَاشْتَرَطَ فِي دُخُولِ قَائِلِهَا الْجَنَّةَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَيَقِنًا بِهَا قَلْبُهُ غَيْرَ شَاكٍ فِيهَا، وَإِذَا انْتَفَى الشَّرْطُ انْتَفَى الْمَشْرُوطُ^(٤).

الشرط الثالث: القبولُ المنافي للردِّ، فَيَقْبَلُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ جَمِيعَ مَا ذَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، وَيُؤْمِنُ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَعَدْلٌ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنِ الْمَشْرِكِينَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧).

(٣) رواه مسلم (٣١).

(٤) انظر: معارج القبول، (٢/ ٤٢٠).

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا تَارِكُونَ آلَ الْهَيْثِنَا الشَّاعِرِ تَجْنُونَ ﴿٣٦﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

فَمَنْ نَطَقَ بهذه الكلمة ولم يَقْبَلْ بعض ما دَلَّت عليه إِمَّا كِبَرًا أو حَسَدًا أو لَغِيْرَ ذلك، فإنه لا يستفيد من هذه الكلمة شيئًا.

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للترك، فينقاد لما دَلَّت عليه، وَيَعْبُدُ الله وَخَدُّهُ، وَيَعْمَلُ بِشَرِيعَتِهِ، وَيُؤْمِنُ بِهَا وَيَعْتَقِدُ أَنَّهَا الْحَقُّ، وَلَعَلَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبُولِ: أَنَّ الْانْقِيَادَ هُوَ الْاِتِّبَاعُ بِالْأَفْعَالِ وَالْقَبُولَ إِظْهَارُ صِحَّةٍ مَعْنَى ذَلِكَ بِالْقَوْلِ...

الشرط الخامس: الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ وهو أن يقولها وهو صادق في ذلك صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ يَطَابِقُ قَلْبُهُ لِسَانُهُ وَلِسَانُهُ قَلْبُهُ؛ فَإِنْ قَالَهَا بِاللِّسَانِ فَقَطْ وَقَلْبُهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَعْنَاهَا فَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُنَافِقِينَ كما قال ﷺ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١﴾.

وفي «الصحيحين» من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١)، فَاشْتَرَطَ فِي النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ.

الشرط السادس: الإخلاصُ المنافي لِلشُّرْكِ وهو تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشُّرْكِ فَيُخْلِصُ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ. وَإِذَا صَرَفَ شَيْئًا مِنْهَا لِغَيْرِ اللَّهِ: مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيِّ، أَوْ مَلِكٍ، أَوْ صَنْمٍ، أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَنَقَضَ هَذَا الشَّرْطَ وَهُوَ شَرْطُ الْإِخْلَاصِ.

(١) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١) ﴿إِلَّا إِلَهَ الَّذِي خَالِصُ﴾ [الزمر: ٢٤]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ جَرِّصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ» (١).

الشرط السابع: المَحَبَّةُ الْمَنَافِيَّةُ لِلْبُغْضِ، فَيُحِبُّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ ﷻ، فَيُحِبُّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ، وَيُحِبُّ مَا افْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَلَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرَقَدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفي «صحيح البخاري» (٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُعَذَّبَ فِي النَّارِ».

وَإِذَا أَحَبَّ الْعَبْدُ اللَّهَ ﷻ فَإِنَّهُ يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا أَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُ، فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الجامع» (٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

(١) رواه البخاري: (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٨١).

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

شَرُطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تَوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلَا عِصْيَانٍ
فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلَا فِكَ مَا يُحِبُّ فَانْتَ ذُو بَهْتَانٍ
أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي حُبَّالَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ
وَكَذَا تُعَادِي جَاهِذَا أَحِبَّابَهُ أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ (١)

الشَّرْطُ الثَّامِنُ: الْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُوَ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَيَعْتَقِدَ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛ فَطَّاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللَّهِ» (٢).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حُرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَا يَرْضَى بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِينَ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ: كَالْأَنْبِيَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهُمْ لَيَسُوا بِطَوَاغِيتَ، وَإِنَّمَا الطَّاغُوتُ هُوَ الشَّيْطَانُ الَّذِي دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِمْ وَزَيَّنَهَا لِلنَّاسِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَدَلَّةِ عَلَى وَجوبِ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ وَجَمِيعِ مَا يُعْبَدُ مِنْ

(١) انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم للدكتور محمد خليل الهراس، (١٣/٢).

(٢) أعلام الموقعين (١/٤٠).

(٣) رواه مسلم (٤٠).

دُونِ اللَّهِ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِلْكَفَّارِ: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٦) إِلَّا الَّذِي
فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي (٧) [الزخرف: ٢٦-٢٧]، فَاسْتَشْنَى مِنَ الْمَعْبُودِينَ رَبَّهُ، وَذَكَرَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ -
أَنَّ هَذِهِ الْبِرَاءَةُ وَهَذِهِ الْمَوَالَاةُ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي
عَقِيدِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٨) [الزخرف: ٢٨]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ
وَالْمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةً مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلَا الْإِقْرَارَ بِذَلِكَ، بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو
إِلَّا اللَّهَ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لَا يَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ حَتَّى يُضَيَّفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفْرِ بِمَا
يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرُمِ مَالُهُ وَدَمُهُ، فَيَأْخُذُ مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا
وَأَجْلَهَا، وَيَأْخُذُ مِنْ بَيَانِ مَا أَوْضَحَهُ، وَحِجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازَعِ (١).

اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا. أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ
إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا
يُسْتَجَابُ لَهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرِ
الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْمَمَاتِ، وَثَبَّتْنَا وَثَقَّلَ مَوَازِينَنَا، وَحَقَّقْ إِيْمَانَنَا وَارْقَعْ
دَرَجَاتِنَا، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِنَا، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِنَا، وَنَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرَنَا، وَتَضَعِ وَزْرَنَا، وَتُصْلِحَ أُمُورَنَا، وَتُطَهِّرَ قُلُوبَنَا،
وَتُحَصِّنَ فُرُوجَنَا، وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا، وَتَغْفِرَ ذُنُوبَنَا.



(١) «فَتْحُ الْمَجِيدِ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ آلِ الشَّيْخِ (ص ٨١).

٢- شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ فحديثي اليوم عن شهادة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

فَمِنْ مَعْلُومٍ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَقْبُولِ الصَّحِيحِ إِلَّا إِذَا شَهِدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ وَلَوَازِمِ وَضُرُورَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، طَاعَةُ اللَّهِ فِي الْاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ فَهَذِهِ مُتَضَمِّنَةٌ لِهَذِهِ بَلْ حَتَّى أَنَّ شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا تَسْتَلْزِمُ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ الْآخَرَى، فَعَلَى هَذَا نَقُولُ: إِنَّ هَذَا مُفَسَّرٌ بِذَاكَ، فَلَا يُتَوَقَّعُ بَلْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَوْ يَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَيَدَّعِي الْإِسْلَامَ إِذَا لَمْ يَشْهَدْ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ بَلْ هُوَ كَافِرٌ حَالِلُ الدِّمِّ.

ومعنى محمد رسول الله ﷺ:

هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطي لقول اللسان بأنَّ محمدًا عبد الله ورسوله إلى كافة الناس: إنَّسِهِمْ وَجَنَّهُمْ، شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فيجبُ تصديقه في جميع ما أخبر به من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحلَّ من حلالٍ وحَرَّمَ من حرامٍ، والامتثال والانقياد لما أمَرَ، والكفُّ والانتهاؤ عما نهى عنه. وإتباع شريعته، والتزام سُنَّته مع الرضا بما قاله والتسليم له.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمَرَ، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبَدَ الله إلا بما شرع»^(١).

فيجبُ الإيمانُ بشريعته ﷺ، والانقيادُ لها: قولًا، وعملاً، واعتقادًا: من الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورُسُلِهِ، وبالْيَوْمِ الآخِرِ، وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، والقيامِ الكاملِ بأركانِ الإسلام: من شهادة، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحجٍّ، وغير ذلك مما شرع الله على يده ﷺ كالإحسانِ بأنواعِهِ^(٢).

ومن مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله معرفته ﷺ وهذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يجبُ على كُلِّ مسلمٍ معرفتها وهي: معرفة العبدِ ربَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ محمدًا ﷺ^(٣). وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب، والعرب من ذُرِّيَةِ إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى

(١) الأصول الثلاثة مع حاشيتها لابن القاسم، ص (٥٧).

(٢) انظر: مجموع فتاوى العلامة ابن باز، (١/١٢، و ١٤).

(٣) الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

نبيُّنا أفضلُ الصلاة والسلام، وله من العُمُر ثلاث وستون سنةً، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولًا، نُبِّيَ به (اقرأ) وأُرْسِلَ بالْمُذَنَّبِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ مِثْلَ: الزَّكَاةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَذَانِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا تُوَفِّيَ- صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَدِينُهُ بَاقٍ وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا ذَلِكَ أُمَّتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرُهَا مِنْهُ، وَهُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ^(١).

وَتَخَصَّلُ مَعْرِفَتُهُ ﷺ بِدِرَاسَةِ حَيَاتِهِ^(٢)، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -تَعَالَى-، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ ﷺ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَرِيدُ أَنْ يَزِدَادَ مَعْرِفَةَ نَبِيِّهِ وَإِيمَانًا بِهِ أَنْ يَطَالِعَ مِنْ سِيرَتِهِ مَا تَيَسَّرَ: فِي حَرْبِهِ وَسَلْمِهِ، وَشِدَّتِهِ وَرَخَائِهِ، وَسَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَلْقَاهُ وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا^(٣).

(١) الأصول الثلاثة، لمحمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- ص (٧٦، ٧٧).

(٢) انظر: كتابي العَسَلُ المصْفَى من سيرة النبي المصطفى ﷺ ففيه ما يَمْلَأُ الصَّدْرَ وَالنَّحْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٣) انظر: فتاوى العلامة محمد بن صالح العثيمين، (١/ ٣٩).

ومن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ معرفة مُعْجَزَاتِهِ التي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ، والعَهْدُ بهذه المعجزات قريب، وناقِلُوها أَصْدَقُ الخَلْقِ وَأَبْرَهُمْ، وَنَقْلُهَا ثَابِتٌ بِالتَّوَاتُرِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَأَعْظَمُهَا مُعْجَزَةُ الْقُرْآنِ، لَمْ يَتَغَيَّرْ وَلَمْ يَتَبَدَّلْ مِنْهُ شَيْءٌ، بَلْ كَأَنَّهُ مُنْزَلُ الْآنَ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ يَقَعُ كُلُّ وَقْتٍ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ عَيَانًا، وَقَدْ عَجَزَ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨) ﴿[الإسراء: ٨٨]

وَلَا يُمَكِّنُ لِيَهُودِيٍّ أَنْ يُؤْمِنَ بِنَبْوَةِ مُوسَى ﷺ إِنْ لَمْ يُؤْمِنَ بِنَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا يُمَكِّنُ لِنَصْرَانِيٍّ أَنْ يَقَرَّ بِنَبْوَةِ الْمَسِيحِ ﷺ إِلَّا بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِنَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ مَنْ كَفَرَ بِنَبْوَةِ نَبِيٍّ وَاحِدٍ فَقَدْ كَفَرَ بِالْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، وَلَمْ يَنْفَعَهُ إِيمَانُهُ بِبَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٥١) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٥٢) ﴿[النساء: ١٥٠-١٥٢]

وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْكِتَابِ شَهَادَةُ الْمُسْلِمِينَ بِنَبْوَةِ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ آمَنُوا بِهِمَا عَلَى يَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ إِيمَانُهُمَا بِهِمَا مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، فَلَوْلَا مَا عَرَفْنَا نَبَوَّتَهُمَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِأَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ مَا يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِهِمْ؛ فَلَوْلَا الْقُرْآنُ وَمُحَمَّدٌ ﷺ مَا عَرَفْنَا شَيْئًا مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ وَكِتَابُهُ هُوَ الَّذِي قَرَّرَ نَبْوَةَ مُوسَى وَعِيسَى، لَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، بَلْ نَفْسُ ظَهْوَرِهِ، وَمَجِيئُهُ تَصْدِيقًا لِنَبَوَّتِهِمَا؛ فَإِنَّهُمَا أَخْبَرَا بِظَهْوَرِهِ، وَبَشَّرَا بِظَهْوَرِهِ: ﴿وَمُبَشِّرًا رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فَلَمَّا بُعِثَ كَانَ بَعَثُهُ تَصْدِيقًا لَهُمَا، قَالَ تَعَالَى عَنْ

محمد ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧) ﴿[الصافات: ٣٧].

فمجيئته تصديقٌ لهما من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئته ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبوتهم، ولو كان كاذباً لم يصدق من قبله، كما يفعل أعداء الأنبياء^(١).

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوه: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٤) ﴿[البقرة: ٩٤]، ولم يجسر أحدٌ منهم على ذلك - مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته - لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كُتُبهم، وصدقهم فيما يُخبرهم به لَسَأَلُوا اللَّهَ الْمَوْتَ لَأَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَكْذَبُ، منهم أو من المسلمين على وجه المُبَاهَلَةِ^(٢)، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ الْذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦) ﴿وَلَا يَمْنُنَوهُ أَبَدًا إِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٧) ﴿[الجمعة: ٧].

ومن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله تصديقه فيما أتى به قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمَرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ (١٣) ﴿[الفتح: ١٣]، وفي «صحيح مسلم»^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

(١) انظر: ذرة تعارض العقل والنقل، ٥/ ٧٨-٨٣، ودقائق التفسير لابن تيمية، (٤/ ٣٤)، وإغاثة

اللفهان لابن القيم، (٢/ ٣٥١، ٣٥٠)، وهداية الحيارى، (٦٣٥).

(٢) انظر: ذرة تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ٧/ ٩٩، وتفسير ابن كثير، (١/ ١٢٩، ١٢٨)، وتفسير

السعدي، (١/ ١١٤).

(٣) رواه مسلم (٢١).

والإيمان به ﷺ هو تصديقُ نبوته، وأنَّ الله أَرْسَلَهُ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقةُ تصديق القلبِ بذلك شهادةَ اللسان، بأنَّه رسولُ الله، فإذا اجتمعَ التصديقُ به بالقلبِ والنطقُ بالشهادةِ باللسان، ثم تطبیقُ ذلك بالعملِ بما جاء به ثمَّ الإيمانُ به ﷺ (١).

ومن مقتضى شهادة أن محمداً رسولُ الله الإيمانُ بعمومِ رسالته ﷺ وختمها لجميعِ النبوات.

فَيَجِبُ الإيمانُ أنه رسولُ الله إلى جميعِ الخلق: إِنْسِهِمْ وَجَنَّتِهِمْ، عَرَبِيَّهُمْ وَعَجَمِيَّهُمْ، كِتَابِيَّهُمْ وَمَجُوسِيَّهُمْ، رُئَسِيَّهُمْ وَمُرُؤُسِيَّهُمْ، وأنه لا طريقَ إلى الله ﷻ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا بِمَتَابَعَتِهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، حتى لو أدركَهُ موسى وعيسى، وغيرُهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، لوجب عليهم اتباعُهُ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ [آل عمران: ٨٢].

ولهذا جاء في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ (٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

وعمومُ رسالته ﷺ لجميعِ الإنسِ والجنِّ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ من بَعَثْتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وكونُها خاتمةَ الرسالات، يقضي ويدلُّ دلالةً قاطعةً على أَنَّ النبوةَ قد انقطعتْ بانقطاعِ الْوَحْيِ بَعْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا مُصَدِّرَ لِلتَّشْرِيعِ وَالتَّعْبِيدِ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ - تعالى -

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاظمي عياض، (٢/ ٥٣٩).

(٢) حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٣٣٨) وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ (١٥٨٩).

وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته، وإتباع ما جاء به، وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

والإشارة في قوله ﷺ: (هذه الأمة) لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهي كُلُّ مَنْ كَانَ فِي زَمَانِهِ وَمَنْ جَاءَ أَوْ سَيَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا أُرْسِلَ خَاتَمًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَرِسَالَتُهُ عَامَةٌ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَأَمَّتُهُ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي وَقْتِهِ، وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وإنما خَصَّ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمَا أَشَدُّ النَّاسِ عَدُوَّةً لِلْإِسْلَامِ، وَلِأَنَّهُمَا صَاحِبَا كِتَابٍ.. وَإِذَا كَانَ صَاحِبُ الْكِتَابِ مَأْمُورًا بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعَمُومُهَا وَشُمُولُهَا لَجَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٠٩) ﴿[الأنعام: ١١٤].

اللَّهُمَّ ااقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ اليَقِينِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا. وَتَمَتُّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا. وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

(١) رواه مسلم (١٥٣).

نواقضُ الشَّهادَتَيْنِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿[عمران: ١٧٢]﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿[النساء: ١]﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ: فحديثي اليوم عن نواقضِ كلمةِ التوحيدِ

ونواقضُ كلمةِ التوحيدِ هي نَفْسُ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ الْعَشْرِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ.

ومعنى نواقضِ الإسلامِ: وهي مُفْسِدَاتُهُ وَمُبْطِلَاتُهُ، الَّتِي مَنْ فَعَلَ نَاقِضًا مِنْهَا خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ.

فمن العلماء مَنْ أَوْصَلَهَا إِلَى أَرْبَعَمِائَةٍ نَاقِضٍ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْعَشْرَةَ مِنْ أَعْظَمِهَا خَطَرًا، وَأَكْثَرَهَا انْتِشَارًا بَيْنَ النَّاسِ، (وهي تُعْتَبَرُ جَوَامِعَ لِأَسْبَابِ الرَّدَّةِ).

الناقض الأول: الشُّركُ بالله، الشرك وهو تسويةٌ غيرُ الله بالله في شيءٍ من خصائصِ الله، قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

والشرك أعظمُ ذنبٍ عُصِيَّ بِهِ اللهُ -تعالى- وهو أشدُّ نواقضِ الإسلامِ جُرْماً، وقد أَخَذَ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يُغْفِرَ لِلْمُشْرِكِ شِرْكُهُ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ، فلا يُكْفَرُ الشُّركُ شيءٌ من أنواعِ المُكْفَرَاتِ المعروفةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ المُشْرِكُ مِنْ شِرْكِهِ، ولذا قال اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وهو الظلمُ العظيم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وفي «الصحيحين»^(١) عن عبدِ اللهِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لِقْمَانُ لَابْنِهِ: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وصاحبُ الشُّركِ محرمٌ عليه الجنةُ ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومُخْبِطُ جَمِيعِ عَمَلِهِ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والعملُ فِي الْآيَةِ يَشْمَلُ جَمِيعَ عَمَلِ الْعَبْدِ، وَلَا يُخْبِطُ جَمِيعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ذَنْبُ سَوَى الشُّركِ الْأَكْبَرِ.

(١) البُخَارِيُّ (٦٩٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٢٤).

والمشرك حلالُ الدِّمِّ والمالِ إلا ما استثناهُ الشَّرْعُ كأهلِ الذِّمَّةِ والعَهْدِ: ﴿فَأَقْضُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]

وذهب العلامةُ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى أَنَّ الشَّرْكَ نوعانِ:

١- شركٌ أكبرُ.

٢- شركٌ أصغرُ.

والشركُ الأكبرُ يناقِضُ أَصْلَ التَّوْحِيدِ، وَيَشْمَلُ الشَّرْكَ فِي الرِّبَوِيَّةِ وَفِي الإِلَهِيَّةِ، وَفِي
الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَلَكِنَّ الشَّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى الْأَمَمِ، قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

وَحُكْمُ الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ: مَخْرُجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، مُخَلَّدٌ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ، إِنْ لَقِيَ اللَّهَ غَيْرَ
تَائِبٍ مِنْ شِرْكِهِ، وَهُوَ صَرَفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ الْخَالِقِ ﷻ، كَالذَّبْحِ لِغَيْرِ
اللَّهِ، لِأَهْلِ الْقُبُورِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَوْ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، رَغْبَةً إِلَيْهِمْ أَوْ رَهْبَةً
مِنْهُمْ، وَالْخَوْفُ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ وَالْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ أَنْ يُؤْذَوْهُ وَيُضْرَوْهُ، وَرَجَاءٌ غَيْرِ اللَّهِ
فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ مِنْ كَشْفِ الضَّرِّ، وَجَلْبِ النَّفْعِ، وَهَذَا مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ فِي هَذَا الْوَقْتِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يُوسُف: ١٨].

النوع الثاني: الشرك الأصغرُ:

وهو ما وَرَدَ فِي الشَّرْعِ أَنَّهُ شِرْكٌ وَلَمْ يَصِلْ الشَّرْكَ الْأَكْبَرُ، وَلَا يَخْرُجُ مَرْتَكِبُهُ مِنَ
الْإِسْلَامِ لَكِنَّهُ يَنْقُضُ تَوْحِيدَهُ وَهُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ.

والناقضُ الثاني من نواقضِ شهادةِ التوحيد: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ؛ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ كَفَرَ إِجْمَاعًا. وهذا الناقض هو الذي وَقَعَ فِيهِ مُشْرِكُو قَرِيشٍ، حَيْثُ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ وَسَائِطَ تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، مَعَ إِيْمَانِهِمْ بِرَبوبِيَةِ اللَّهِ، قَالَ -تعالى- حَاكِيًا عَنْهُمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]، وَقَالَ ﷺ ﴿وَنَعْبُدُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

والناقضُ الثالثُ من نواقضِ كلمةِ التوحيد: مَنْ لَمْ يُكْفَرْ الْمَشْرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كُفْرًا.

وَمَنْ حَكَّمَ اللَّهُ بِكُفْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ يَجِبُ الْقَطْعُ بِكُفْرِهِمْ وَهَذَا مِنْ لَوَازِمِ التَّوْحِيدِ، فَالتَّوْحِيدُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَمْرَيْنِ:

الأول: الكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ.

الثاني: الإِيْمَانُ بِاللَّهِ.

وهذا هو معنى كلمةِ التوحيد (لا إله إلا الله) فمعناها: لا معبودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ. فَقَوْلُنَا (لا إله) نَفْيٌ لِأَحَدٍ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، وَكُفْرٌ بِالطَّاغُوتِ، وَقَوْلُنَا (إلا الله) إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَاسْتِثْنَاءٌ لِعِبَادَتِهِ وَخُدُّهُ.

قَالَ -تعالى- مُبَيِّنًا هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فَمَنْ لَمْ يُكْفَرْ الْمَشْرِكِينَ أَوْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ تَوَقَّفَ فِي كُفْرِهِمْ مَعَ وُضُوحِ حَالِهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ وَبِكِتَابِهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُكَذِّبٌ لِعُمُومِ رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ،

مُرْتَكِبٌ نَاقِضًا مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِ مِنَ الْجَزْمِ وَاعْتِقَادِ كُفْرِهِمْ.

قال القاضي رحمه الله^(١): (ولهذا نُكْفِّرُ مَنْ دَانَ بِغَيْرِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمِلَلِ، أَوْ وَقَفَ فِيهِمْ، أَوْ شَكَّ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الْإِسْلَامَ، وَاعْتَقَدَ إِبْطَالَ كُلِّ مَذْهَبٍ سِوَاهُ، فَهُوَ كَافِرٌ بِإِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ).

وَالنَّاقِضُ الرَّابِعُ مِنْ نَوَاقِضِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ هَذِي غَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَذِي، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، وَكَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاعِيتِ عَلَى حُكْمِهِ).

والذي يجبُ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمُسْلِمُ أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَفِعْلَهُ وَتَقْرِيرُهُ وَخَبْرُهُ مِنْ اللَّهِ - تَعَالَى -، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (١)﴾ [النجم: ٢-٤] فِكِلَاهُمَا مِنْ وَحْيِ اللَّهِ، وَسُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ خَيْرٌ هَذِي كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا: «خَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ».

وَالنَّاقِضُ الْخَامِسُ مِنْ نَوَاقِضِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ كُفْرًا.

قال الله - تَعَالَى -: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالُهُمْ (٩)﴾ [مُحَمَّد: ٨-٩]، فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ كُفَارًا بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ، وَلِكُونِ الْكُفْرِ لَا يَبْقَى مَعَهُ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ شَيْءٌ فَإِنَّهُ يُحْبَطُ بِالْكُلِّيَّةِ قَالَ: ﴿فَاحْبَطَ أَعْمَالُهُمْ﴾.

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/١٧١).

(٢) رواه مسلم (٧٦٨).

والناقض السادس من نواقض كلمة التوحيد: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه، أو عقابه، كفر. والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّهُمْ كَانُوا فِي جُرْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [النور: ٦٦-٦٧].

وقد توعد الله من اتخذ آياته هزواً ولعباً بالعذاب المهيّن، فقال: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١﴾ ﴾ [البقرة: ١٩].

وأعداد العذاب المهيّن في القرآن لم يأت إلا في حق الكفرة والمُشركين.
وآيات الله دلائله وحججه وأمره ونهيّه.

قال ابن جرّم^(١): (صَحَّ بالنص أن كُلَّ مَنْ استهزأ بالله -تعالى-، أو بِمَلَكٍ من الملائكة، أو بِنَبِيِّ من الأنبياء ﷺ، أو بِآيَةٍ من القرآن، أو بِفَرِيضَةٍ من فرائض الدين، فهي كُلُّهَا آيَاتُ الله -تعالى-، بعد بلوغ الحُجَّة إليه فهو كافر).

الناقض السابع من نواقض كلمة التوحيد: السَّخَرُ وَمِنْهُ الصَّرْفُ، وَالْعَطْفُ أما الصَّرْفُ: فهو صَرَفُ الرَّجُلِ عَمَّا يَهْوَاهُ؛ كَصَرَفِهِ مَثَلًا عَنْ مَحَبَّةِ زَوْجِهِ إِلَى بُغْضِهَا، وَالْعَطْفُ: عَمَلُ سَحَرِيٍّ كَالصَّرْفِ، وَلَكِنَّهُ عَطَفَ الرَّجُلِ عَمَّا لَا يَهْوَاهُ إِلَى مَحَبَّتِهِ، وَالسَّخَرُ مُحَرَّمٌ بِجَمِيعِ طُرُقِهِ، وَفِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ.

فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ، والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقًّا يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٣].

(١) «الفصل» (٣/ ٢٩٩).

وكثير من السَّحَرِ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالشُّرْكِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَقَدْ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ وَقَرَّنَهُ بِالشُّرْكِ، فَقَالَ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١): «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ»، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ...» الْحَدِيثُ.

وَالسَّحَرُ يَدْخُلُ فِي الشُّرْكِ مِنْ جِهَتَيْنِ:

الْجِهَةُ الْأُولَى: مَا فِيهِ مِنْ اسْتِخْدَامِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِمَا يَرِيدُونَهُ، لِيُؤْصِلُوا السَّاحِرَ إِلَى مُبْتَغَاهُ، وَالسَّحَرُ مِنْ تَعْلِيمِ الشَّيَاطِينِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الْجِهَةُ الثَّانِيَّةُ: مَا فِيهِ مِنْ ادِّعَاءِ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمُنَازَعَةِ اللَّهِ فِي خُصُوصِيَّاتِهِ، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٥]، وَدَعْوَى مِشَارَكَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كُفْرٌ وَضَلَالٌ.

الْناقِضُ الثَّامِنُ مِنْ نَوَاقِضِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: مَظَاهِرُ الْمُشْرِكِينَ وَمَعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) [المائدة: ٥١].

وَمَنْ ظَاهَرَ الْمُشْرِكِينَ وَنَاصَرَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِتَهْدِيدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ، وَخَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَاسْتَحَقَّ سَخَطَ اللَّهِ وَعَذَابَهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْلُغَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) [المائدة: ٨٠-٨١].

(١) الْبُخَارِيُّ (٢٧٦٧)، وَمُسْلِمٌ (٨٩).

وَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ خِصَالِ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ [النساء: ١٣٩].

قال الشيخ حمَّد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ: (١) (فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله ﷻ قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرَّم موالاتهم وشَدَّدَ فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله -تعالى- حُكْمٌ فيه من الأدلَّةِ أكثر ولا أَيْنٌ من هذا الحُكْمِ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده).

الناقض التاسع من نواقض كلمة التوحيد: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ فهو كافر.

وهذا الناقض يتضمَّن إنكاراً لنصوص الكتاب والسنة التي تُبين عموم الرسالة التي أُرْسِلَ بها نبي الأمة ﷺ، وإبطالاً لها، فقد أَرْسَلَهُ اللَّهُ للناس كافة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا سَلَامٌ﴾ [آل عمران: ١٨] أي: لا دين عند الله يقبله سوى الإسلام، وهو أتباع الرُّسُلِ فيما بَعَثَهُمُ اللَّهُ به في كُلِّ حينٍ حتى خُتِمُوا بِنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الذي سَدَّ جَمِيعَ الطُّرُقِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ بَعْدَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِدِينٍ غَيْرِ شَرِيعَتِهِ فَلَيْسَ بِمُتَقَبَّلٍ مِنْهُ ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]

فَمَنْ رَغِبَ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ ظَنَّ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهَا؛ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ

(١) «سبيل النجاة» (٣١).

الإسلام من عُنُقِهِ، وعيسى عليه السلام عندما يَنْزِلُ في آخِرِ الزَّمانِ لا يأتي بِشَرعٍ جديدٍ؛ بل يكونُ مُتَّبِعاً لشرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فشرِيعَتُهُ - عليه الصلاة والسلام - باقيةٌ إلى يومِ القِيامةِ، وعامةٌ لجميعِ الناسِ، ولا يَسَعُ أحداً الخروجَ عنها؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران: ٨٥].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديثِ أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ، أَنَّهُ قال: «والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بي أَحَدٌ من هذه الأُمّةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ ولم يؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كان من أصحابِ النارِ».

الناقِضُ العاشرُ من نواقِضِ كلمةِ التوحيدِ: الإِعراضُ عن دينِ الله لا يَتَعَلَّمُهُ ولا يَعْمَلُ بِهِ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِثَابِتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ (٢٦) [السجدة: ٢٢].

والإِعراضُ عن دينِ الله بأنْ لا يَتَعَلَّمُهُ ولا يَعْمَلُ بِهِ، هذا هو الإِعراضُ المُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (٣) [الأحقاف: ٣].

قال ابنُ القيم رحمته الله: «وَأَمَّا كُفْرُ الإِعراضِ: فَأَنْ يُعْرَضَ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرِّسَالِ ﷺ لا يُصَدِّقُهُ ولا يُكَذِّبُهُ، ولا يواليهِ ولا يُعَادِيهِ، ولا يُضْغِي إلى ما جاء به البَيِّنَةُ»^(٢).

ولا فَرْقَ في جميعِ هذه النواقِضِ بينَ الهازلِ، والجادِّ، والخائفِ، إلا المُكْرَةَ، وكُلُّها أعظمُ ما يكونُ خَطَرًا وأكثرُ ما يكونُ وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يَحْذَرَهَا، ويخافَ منها على نَفْسِهِ، نعوذُ باللهِ من موجباتِ غَضَبِهِ وأليمِ عِقَابِهِ^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٤٠).

(٢) مدارجُ السالكين (١/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٣) مجموعةُ التوحيدِ لِشَيْخِي الإسلامِ: محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ والشيخِ أحمدَ بنِ تيميةَ -رحمهما الله- (٢٨، ٢٧)، ومؤلفاتُ الشيخِ محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ، القِسْمُ الأوَّل.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ يَمِينِنَا وَعَنْ شِمَالِنَا، وَمَنْ قَوْلْنَا، وَتَعَوَّذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ تُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَتَعَوَّذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَتَعَوَّذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لَنَا مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشِيدًا.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

المرتبة الثانية: الصلاة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤) [آل عمران: ١٧٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن الركن الثاني من أركان الإسلام ألا وهو «الصلاة» فقد عظم الإسلام شأنها، ورفع ذكراها، وأعلى مكانتها، فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ففي «الصحيحين»^(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

والصلاة أفضل الطاعات؛ ولذلك جاءت نصوص الكتاب والسنة بإقامتها والمحافظة عليها والمداومة على تأديتها في أوقاتها.

قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال ﷺ: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [٢٢] الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ [٢٣]﴾ [المعارج: ٢٢-٢٣].

وجعلها الله -تعالى- الصفة الأولى للمؤمنين المفلحين؛ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١] الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ [٢]﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وتركها يورث دخول جهنم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينٌ﴾ [٣٨] إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ [٣٩] فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ [٤٠] عَنِ الْمُجْرِمِينَ [٤١] مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ [٤٢] قَالُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَحْمِلُ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ٤٣-٤٨].

والصلاة حمل الأنبياء همها وأوصوا بها، فإبراهيم ﷺ يدعو: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ فالغاية الأولى هي إقامة الصلاة، ويقول بعدها: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [١]﴾ [إبراهيم: ٤٠]، والله -تعالى- يمدح بها إسماعيل ﷺ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [١١] وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ مِنْ دَرَجَةٍ مَرْضِيًّا [٥٥]﴾ [مريم: ٥٥-٥٦]، وموسى ﷺ يؤمر بها في اللقاء الأول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [١١]﴾ [طه: ١٤]، والمسيح ﷺ ينطق بها في مهديه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [٣٠] وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا [٣١]﴾ [مريم: ٣٠-٣١]، ولقمان يجعلها في مقدمة ما يوصي به ابنه: ﴿يَبْنِي أَقْرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [١٧]﴾ [لقمان: ١٧]، أما الرسول ﷺ فقد كلف

بها مِنْ فوقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ دُونَ واسِطَةٍ، جَاءَهُ جَبْرِيلُ عليه السلام وَشَقَّ صَدْرَهُ الشَّرِيفَ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ رَمَزَمَ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ فَعَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ. وَارْتَقَى مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ كَمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ: «ثُمَّ عُرِّجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمَسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيرَ الْأَقْلَامِ» ثُمَّ قَالَ: «فَقَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، وَظَلَّ يَخَفُّفُ اللَّهُ مِنْهَا إِلَى أَنْ صَارَتْ خَمْسًا».

وَالصَّلَاةُ هِيَ أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» ^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ، صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ».

وَالصَّلَاةُ هِيَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ^(٢) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ».

وَالصَّلَاةُ حَاجَزٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْمَعَاصِي؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَكَانَ مِنْ آخِرِ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ؛ فَقَالَ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (١٨٥٩)، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٣٥٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٢).

بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ ^(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ آخِرُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُعَزِّغُ بِهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا كَانَ يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ! اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ».

ولها فضائل عظيمة:

منها: أَنَّهَا كَفَّارَةٌ لِلْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلَانِ إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وفي «الصحيحين» ^(٢) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»، قَالُوا: «لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ»، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا».

ومنها: أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ نَوْرٌ لِلْعَبِيدِ، وَفِي «صحيح مسلم» ^(٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطَّهَوْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نَوْرٌ، وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَانِعُ نَفْسَهُ، فَمَعْتَقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».

ومنها: أَنَّ الْمُسْلِمَ يَبْلُغُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ مَقَامَ الصَّدِيقَيْنِ وَالشَّهَدَاءِ؛ فَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصحيح» ^(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ

(١) (صحيح) «أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه» (٢٦٩٧)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ (٢١٧٨).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢٨)، وَمُسْلِمٌ (٦٦٧).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٣).

(٤) (صحيح) «أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ» (٣٣٣ / ٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصحيح» (٢٥٩١).

رجلانٍ من بني قُصَاعَةَ أسلما مع رسولِ الله ﷺ، واستشهدَ أحدهما، وأُخِرَ الآخرُ سنةً، قال طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ الله: فَأَرَيْتُ الْجَنَّةَ، فرأيتُ فيها المؤخَّرَ منهما أُذِخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَعَجِبْتُ لذلِكَ، فأصبحتُ فَذَكَرْتُ ذلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أو ذُكِرَ ذلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فقال: «أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّى سِتَّةَ أَلْفِ رَكْعَةٍ، أو كَذَا وَكَذَا رَكْعَةَ صَلَاةِ السَّنَةِ؟».

وَالصَّلَاةُ يَحِبُّ أَنْ تُؤَدَّى فِي أَوْقَانِهَا الْمَحْدَدَةِ شَرْعًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣).

قال البخاريُّ: مُؤَقَّتًا وَقْتُهُ عَلَيْهِمْ.

وَأَدَاءُ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ؛ ففي «الصحيحين»^(١) عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

ومما جاء في التَّرْهيبِ مِنْ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا، حَدِيثُ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ الطَّوِيلُ^(٢)، وجاء فيه: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَتَلَعُ رَأْسُهُ، فَيَتَذَهُدُّ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتَّبِعُ الْحَجَرُ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ فِي السَّمَرَةِ الْأُولَى، ثُمَّ قَالَا لَهُ: أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَتَلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ، فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ».

وهذه الصَّلَاةُ يَحِبُّ أَنْ تُؤَدَّى فِي بَيُوتِ اللهِ ﷻ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا

(١) رواه البخاريُّ (٥٢٧)، ومسلمٌ (٨٥).

(٢) البخاريُّ (٧٤٧).

مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ
وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً
وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا
أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ [النساء: ١٠٢].

فِيَسْتُ الْآيَةُ وَجُوبُ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي حَالِ الْحَرْبِ، فِي حَالِ السَّلَامِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى.

فَقِي «الصَّحِيحِينَ» ^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى
الْمُتَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ
هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمُرَّ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ
حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ».

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا هَمَّ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفِينَ قَدْ
ارْتَكَبُوا ذَنْبًا عَظِيمًا.

وَجَاءَ فِي ذِكْرِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: فِي «الصَّحِيحِينَ» ^(٢)
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلُ، وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعْلَقٌ
بِالْمَسَاجِدِ»، وَالْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللَّهِ، مَنْ دَخَلَهَا فَقَدْ حَلَّ ضَيْفًا عَلَى رَبِّهِ، فَلَا قَلْبَ أَطِيبُ،
وَلَا نَفْسَ أَسْعَدُ مِنْ ضَيْفِ حَلٍّ عَلَى رَبِّهِ فِي بَيْتِهِ وَتَحْتَ رِعَايَتِهِ، وَفِي الطَّبْرَانِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ
حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَعْلِيلِهِ عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ^(٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ: «الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ نَفْسٍ، وَتَكْفَلَ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرَّوْحِ وَالرَّحْمَةِ
وَالْجَوَازِ عَلَى الصَّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٢).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦٠)، وَمُسْلِمٌ (١٣١).

(٣) (صَحِيحٌ)، الطَّبْرَانِيُّ «الْأَوْسَطُ» (٦١٤٣) وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ (٣٣).

وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يَحْصُلُ في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعدَّ لهم من الكرامة والنعيم.

والجماعة واجبة على الرجال فقط أما النساء فالرسول ﷺ فَضَّلَ أَنْ تُصَلِّيَ المرأةُ في بيتها وجعل أجرَ صلاتها تلك أفضل من صلاتها في المسجد.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترغيب» (١) عن أمِّ حميد امرأة أبي حميد الساعدي: «أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ قَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِيَ وَصَلَاتُكَ فِي بَيْتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ وَصَلَاتُكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ وَصَلَاتُكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي»، قَالَ: فَأَمَرْتُ فَبَنَيْ لَهَا مَسْجِدًا فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيََتْ اللَّهَ ﷻ».

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا وَاغْفِرْ لَوَالِدِينَا وَارْحَمْهُمْ وَارْزُقْهُمْ الْجَنَّةَ وَحَرِّمْهُمْ عَلَى النَّارِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ.

وسبحانك الله وبحميدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) (صحيح)، رواه أحمد (٢٦٥٥)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترغيب» (١/ ١٣٥).

صِفَةُ الصَّلَاةِ

الصَّلَاةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي معكم اليوم عن صِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ (١) إِلَى كُلِّ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٢) مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

(١) مستفادة من «صِفَةِ الصَّلَاةِ» للعلامة عبد العزيز بن باز -رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ-.

(٢) رواه البخاري (٧٢٤٦).

يُسَبِّحُ الْوُضُوءَ، وَهُوَ أَنْ يَتَوَضَّأَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الذِّبَرُ
ءَامِنُونَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا
بُرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا فِي «صَحِيحِ
مُسْلِمٍ» (١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ».

يَتَوَجَّهُ الْمُصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وَهِيَ الْكَعْبَةُ أَيْنَمَا كَانَ بِجَمِيعِ بَدَنِهِ قَاصِدًا بِقَلْبِهِ فَعَلَّ
الصَّلَاةَ الَّتِي يَرِيدُهَا مِنْ فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ، وَلَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ بِالنِّيَّةِ؛ لِأَنَّ النُّطْقَ بِاللِّسَانِ
غَيْرُ مَشْرُوعٍ، لَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَنْطِقْ بِالنِّيَّةِ وَلَا أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَيُسَنُّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ
سُتْرَةً يَصَلِّي إِلَيْهَا إِنْ كَانَ إِمَامًا أَوْ مُفْرَدًا، لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ.

ثُمَّ يُكَبِّرُ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ قَائِلًا: (اللَّهُ أَكْبَرُ) نَازِلًا بِبَصَرِهِ إِلَى مَحَلِّ سُجُودِهِ.

ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ عِنْدَ التَّكْبِيرِ إِلَى حَذْوِ مَنْكِبَيْهِ أَوْ إِلَى حِيَالِ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَى
صَدْرِهِ، الِیْمْنَى عَلَى كَفِّهِ الْیُسْرَى.

يُسَنُّ أَنْ يَقْرَأَ دُعَاءَ الْإِسْتِفْتَاحِ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا
رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ
خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا تُنَقِّي الثَّوْبَ
الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ».

وَأِنْ شَاءَ قَالَ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧١١)، وَمُسْلِمٌ (٥٩٨).

في «صحيح الجامع»^(١): «كَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ثُمَّ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَيَقْرَأُ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

ويقول بعدها: (آمين) جَهْرًا فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ، ثُمَّ يَقْرَأُ مَا تَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.

ثُمَّ يَرْكَعُ مُكَبِّرًا رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى حَذْوِ مَنْكِبَيْهِ أَوْ أُذُنَيْهِ، جَاعِلًا رَأْسَهُ حِيَالَ ظَهْرِهِ، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، مُفَرِّقًا أَصَابِعَهُ، وَيَطْمِئِنُّ فِي رُكُوعِهِ وَيَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» وَالْأَفْضَلُ أَنْ يُكْرِّرَهَا ثَلَاثًا أَوْ أَكْثَرَ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ مَعَ ذَلِكَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي».

ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى حَذْوِ مَنْكِبَيْهِ أَوْ أُذُنَيْهِ قَائِلًا: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» إِنْ كَانَ إِمَامًا أَوْ مُتَفَرِّدًا، وَيَقُولُ بَعْدَ قِيَامِهِ: «كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» وَإِنْ زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ: «أَهْلُ الشَّانِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» فَهُوَ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. أَمَّا إِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَإِنَّهُ يَقُولُ عِنْدَ الرَّفْعِ: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَضَعَ

(١) رواه مسلم (٢٢٤).

(٢) رواه البخاري (٧٢٣)، ومسلم (٣٩٤).

(٣) رواه مسلم (٤٧٩).

كُلُّ مِنْهُمْ يَدِيهِ عَلَى صَدْرِهِ، كَمَا فَعَلَ فِي قِيَامِهِ قَبْلَ الرُّكُوعِ؛ لِثُبُوتِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ وَاثِلِ بْنِ حَجَرٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثُمَّ يَسْجُدُ مُكَبِّرًا وَاضِعًا رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ إِذَا تَيَسَّرَ ذَلِكَ، فَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ قَدَمَ يَدَيْهِ قَبْلَ
رُكْبَتَيْهِ، مُسْتَقْبِلًا بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ الْقِبْلَةَ، ضَامًّا أَصَابِعَ يَدَيْهِ، وَيَكُونُ عَلَى أَعْضَانِهِ
السَّبْعَةِ: الْجَبْهَةِ مَعَ الْأَنْفِ، وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَبُطُونِ أَصَابِعِ الرُّجْلَيْنِ.

وَيَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» وَيُكْرِّرُ ذَلِكَ ثَلَاثًا أَوْ أَكْثَرَ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ مَعَ
ذَلِكَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» وَيُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ فِيهِ «صَحِيحُ
مُسْلِمٍ»^(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعُظِّمُوا فِيهِ
الرَّبَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِينٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

وَيَسْأَلُ رَبَّهُ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، سِوَاءِ أَكَانَتْ
الصَّلَاةُ قَرَضًا أَوْ نَفْلًا، وَيُجَافِي عَضُدَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ، وَيَطْنُهُ عَنْ فَخِذَيْهِ، وَفَخِذَيْهِ عَنْ
سَاقَيْهِ، وَيَرْفَعُ ذِرَاعَيْهِ عَنِ الْأَرْضِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَسْطُرُ
أَحَدُكُمْ ذِرَاعِيَهُ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ».

ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مُكَبِّرًا، وَيَفْرِشُ قَدَمَهُ الْيُسْرَى وَيَجْلِسُ عَلَيْهَا، وَيَنْصُبُ رِجْلَهُ
الْيُمْنَى، وَيَدْعُ يَدَيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ
اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي وَاجْبُرْنِي»، وَيَطْمَئِنُّ فِي هَذَا الْجُلُوسِ حَتَّى
يَرْجِعَ كُلُّ فَقَارٍ إِلَى مَكَانِهِ كَاعْتِدَالِهِ بَعْدَ الرُّكُوعِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُطِيلُ اعْتِدَالَهُ بَعْدَ
الرُّكُوعِ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٨).

ثم يسجدُ السجدةَ الثانيةَ مُكَبِّرًا، ويفعلُ فيها كما فَعَلَ في السجدةِ الأولى.

ثم يرفعُ رأسَهُ مُكَبِّرًا، ويجلسُ جَلْسَةً خفيفةً مثلَ جُلُوسِهِ بين السجدةِ وتُسَمَّى جَلْسَةً الاستراحة، وهي مستحبةٌ في أصحِّ قولِي العلماء. وإن تَرَكَهَا فلا حَرَجَ، وليس فيها ذكْرٌ ولا دعاءٌ.

ثم ينهضُ قائمًا إلى الركعةِ الثانيةِ مُعْتِمِدًا على ركبتيه إن تيسَّرَ ذلك، وإن شَقَّ عليه اعتمدَ على الأرض.

ثم يقرأ الفاتحةَ وما تيسَّرَ له من القرآن بعد الفاتحة.

ثم يفعلُ كما فَعَلَ في الركعةِ الأولى، ولا يجوزُ للمأموم مُسَابَقَةُ إمامِهِ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّرَ أُمَّتَهُ مِنْ ذَلِكَ، وتُكْرَهُ موافقَتُهُ للإمام، والسُّنَّةُ لَهُ أَنْ تَكُونَ أَفْعَالُهُ بعد إمامِهِ مِنْ دُونِ تَرَاخٍ وبعد انقطاعِ صَوْتِهِ ففِي «الصحيحين»^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ».

إذا كانتِ الصلاةُ ثُنَائِيَّةً، أي ركعتين كصلاةِ الفَجْرِ والجُمُعَةِ والعِيدِ، جَلَسَ بَعْدَ رَفْعِهِ مِنَ السجدةِ الثانيةِ ناصبًا رِجْلَهُ اليمْنَى، مفترشًا رِجْلَهُ اليُسْرَى، واضعًا يَدَهُ اليمْنَى على فَخِذِهِ اليمْنَى، قابضًا أَصَابِعَهُ كُلَّهَا إِلَّا السَّابِقَةَ، فيُشِيرُ بِهَا إِلَى التَّوْحِيدِ، وَيَضَعُ يَدَهُ اليُسْرَى على فَخِذِهِ اليُسْرَى وَرُكْبَتَيْهِ، ثم يقرأ التَّشَهُّدَ في هذا الجُلُوسِ. وهو «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا

(١) رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٤١٧).

وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله» ثم يقول: «اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ». ويستعيد بالله من أربع فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»، ثم يدعو بما شاء من خيرَي الدنيا والآخرة، وإذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأس، سواء أكانت الصلاة فريضة أو نافلة.

ثم يسلم عن يمينه وشماله قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله. إن كانت الصلاة ثلثية كالمغرب، أو رباعية كالظهر والعصر والعشاء، قرأ التشهد المذكور آنفاً، مع الصلاة على النبي ﷺ ثم نهض قائماً معتمداً على ركبتيه، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه قائلاً: (الله أكبر) ويضعهما أي يديه على صدره، كما تقدم ويقرأ الفاتحة فقط.

وإن قرأ في الثالثة والرابعة من الظهر زيادة على الفاتحة في بعض الأحيان فلا بأس، لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

ثم يتشهد بعد الثالثة من المغرب، وبعد الرابعة من الظهر والعصر والعشاء، ويصلي على النبي، ويتعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، ويكثر من الدعاء، ومن ذلك «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» كما تقدم ذلك في الصلاة الثنائية.

لكن يكون في هذا الجلوس متوركاً واضعاً رجله اليسرى تحت رجله اليمنى، ومقعده على الأرض ناصباً رجله اليمنى، لحديث أبي حميد الساعدي في ذلك. ثم

يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ قَائِلًا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ... السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.
 وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ،
 لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ
 الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُخْلِصِينَ لَكَ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ». وَيُسَبِّحُ اللَّهَ ثَلَاثًا
 وَثَلَاثِينَ وَيَحْمَدُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَكْبِّرُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَقُولُ تَمَامَ الْمِائَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وَيَقْرَأُ آيَةَ
 الْكُرْسِيِّ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ بَعْدَ كُلِّ
 صَلَاةٍ. وَيُسْتَحَبُّ تَكَرُّرُ هَذِهِ السُّورِ الثَّلَاثِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ
 الْمَغْرِبِ، لَوْزُودِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ بِذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَزِيدَ بَعْدَ
 الذِّكْرِ الْمَتَقَدِّمِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ قَوْلَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
 لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُخَيِّ وَيُيَبِّتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عَشْرَ مَرَّاتٍ لثُبُوتِ
 ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَإِنْ كَانَ إِمَامًا أَنْصَرَفَ إِلَى النَّاسِ وَقَابَلَهُمْ بِوَجْهِهِ بَعْدَ اسْتِغْفَارِهِ
 ثَلَاثًا، وَبَعْدَ قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، ثُمَّ
 يَأْتِي بِالْأَذْكَارِ الْمَذْكُورَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهَا
 حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَذْكَارِ سُنَّةٌ وَلَيْسَتْ بِفَرِيضَةٍ.

وَيُسْتَحَبُّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، أَنْ يُحَافِظَ عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي حَالِ الْحَضَرِ،
 وَهِيَ: أَرْبَعُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَاثْنَتَانِ بَعْدَهَا، وَاثْنَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَاثْنَتَانِ بَعْدَ صَلَاةِ
 الْعِشَاءِ، وَاثْنَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا، وَتُسَمَّى

الرَّوَاتِبَ. وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ تَطَوُّعًا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ». وَقَدْ فَسَّرَهَا الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي رَوَاتِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ بِمَا ذَكَرْنَا. أَمَّا فِي السَّفَرِ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتْرُكُ سُنَّةَ الظَّهْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَيُحَافِظُ عَلَى سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْوُتْرِ، وَلَنَا فِيهِ أُسُوءُ حَسَنَةٍ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءُ حَسَنَةٍ﴾ [الاحزاب: ٢١] وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مُهْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ زِدْنَا عِلْمًا وَهُدًى وَصَلَاحًا.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا جَهِلْنَا وَذَكَّرْنَا مَا نَسِينَا وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرَفَةَ عَيْنٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



المرتبة الثالثة: الزكاة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي معكم عن الزكاة: الرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَأَحَدُ مَبَانِيهِ الْعِظَامِ؛ ففِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحُجِّ الْبَيْتِ». وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونِهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحُجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

والزكاة: قرينة للصلاة في كتاب الله تعالى، فقد جَمَعَ اللهُ بينهما وبين الصلاة في مواضع كثيرة في كتابه الكريم، وهذا يدلُّ على عِظَمِ مكانتها عند الله ﷻ، وعِظَمِ شأنها، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

ولِعِظَمِ شأنِ الزكاة ذكرها الله تعالى في شرائع مَنْ كان قَبْلَنَا، فقال ﷺ حينما تكَلَّمَ عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]. وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالُوا لِلَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣] وقال الله ﷻ عن عيسى - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَأَوْصَيْنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

ومَدَحَ اللهُ الفائمين بها في آيات كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ إِنَّمَا كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤] وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ [مريم: ٥٥].

وقال ﷺ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَلَا تَبْصُرُ﴾ [النور: ٣٧].

وَذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى التَّارِكِينَ لَهَا، وَتَوَعَّدَهُم بِالْهَلَاكِ فَقَالَ ﷺ: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ [فُصِّلَتْ: ٦-٧].

وَذَمَّ اللَّهُ مَنْ لَمْ يُطْعِمِ الْمَسْكِينَ فَقَالَ ﷺ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَجِيئُهَا﴾ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتِ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ [الْمُدَّثَّرُ: ٣٨-٤٦].

بَلْ إِنَّهُ ﷺ ذَكَرَ أَنَّ عَدَمَ الْحَضِّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ مِنْ أَسْبَابِ الْعَذَابِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (٢٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٢٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٤﴾ [الْحَاقَّةُ: ٢٠-٢٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ [الْفَجْرُ، الْآيَاتَانِ: ١٧، ١٨].

وَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ الْعَنَاءَ بِالسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي أَوْصَافِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِمَّنِ الْيَتْلُ مَا يَهْجُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَنْتَحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ [الذَّارِيَاتُ: ١٦-١٩].

وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقًّا مَعْلُومًا لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ [المَعَارِجُ: ١٩-٢٥].

وَيَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مِثْلَةِ الزَّكَاةِ أَنَّ مَنْ مَنَعَهَا يُقَاتَلُ؛ ففِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) مِنْ حَدِيثِ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢).

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فِإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -» وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما تُوفِّيَ رسول الله ﷺ واستُخْلِفَ أبو بكرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ وَنَفْسُهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى». فقال أبو بكرٍ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنْ الزَّكَاةَ حَقَّ الْمَالِ، وَاللَّهُ، لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَاتِلَتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ. وفي «لفظ البخاري»: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: «وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَاتِلَتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا».

ومما يُؤَكِّدُ عِظَمَ مَنْزِلَةِ الزَّكَاةِ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ مَنْ جَحَدَ وَجُوبَهَا كَفَرَ: إِنْ كَانَ مُسْلِمًا نَاشِئًا بِبِلَادِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ أَهْلِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُرْتَدًّا تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُرْتَدِّ، وَيُسْتَأْبَ ثَلَاثًا فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ؛ لِأَنَّ أَدْلَةَ وَجُوبِ الزَّكَاةِ ظَاهِرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ، فَلَا تَكَاذُ تُخْفَى عَلَى مَنْ هَذِهِ حَالُهُ، فَإِذَا جَحَدَهَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِتَكْذِيبِهِ: الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَكُفْرِهِ بِهِمَا، أَمَا مَنْ كَانَ جَاهِلًا: إِمَّا لِحَدَاثَةِ عَهْدِهِ بِالْإِسْلَامِ، أَوْ لِأَنَّهُ نَشَأَ بِبَادِيَةِ نَائِيَةٍ عَنِ الْأَمْصَارِ، فَإِنَّهُ يُعَرَّفُ وَجُوبَهَا، وَلَا يُحَكَّمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى يَعْلَمَ ثُمَّ يَجْحَدَ وَجُوبَهَا^(١). وَلَا يُكْفَرُ مَا نَعِيَ الزَّكَاةَ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَتَى كَبِيرَةً عَظِيمَةً، وَالْدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا

(١) انظر: المغني لابن قدامة، (٤/ ٦)، والمجموع للنووي (٤/ ٣٣٤).

يُكَفِّرُ مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُخِمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

قال ابن عثيمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإذا كان يُمكنُ أن يَرى له سبيلاً إلى الجنة؛ فإنه ليس بكافر؛ لأنَّ الكافر لا يُمكنُ أن يَرى سبيلاً له إلى الجنة، ولكن على مانعها من الإثم العظيم ما ذكره الله تعالى...» ^(٢).

ولعظيم منزلة الزكاة جاءت النصوص من الكتاب والسنة في بيان عُقوبة تاركها، مما تَقْشَعِرُّ منه الجلودُ المسلمة، وتَدْمَعُ له العيونُ المؤمنة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ^(٣) يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ^(٤)﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥] وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ^(٥)﴾ [آل عمران: ٧٥].

وفي «الصحيحين» ^(٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ

(١) رواه مسلم (٩٨٧).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (١٨ / ١٤)، وانظر: الشرح المُمْتَع له، (٦ / ٧ - ٩).

(٣) رواه البخاري (١٤٠٢) ومسلم (٩٨٧) واللفظ له.

صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ؛ وَلَا صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وَرُودِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِّحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا تَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِّحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقَرٍ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءٌ وَلَا جَلْحَاءٌ وَلَا عَضْبَاءٌ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأُظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.

وفي «صحيح البخاري»^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ رَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ». ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ الآية. وفي «الصحيحين»^(٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ يَقُولُ: «هُمُ الْآخُسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، هُمُ الْآخُسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ». قُلْتُ: مَا شَأْنِي أَيْرَى فِي شَيْءٍ، مَا شَأْنِي؟ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْكُتَ وَتَغَشَّانِي مَا شَاءَ اللَّهُ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

(١) رواه البخاري (١٤٠٣).

(٢) رواه البخاري (١٤٦٠)، ومسلم (٩٩٠).

الله؟ قَالَ: «الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا».

«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ. نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ».

«اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشُرَكَيْهِ».

وسبحانك الله ويحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

أحكام الزكاة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن أحكام الزكاة لأنها عبادة والعبادة لها شرطان الشرط الأول الإخلاص والشرط الثاني المتابعة للنبي ﷺ وأفضل ما أوجب علينا هي الزكاة التي هي ثالث أركان الإسلام وقرينة الصلاة في مُحْكَمِ الْقُرْآنِ، وَجَاءَ فِي مَنَعِهَا وَالبُخْلِ بِهَا الرَّعِيدُ بِالنِّيرَانِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يُبْخُلُونَ بِهِ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ وَبَرُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ٧٥] بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ بِمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ

(١) رواه البخاري (٤٣٨٢).

رَكَائِهِ مُثَلَّ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ رَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْرَمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ. ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُوَفُّوْنَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٢٤] يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [٢٥] [التوبة: ٣٤-٣٥] قال النبي ﷺ في بيان هذه الآية ما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة الطَّوِيلِ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُخِمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ».

وعلينا أن نَعْرِفَ الأموال التي تَجِبُ فيها الزكاة وأنصِبُها^(٢).

فإنَّ الله ﷻ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لم يجعل الزكاة واجبةً في كُلِّ شيءٍ، وإنما جَعَلَ الزكاة في الأموالِ الناميةِ حقيقةً أو حكماً، إنَّ الزكاةَ واجبةٌ في الذهبِ والفضَّةِ على أي حالٍ كانت، سواءً كانتْ جُنيهاً وريالاتٍ، أم قِطْعاً من الذهبِ والفضَّةِ، أم حُلِيّاً من الذهبِ والفضَّةِ سواءً كان ذلك لِلْبُسِّ أو لِلْبَيْعِ أو لِلتَّاجِيرِ، فالذهبُ والفضَّةُ جاءتْ نصوصُ الكتابِ والسُّنةِ بوجوبِ الزكاةِ فيهما عموماً بدونِ تفصيلٍ فَمَنْ ادَّعَى خروجَ شيءٍ من أفرادِ هذه العموماتِ فعليه الدليلُ وإلا فَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ لِأَنَّ الْعَامَّ يَشْمَلُ جَمِيعَ أَفْرَادِهِ، لقولِ النبي ﷺ للصَّحَابَةِ: «إِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى

(١) رواه مسلم (٦٨٢).

(٢) انظر «فريضة الزكاة» (٥ - ١٢) لابن عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

عبادِ الله الصالحين فقد سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» فإذا جاءتِ النصوصُ عامةٌ في وجوبِ زكاةِ الذهبِ والفضةِ، فمن أخرجَ الحُلِّيَّ منها فعليه الدليلُ من كلامِ الله أو من كلامِ رسوله ﷺ. وأمَّا إخراجُ الحُلِّيِّ بِالْأَقْسَةِ الضعيفةِ فإنه لا عبرةٌ به، وإنني أقول: هناك نصوصٌ من السنةِ خاصَّةٌ في إيجابِ الزكاةِ في الحُلِّيِّ ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا، وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مِسْكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهَا: «أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟»، قَالَتْ: لَا. قَالَ: «أَتَسْرُكِ أَنْ يُسَوِّرَكَ اللَّهُ (بِهِمَا) يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَوَارِينَ مِنْ نَارٍ؟»، قَالَ: فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، (وَقَالَتْ): هُمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ».

وإذا كان هذا الحديثُ على هذه القوَّةِ ومؤيِّداً بعموماتِ الكتابِ والسنةِ فما بالنا نَتَّبِعُ الرُّخْصَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ. إِنَّ الْعُلَمَاءَ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي مَسْأَلَةٍ فَإِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ لَا إِلَى قَوْلِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَلَيْسَ قَوْلُ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حُجَّةً عَلَى الْآخَرِينَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤَيِّداً بكِتَابِ اللَّهِ أَوْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا آخَلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٧].

ويقول ﷻ: ﴿فَإِنْ نَسَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَزِدْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَلَيْتَ سَأَلْتُمْ: هَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ فِي الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ سِوَاءَ كَانَتْ قَلِيلَةً أَمْ كَثِيرَةً؟

(١) حسنٌ رواه أبو داود (١٥٦٣) والترمذي (٦٣٧)، والنسائي (٥/ ٣٨)، وحسنةُ الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٩٦).

فإن الجواب على ذلك: أنَّ جميع الأموال الزَّكَوِيَّة لا تَجِبُ فيها الزكاة إلا إذا بَلَغَتْ نِصَابًا، نِصَابُ الْفِضَّةِ مِائَةٌ وَأَرْبَعُونَ مِثْقَالًا. وَزَنُ سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ رِيَالًا سُعُودِيًّا مِنَ الْفِضَّةِ، فَمَا دُونَ ذَلِكَ لَا زَكَاةَ فِيهِ. أَمَّا نِصَابُ زَكَاةِ الذَّهَبِ فَإِنَّهُ عِشْرُونَ مِثْقَالًا. وَزَنُ خَمْسَةِ وَثَمَانِينَ غَرَامًا فَمَا دُونَ ذَلِكَ فَلَا زَكَاةَ فِيهِ. وَمَقْدَارُ الزَّكَاةِ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ رُبْعُ الْعُشْرِ، وَطَرِيقُ ذَلِكَ أَنَّ تَقْسِمَ مَا عِنْدَكَ عَلَى أَرْبَعِينَ فَمَا خَرَجَ بِالقِسْمَةِ فَهُوَ الزَّكَاةُ، وَتَجِبُ الزَّكَاةُ أَيْضًا فِي الْأَوْرَاقِ النَّقْدِيَّةِ إِذَا بَلَغَتْ مَا يَسَاوِي سِتَّةً وَخَمْسِينَ رِيَالًا سُعُودِيًّا مِنَ الْفِضَّةِ وَفِيهَا رُبْعُ الْعُشْرِ. وَتَجِبُ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ فِي الدِّيُونِ الَّتِي فِي ذِمِّ النَّاسِ إِذَا كَانَتْ مِنَ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ أَوْ الْأَوْرَاقِ النَّقْدِيَّةِ، وَبَلَغَتْ نِصَابًا بِنَفْسِهَا أَوْ بِضَمِّهَا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ جَنْسِهَا سِوَاءَ أَكَانَتْ حَالَةً أَمْ مُؤَجَّلَةً، وَلَكِنَّ الدِّيُونَ عَلَى الْفُقَرَاءِ لَا زَكَاةَ فِيهَا إِلَّا إِذَا اسْتَلَمَهَا الْإِنْسَانُ فَإِنَّهُ يُزَكِّيها لِمُدَّةِ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ. وَكَذَلِكَ الدِّيُونَ عِنْدَ شَخْصٍ أَوْ جِهَةٍ لَا يُمَكِّنُكَ مَطَالِبُهَا فَإِنَّهُ لَا زَكَاةَ فِيهَا حَتَّى تَقْبِضَهَا ثُمَّ تُزَكِّيها بِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ. وَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي عُرُوضِ التِّجَارَةِ وَهِيَ مَا أَعَدَّهُ الْإِنْسَانُ لِلتَّكْسِبِ مِنْ عَقَارٍ أَوْ أَثَاثٍ أَوْ مَوَاشٍ أَوْ سِيَارَاتٍ أَوْ مَكَائِنٍ أَوْ أَطْعَمَةٍ أَوْ أَقْمِشَةٍ أَوْ غَيْرِهَا فَتَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ وَهِيَ رُبْعُ عَشْرِ قِيمَتِهَا عِنْدَ تَمَامِ الْحَوْلِ، فَإِذَا تَمَّ الْحَوْلُ وَجَبَ عَلَى التَّاجِرِ أَنْ يُثَمِّنَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعُرُوضِ وَيُخْرِجَ رُبْعَ عَشْرِ قِيمَتِهَا سِوَاءَ كَانَتِ الْقِيَمَةُ مِثْلَ الثَّمَنِ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ، فَإِذَا اشْتَرَى سِلْعَةً بِأَلْفِ رِيَالٍ مِثْلًا، وَكَانَتْ تَسَاوِي عِنْدَ تَمَامِ الْحَوْلِ أَلْفَيْنِ وَجَبَ عَلَيْهِ زَكَاةُ أَلْفَيْنِ، وَإِذَا كَانَتْ لَا تَسَاوِي عِنْدَ الْحَوْلِ إِلَّا خَمْسِمِائَةٍ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ إِلَّا زَكَاةُ خَمْسِمِائَةٍ، وَإِذَا كَانَ لَا يَدْرِي هَلْ تَزِيدُ عَنْ ثَمَنِهَا الْأَوَّلِ أَوْ تَنْقُصُ فَإِنَّهُ يَعْتَبِرُ الثَّمَنَ الْأَوَّلَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ مَشْكُوكٌ فِيهِمَا وَمَا سُكِّ فِيهِ فَإِنَّهُ يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى الْيَقِينِ. وَلَا زَكَاةَ فِي الْمَالِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، فَلَوْ نَفَدَ الْمَالُ قَبْلَ

تمام الحول بتفقه أو تلف أو نقص عن النصاب فلا زكاة فيه، ولو مات المالك قبل تمام الحول ولو بأيام فلا زكاة عليه، وإنما تجب الزكاة على الورثة بعد تمام الحول من موت مورثهم إذا تمت شروط الوجوب في حقهم، ويستثنى من ذلك عروض التجارة، فإن ربحها تابع لأصلها، لأن الفرع يتبع الأصل كما قررناه فيما سبق، وكذلك لو استبدل العروض بعضها ببعض فإن المعتبر حول الأول، مثله: إذا اشترت سلعة بألف ريال مثلاً، وبيعت عندك وقبل أن يتم الحول بعتها واشترت سلعة أخرى للتجارة، فإنك تزكي السلعة الثانية إذا تم حول السلعة الأولى؛ لأن عروض التجارة يقوم بعضها مقام بعض، وإذا كان الشخص يملك المال شيئاً فشيئاً مثل الرواتب الشهرية فلا زكاة على شيء منه حتى يحول عليه الحول، أما إذا كان يُنفق رواتبه كل شهر بشهره، فإنه لا يجب عليه شيء من الزكاة في هذه الرواتب لأنها تُنفق، ولكن إن كان عنده أموال أخرى فليزكها، أما إذا كان لا يُنفق جميع الراتب في الشهر فإنه إذا تم الحول يخرج زكاة ما عنده والأحسن والأزيج له أن يخرج زكاة الجميع وتكون بالنسبة لما لا يتم حوله مُعَجَّلَةً. وإذا كان للإنسان عقار يسكنه أو سيارة يركبها أو مكنة لفلاحيته أو عقارات يؤجرها فإنه ليس فيها زكاة، ولكن الزكاة فيما يحصل منها من الأجرة. وإذا كان للإنسان أرض يريد أن يبني عليها مسكناً له أو للإيجار فلا زكاة عليه فيها، وكذلك إذا أبقاها للحاجة يقول: إن احتجت بعتها وإلا أبقيتها فلا زكاة عليه فيها، وكذلك إذا أبقاها متردداً فيها هل يبيعها أو لا فلا زكاة عليه فيها. وكذلك إذا كان عنده عقار انتهت حاجته منه فعرضه للبيع فلا زكاة عليه؛ لأن هذا ليس من عروض التجارة، ولكنه من الأموال التي انتهت حاجته منها وأراد بيعها.

مصارف الزكاة:

الزكاة لا تَبْرَأُ بها الذِّمَّةُ ولا تكونُ مقبولةً عند الله إلا إذا وَصَّعَهَا الإنسانُ في مواضعِها التي فَرَضَ اللهُ أَنْ تُوَضَعَ فيها، قال اللهُ ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠] هذه الآية - كما يعرفُ علماءُ البلاغةِ واللُّغةِ - جاءتْ عن طريقِ الحَضَرِ بـ «إنما» فقد حَصَرَ اللهُ سبحانه الصدقاتِ في هذه الأصنافِ الثمانية لا تُجْزَى في غيرها، فلا يجوزُ إخراجُ الزكاةِ في بناءِ المساجِدِ، ولا يجوزُ إخراجُ الزكاةِ في إصلاحِ الطُّرُقِ، ولا يجوزُ إخراجُ الزكاةِ في بناءِ المساكنِ للفقراءِ، ولا غيرِ ذلك، اللهم إلا فقيراً مُعَيَّناً تُدْرُسُ حالُهُ ويُنْظَرُ فيه. هذه الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ، وضابطُ هذين الصَّنِفَيْنِ ألا يكونوا قادرينَ على نَفَقَاتِهِمْ ونَفَقَاتِ عَوَائِلِهِمْ لِمُدَّةٍ عامٍ كاملٍ، فإذا قَدَرْنَا أَنَّ شَخْصاً من الناسِ له راتبٌ قَدْرُهُ ثلاثةُ آلافٍ وعندهُ عائلةٌ لا يَكْفِيهِمْ في الشهرِ إلا أربعةُ آلافٍ فإننا نُعْطِيهِ من الزكاةِ اثنيَ عَشَرَ ألفاً لأنَّهُ يحتاجُ كُلَّ شَهْرٍ لِسَدَادِ نَفَقَتِهِ ألفاً، فنُعْطِيهِ ما يَسُدُّ نَفَقَتَهُ، ولكننا إذا خِفْنَا إذا أعطيناهُ المبلغَ كاملاً أَنْ يَفْرُطَ فيه وَيُفْسِدَهُ، فلا بَأْسَ أَنْ نُقَسِّطَهُ عليه بِكُلِّ شَهْرٍ حمايةً له من الفسادِ. وهنا مسألةٌ يَجِبُ أَنْ أُنَبِّهَ عليها وَأَنْ تَتَّبِعُوها لها: وهي أَنَّ بَعْضَ الفقراءِ يريدُ أَنْ تكونَ نَفَقَتُهُ كَنَفَقَةِ الأَغْنِيَاءِ؛ فَتَجِدُهُ يريدُ أَنْ يُكْمَلَ النِّقْصَ فَيُنْفِقَ من الأَطْعَمَةِ وَيُنْفِقَ من الأَكْسِيَةِ وَيُنْفِقَ من الكَمَالِيَّاتِ ما يُنْفِقُهُ الأَغْنِيَاءُ وهو في هذه الحالِ مُسْرِفٌ والله لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ، والواجبُ أَنْ يَعْرِفَ الإنسانُ حالَهُ وَأَلَّا يُنْفِقَ إلا بِقَدْرِ ما أعطاهُ اللهُ ﷻ كما قال اللهُ تعالى: ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [الطلاق: ٧]. ومن الأمثالِ العاميةِ المطابقةِ لِلْحِكْمَةِ

تمامًا: (مُدَّ رِجْلَكَ عَلَى قَدْرِ لِحَافِكَ) فلا ينبغي بل ولا يجوزُ للفقير أن يصرفَ من النفقاتِ مثلما يصرفُهُ الأغنياءُ بل يصرفُ على قَدْرِ حالِهِ، ومن يستعففُ يُعِفَّهُ اللهُ. وأما الغارمون: فالغارمون هم الذين عليهم ديونٌ للناسِ، سواءَ كانتِ ثَمَنَ مبيعٍ أو أُجْرَةً سَكَنٍ أو غيرَ ذلك، فهؤلاء إذا لم يَكُنْ عندهم ما يكفيهم لِسَدَادِ الديونِ فلا حَرَجَ أنْ تُقْضِيَ عنهم الديونُ من الزكاةِ، ولكن هل نُعْطِيهِ هو لِيُوفِيَ عَنْ نَفْسِهِ، أو نَذْهَبُ نَحْنُ إِلَى صَاحِبِ الدَّيْنِ وَنُسَدِّدُ الدَّيْنَ عَمَّنْ هو عليه؟ نقولُ في هذا: يُنْظَرُ إِلَى المصلحة؛ فإذا كان المُسْتَدِينُ رَجُلًا حَرِيصًا عَلَى إِبْرَاءِ ذِمَّتِهِ رَشِيدًا في تَصَرُّفِهِ فَإِنَّا نُعْطِيهِ لِيُوفِيَ حَتَّى لَا يَكُونَ لَنَا مِنَّةٌ عَلَيْهِ أَمَامَ النَّاسِ، أما إذا كان رَجُلًا أَخْرَقَ سَفِيهًا لَا يِيَالِي بِاشْتِغَالِ ذِمَّتِهِ بِالْديونِ فَإِنَّا نَذْهَبُ إِلَى صَاحِبِ الدَّيْنِ وَنُسَدِّدُ الدَّيْنَ عَمَّنْ هو عليه حَتَّى تَبْرَأَ بِذَلِكَ ذِمَّتُهُ، وَلَا تَحْقِرُوا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، لَا نقولُ: هذا مَدِينٌ بِدُيُونِ كَثِيرَةٍ وَزَكَاتُنَا قَلِيلَةٌ، فَإِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْقَلِيلِ كَثِيرٌ وَإِنَّ مِنَ الْحَاجَةِ الْمُلِحَّةِ حَاجَةَ الشَّابِّ أَوْ غَيْرِ الشَّابِّ إِلَى الزَّوْاجِ إِذَا كَانَ لَيْسَ عِنْدَهُ مَا يُعِفُّهُ وَإِذَا كَانَ لَيْسَ قَادِرًا عَلَى الْمَهْرِ، فَلَا حَرَجَ أَنْ نُعِينَهُ مِنَ الزَّكَاةِ فِي مَهْرِهِ حَتَّى يَتَزَوَّجَ؛ لِأَنَّ الزَّوْاجَ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ فِي قَوْلِهِ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مِنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةُ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَقْضَى لِلْبَصَرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» فَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مُحْتَاجٌ إِلَى الزَّوْاجِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَهْرِ مَا يَكْفِيهِ فَلَا حَرَجَ أَنْ نُعْطِيَهُ مِنَ الزَّكَاةِ مِنْ أَجْلِ اسْتِكْمَالِ الْمَهْرِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ حَاجَةٌ مُلِحَّةٌ وَلَا نَنْسَى أَنَّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا فَهُوَ كَمَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا لَا تَبْرَأُ بِهَا ذِمَّتُهُ وَلَا يَسْقُطُ عَنْهُ الْوَاجِبُ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَخْرِصَ غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى وَضْعِهَا فِي مَحَلِّهَا وَأَلَّا نُحَاطِ بِهَا قَرِيبًا وَلَا صَدِيقًا وَلَا بَعِيدًا وَلَا شَرِيفًا وَلَا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا، وَإِذَا

اجتمع عندنا رجلانِ كلاهما مُسْتَحِقٌّ ولكنَّ أَحَدَهُمَا قَرِيبٌ فَإِنَّ الْقَرِيبَ أَوْلَى؛ لَأَنَّ
الْصَّدَقَةَ عَلَى الْقَرِيبِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ الْقَرِيبُ مِمَّنْ تَجِبُ نَفَقَتُهُ عَلَيْكَ
وَكَانَ مَالُكَ يَتَحَمَّلُ الْإِنْفَاقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تُعْطِيَهُ لِلْإِنْفَاقِ مِنْ زَكَاتِكَ، لِأَنَّكَ إِذَا
أَعْطَيْتَهُ ذَلِكَ فَإِنَّكَ بِهَذَا تَحْمِي مَالَكَ مِنَ النَّفَقَةِ. أَمَّا قِضَاءُ الدَّيْنِ عَنِ الْمَدِينِ الَّذِي لَا
يَسْتَطِيعُ وِفَاءَهُ وَهُوَ مِنْ قَرَابَتِكَ فَلَا بَأْسَ أَنْ تُقْضِيَهُ مِنْ زَكَاتِكَ وَلَوْ كَانَ ابْنُكَ أَوْ أَبَاكَ أَوْ
أَخَاكَ؛ لِأَنَّ الدَّيْنَ لَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ قِضَاؤُهُ وَلَوْ كَانَ عَلَى أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ أَوْ أَخِيهِ. فَإِذَا
سَدَّدَهُ مِنْ زَكَاتِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ وَلَكِنْ بِشَرْطٍ أَلَّا يَكُونَ عِنْدَهُ مَا يُوفِي بِهِ.

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مَهْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ زِدْنَا عِلْمًا وَهَدًى وَصَلَاحًا.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا جَهِلْنَا وَذَكَّرْنَا مَا نَسِينَا وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرَفَةَ عَيْنٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا
بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا
وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ
عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا
تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ: نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



المرتبة الرابعة: صيام رمضان

صيام رمضان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللّٰهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن صيام رمضان الركن الرابع من أركان هذا الدين الحنيف، فلا يستقيم بناء الإسلام إِلَّا بِهِ، وَلَا يَثْبُتُ إِيْمَانُ امْرِئٍ حَتَّى يُقَرَّ بِفَرْضِيَّتِهِ. ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت. وفي لفظ لمسلم: «بني الإسلام على خمس: على أن يُعبدَ اللهُ ويُكْفَرَ بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وقد جعل الله ﷻ صيام رمضان وسيلة إلى التقوى: فقال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

قال البغوي: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني بالصوم؛ لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات^(١).

وقال ابن كثير: «لأن الصوم فيه تركية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان»^(٢).

وللصيام فضائل عظيمة لا تكاد تُحصَرُ فمن فضائل الصيام أنه إذا حلَّ شهر رمضان فُتِحَتْ أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وصُفِّدَتِ الشياطين:

ففي «الصحيحين»^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِّسَتِ الشَّيَاطِينُ».

وفي رواية: «فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ».

ومن فضائل الصيام أن الله ﷻ أضافه لنفسه تشريفاً لقدره وتعريفاً بعظيم أجره:

ففي «الصحيحين»^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

(١) معالم التنزيل (١/ ١٩٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨٩٩) و (١٨٩٨) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٩).

(٤) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: «إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي».

قال العلماء - رحمهم الله -: أن إضافة الصوم لله تعالى هو إضافة تشريف وتعظيم كما يقال: «ناقَةُ الله» و«بيتُ الله». ومن فضائل الصيام أَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. ومن فضائل الصيام أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ فِي الْأَجُورِ.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١) عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ».

ومن فضائل الصيام أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، ففي «صحيح مسلم» (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». ومن فضائل الصيام أَنَّهُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، مع الإيمان بالله تعالى وإقامة الصلاة وأداء الزكاة.

ففي «الصحيحين» (٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتَهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا.

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١) وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤٠٤٤).

(٢) رواه مسلم (٧٦٠).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».

ومن فضائل الصيام أنه سبب لدخول الجنة من باب من أبواب الجنة لا يدخل منه غير الصائمين، يُقال له الرِّيَّانُ وهذا يدل على أهمية الصيام وعظم مكانته في دين الله تعالى.

ففي «الصحيحين»^(١) عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أَغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

وفي «الصحيحين»^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال العلماء: سُمِّيَ بابُ الرِّيَّانِ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْعَطْشَانَ بِالصَّوْمِ فِي الْهَوَاجِرِ سَيَرَوْهُ وَعَاقِبَتُهُ إِلَيْهِ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرِّيِّ»^(٣).

ومن فضائل الصيام أن الصيام قاطعٌ مؤقتٌ لشهوة النكاح، وسببٌ للعفة والطهارة؛ قال

(١) رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٢) رواه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٣٢٧).

(٣) شرح مسلم للنووي (١١٦ / ٧).

النَّبِيُّ ﷺ مَوْصِيًّا شَبَابَ أُمَّتِهِ، وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَوْصِيٍّ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ».

و«الْبَاءَةُ»: الْقِدْرَةُ عَلَى مُؤَنَّةِ النِّكَاحِ، وَ«وَجَاءٌ»: أَيُّ: قَاطِعٌ لِلشَّهْوَةِ.

وَمِنْ فَضَائِلِ الصِّيَامِ أَنَّهُ مُهَذِّبٌ لِنَفْسِ الصَّائِمِ، مُمَسِّكٌ عَلَيْهِ لِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ عَنْ قَوْلِ زُورٍ، أَوْ عَمَلٍ بِهِ، مُصَبِّرٌ لَهُ عَلَى أَذَى النَّاسِ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنْ أَمَرُوْهُ شَائِمَةً أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ».

وَمِنْ فَضَائِلِ الصِّيَامِ أَنَّ الصِّيَامَ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ مِنَ النَّارِ:

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ»^(٤). وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الصَّوْمَ إِنَّمَا كَانَ جُنَّةً مِنَ النَّارِ؛ لِأَنَّهُ إِمْسَاكٌ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَالنَّارُ مُحْفُوفَةٌ بِالشَّهَوَاتِ، فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ إِذَا كَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ فِي الدُّنْيَا كَانَ ذَلِكَ سَاتِرًا لَهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ^(٥).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٥)، وَمُسْلِمٌ (٦٤٠٠)، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٩١)، وَمُسْلِمٌ (١١٥١)، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٩٤)، وَمُسْلِمٌ (١١٥١).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٩٤)، وَمُسْلِمٌ (١١٥١).

(٥) «فَتْحُ الْبَارِي لِابْنِ خَبَرٍ» (١/ ٣٤).

ومن فضائل الصيام سعادة الصائم حين فطره وحين لقاء ربه:

ففي «الصحيحين»^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... لِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرَحٌ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحٌ بِصَوْمِهِ».

قيل معناه: فَرَحٌ بزوال جوعه وعطشه حيث أُبِيحَ له الفطر، وهذا الفَرَحُ طبعي وهو السابق للفهم. وقيل: إِنَّ فَرَحَهُ بفطره من حيث أَنَّهُ تَمَّامُ صَوْمِهِ وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه^(٢).

وقوله: وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحٌ بِصَوْمِهِ، أي بجزائه وثوابه وقيل الفَرَحُ الذي عند لقاء ربه إما لسرويه بربه أو بثواب ربه، على الاحتمالين^(٣).

ومن فضائل الصيام أن خُلُوفَ فَمِ الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك:

ففي «الصحيحين»^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ...».

قال ابن عبد البر: (وخلوف فم الصائم ما يعتريه في آخر النهار من التغير وأكثر ذلك في شدة الحر. ومعنى قوله: لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛

(١) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) قال ابن حجر: (ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك فمنهم من يكون فرحه مباحا وهو الطبيعي ومنهم من يكون مستحبا...) «فتح الباري» (٤/ ١١٨).

(٣) «فتح الباري» (٤/ ١١٨).

(٤) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٥١).

يريدُ أَزَكَىٰ عندَ الله وأقربُ إليه وأرفعُ عندهُ من ربحِ المِسكِ^(١).

قال بعضُ أهلِ العلمِ في شرحِ ذلك: لِأَنَّهَا من آثارِ الصيامِ فكانت طَيِّبَةً عندَ الله سبحانه ومحبوبةً له، وهذا دليلٌ على عظيمِ شأنِ الصيامِ عندَ الله^(٢).

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لَنَا مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا».

وسبحانك الله ويحمدك، أشهدُ أن لا إلهَ إلا أنت، نستغفرُكَ ونتوبُ إليك.



(١) «التمهيد» (١٩ / ٥٧).

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢٠ / ٢٠٠).

كيف نستقبل شهر رمضان؟

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٠].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه - وعلى آله وسلم - وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد فحديثي اليوم عن كيف نستقبل شهر رمضان؟

فها هو ضيف كريم قد نزل علينا، إنه ضيف عزيز مبارك قد هل علينا بأنفاسه إنه شهر القرآن، إنه شهر القيام والصيام، إنه شهر الجود والبر والإحسان والعتيق من النيران، إنه شهر رمضان، ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة»، وفي لفظ لمسلم: «فتحت

(١) رواه البخاري (١٨٩٨)، ومسلم (١٧٩).

أبواب الجنة، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة حتى ينتقضي رمضان.

فنحن نبشّر الجميع بقدوم الضيف الكريم الذي يأتي بعد طول غياب ويُقدِّم بعد فراق، نبشركم كما كان المصطفى ﷺ يُبشّر أصحابه فيقول: كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسْنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَى فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ، اللَّهُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ.

قال العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان.

فعلينا أن نستقبل هذا الشهر الكريم بما يأتي:

بِشُكْرِ نِعْمَةِ بُلُوغِ الشَّهْرِ وَتَذَكُّرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَسْتَخْضِرَ الصَّائِمُ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ إِذْ مَكَنَّهُ مِنَ الصِّيَامِ، وَوَفَّقَهُ لَهُ وَأَتَمَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ حُرْمُوا الصِّيَامِ إِمَّا بِمَوْتِهِمْ قَبْلَ حُلُولِ الشَّهْرِ، أَوْ بِعَجْزِهِمْ عَنْهُ لِمَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ بِضَلَالِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، فَلْيَحْمَدِ الصَّائِمُ رَبَّهُ عَلَى نِعْمَةِ الصِّيَامِ الَّتِي هِيَ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ فِي دَارِ النِّعَمِ.

فعندما يَهْلُ هلال رمضان يستشعر العبدُ نعمة الله عليه بأن مدَّ في عُمرِهِ وَبَلَغَهُ رمضان، فإذا رأيتَ هلالَ رمضان فقل كما علّمنا رسولُ الله ﷺ، كما عند الطبراني في الكبير بِسْنَدٍ حَسَنٍ حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) من حديث طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدٍ

(١) (صحيح). أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٠) والنسائي (٤/ ٢٦) وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥).

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ (١٣٣٣٠) (حَسَنٌ) الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٤٧٢٦).

اللهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ».

وهذا الدعاء في كُلِّ شَهْرٍ، وهو في رمضان أَلَزَمٌ.

قوله: (أَهْلُهُ) أي: أَطْلَعَهُ عَلَيْنَا، وَأَرَانَا إِيَّاهُ، والمعنى: اجْعَلْ رُؤْيَيْنَا لَهُ مُقْتَرَنَةً بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ.

قوله: (بِالْأَمْنِ) أي: مُقْتَرَنًا بِالْأَمْنِ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَصَائِبِ.

قوله: (وَالْإِيمَانِ) أي: وَبَثَابِ الْإِيمَانِ فِيهِ.

قوله: (وَالسَّلَامَةِ) أي: السَّلَامَةُ عَنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ.

فهنيئًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، وَبُشْرَى لِمَنْ بَلَغَهُ اللهُ رَمَضَانَ، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنُ بِفَتْحِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟ كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْمَذْنِبُ بِغَلْقِ أَبْوَابِ النَّارِ؟ كَيْفَ لَا يُبَشِّرُ الْعَاقِلُ بِوَقْتٍ يُغْلَى فِيهِ الشَّيْطَانُ؟ مِنْ أَيْنَ يُشْبِهُ هَذَا الزَّمَانَ زَمَانًا؟»^(١).

وَلَا نَ السَّلَفَ الصَّالِحَ خَبَرُوا قِيَمَةَ رَمَضَانَ؛ فَقَدْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَعِيشُوا رَمَضَانَ الْمُقْبِلَ، حَتَّى يَغُتُّوا مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ، قَالَ مُعَلَّى بْنُ الْفَضْلِ: «كَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ، ثُمَّ يَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمْ»، وَكَانَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا إِلَى رَمَضَانَ، وَسَلِّمْنَا لَنَا رَمَضَانَ، وَتَسَلِّمُهُ مِنَّا مَتَقَبَّلًا».

فَمَنْ فَضَّلَ اللَّهَ عَلَيْكَ، وَمَحَبَّتَهُ لَكَ: أَنْ تُسَأَلَ فِي حَيَاتِكَ، حَتَّى تَتَزَوَّدَ مِنْ خَيْرِ رَمَضَانَ

(١) لطائف المعارف (١٤٨).

هذه السنة؛ ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ، فَيَذَلِّكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فلا يظفّر بنعمة إدراك رمضان، والاعتراف من خيراته، إلا المبشرون برحمة الله.

ففي الكبير للطبراني بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الترمذي»^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين، آمين، آمين»، قيل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: «آمين، آمين، آمين»؟ فقال: «إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، فقلت: آمين، قال: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالدَّيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، فقلت: آمين، قال: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمين، فقلت: آمين».

فمرحبا بزائر قد طال غيبته، وعظمت مكانته، له في النفس شوق، وكيف لا وهو طريق الجنة؟! أجوره مضاعفة، وأعماله مباركة، ففي «الصحيحين»^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ، أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

ونستقبل هذا الشهر الكريم بالإخلاص لله في الصيام: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

والإخلاص روح الطاعات، ومفتاح لقبول الباقيات الصالحات، وسبب لمعونة الله ﷻ وتوفيقه.

(١) (حسن) أخرجه الطبراني (٩ / ١٤٤ / ٣١٥)، وقال الهيثمي (١٠ / ١٦٩): الطبراني رجاله ثقات. وقال

الألباني في صحيح الترمذي (٩٩٥): صحيح لغيره.

(٢) رواه البخاري (٥١٢) واللفظ له، ومسلم (١١٥١).

وَنَسْتَقْبِلُ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ بِأَحْكَامِ رَمَضَانَ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعْبِدَ اللَّهَ عَلَى عِلْمٍ، وَلَا يُعْذِرُ بِجَهْلِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، وَمِنْ ذَلِكَ صَوْمُ رَمَضَانَ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَسَائِلَ الصَّوْمِ وَأَحْكَامَهُ قَبْلَ مَجِيئِهِ، لِيَكُونَ صَوْمُهُ صَحِيحًا مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَتَسْلُتُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧).

وَنَسْتَقْبِلُ هَذَا الشَّهْرَ الْكَرِيمَ بِالْعَزْمِ عَلَى التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرَاتِ:

فَنَسْتَقْبِلُ رَمَضَانَ بِنِيَّةٍ أَنْ نَصُومَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَأَنْ نَفْتَحَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْهُ صَفْحَةً جَدِيدَةً فِي سِجِلِّ أَعْمَالِنَا، وَمَعَنَا الْعَزْمُ الْأَكِيدُ عَلَى التَّزَوُّدِ فِيهِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ؛ إِذْ إِنَّ مَنْ أَدْرَكَهُ رَمَضَانٌ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ أَسْلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ».

وَنَسْتَقْبِلُ هَذَا الشَّهْرَ الْكَرِيمَ بِكَثْرَةِ الْاسْتِغْفَارِ: وَذَلِكَ حَتَّى يَتِمَّ تَعْدِيلُ مَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ (مَعَاصٍ، وَغَفْلَةٍ، وَتَقْصِيرٍ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ)، فَيَتِمَّ إِصْلَاحُ النِّقْصِ الَّذِي فِيهَا قَبْلَ أَنْ تُعَرَّضَ عَلَى اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)، وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) عَنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرُهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ».

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٤٥) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣٥١٠).

(٢) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٨٣٩) وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٥٩٥٥).

وفي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»^(١) عَنْ عَبْدِ بْنِ بِسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا» وَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَقْبَلَ هَذَا الشَّهْرَ الْكَرِيمَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، بَدَأَ بِالشَّرِّ بِاللَّهِ تَعَالَى مَرُورًا بِالشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَمِنْ كُلِّ خَصَلَةٍ مَذْمُومَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ كَالْغِلِّ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالشُّحِّ وَالْكِبْرِ وَحُبِّ الدُّنْيَا، وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ كَذَلِكَ هُوَ الَّذِي خَلَصَتْ عِبَادَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَيَعْرِفُ حَقَقَ اللَّهِ ﷻ وَيُؤْذِيهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ.

* الْقَلْبُ السَّلِيمُ عَلَيْهِ الْمَدَارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(٢) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(٣) [الشُّعَرَاءُ: ٨٨، ٨٩].

* صَلَاحُ هَذَا الْعُضْوِ يَعْنِي صَلَاحَ حَالِ الْعَبْدِ وَبِفَسَادِهِ يَفْسُدُ، قَالَ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٤) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ صَالِحًا فَتَبَعًا لَذَلِكَ تَصْلَحُ الْجَوَارِحُ فَلَا تَرَى الْعَيْنُ إِلَّا الْحَلَالَ وَلَا تَسْمَعُ الْأُذُنُ إِلَّا الْحَلَالَ وَلَا يَقُولُ اللِّسَانُ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى، وَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ فَاسِدًا فَتَبَعًا لَذَلِكَ تَفْسُدُ الْجَوَارِحُ فَتَرَى الْعَيْنَ تَنْظُرُ إِلَى الْحَرَامِ وَالْقَنَوَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْأُذُنُ تَسْمَعُ الْغِنَاءَ وَالْحَرَامَ وَكَذَلِكَ اللِّسَانُ تَجِدُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ صَبَاحَ مَسَاءَ وَالْقُلُوبُ مَشَاكِي الْأَنْوَارِ، فَمَنْ خَلَطَ رَيْنَهُ اضْطَرَبَ أَمْرُهُ، وَعَمِيَ عَلَيْهِ السَّبِيلُ.

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ (٣٨١٨) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (١٦١٨).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٥١)، وَمُسْلِمٌ (١٢٥٥).

قال ابن القيم رحمه الله: كلما كانت حياة القلب أتمَّ كان غضبه لله ولرسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل ^(١).

وقال رحمه الله: كُلُّ إِنَاءٍ فَارِغٍ إِذَا دَخَلَ فِيهِ شَيْءٌ ضَاقَ بِهِ إِلَّا الْقَلْبَ اللَّيِّنَ، فكلما أفرغ فيه الإيمان والعلم اتسع وانفسح، وهذا من آيات قُدْرَةِ الرَّبِّ سبحانه ^(٢).

وقال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: اللهم اجعل قلوبنا خزائن توحيدك، وألستنا مفاتيح تمجيدك، وجوارحنا خدام طاعتك؛ فإنه لا عزَّ إلا في الذلِّ لك، ولا غنى إلا في الفقر إليك، ولا أمن إلا في الخوف منك، ولا قرار إلا في القلق نخوك، ولا روح إلا في النظر إلى وجهك، ولا راحة إلا في الرضا بقسمك، ولا عيش إلا في جوار المقربين عندك ^(٣).

«اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ نَرْجُو، فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرَفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلَحْ لِي شَأْنَنَا كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغَنَى».

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ».

وسبحانك الله وبحميدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٣٠).

(٢) شفاء العليل (٣٦٧).

(٣) العود الهندي (٢/ ٣٥٦).

آداب الصيام ومُستَحَبَّاته

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران: ٧٣]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليومَ عن آدابِ الصيامِ ومُستَحَبَّاتِهِ.

فمن آدابِ الصيامِ ومُستَحَبَّاتِهِ السَّحُورُ^(١).

وهو كُلُّ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ يَتَغَدَّى بِهِ آخِرَ اللَّيْلِ فِي السَّحَرِ مِنْ أَرَادَ الصِّيَامَ^(٢).

(١) استفدتُ هذا المَبْحَثَ من موسوعة (الصيام في الإسلام - د. سعيد بن وهف القحطاني) بتصرفٍ واختصارٍ.

(٢) قال ابنُ الأثير في جامع الأصول ٢/ ٣٤٧: «... السَّحُورُ... وهو بالفتح اسمُ ما يُتَسَحَّرُ به من الطعامِ والشرابِ، وبالضَّمُّ مصدرٌ والفعلُ نَفْسُهُ، وأكثرُ ما يُرى بالفتح، وقيل: إن الصوابَ بالضَّمِّ؛ لأنه بالفتح الطعامُ. والبركةُ والأجرُ والثوابُ في الفعلِ لا في الطعامِ».

وحكمه سنة مؤكدة، وليس بواجب، وقد نقل الحافظ ابن حجر الإجماع على نذب السحور واستحبابه^(١).

ووقته من بداية ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر الثاني والأفضل تأخيرُهُ إلى قبيل الفجر الثاني. ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يمتنع أحدكم - أو قال: أحدًا منكم - أذان بلال [أو قال: نداء بلال] من سحوره؛ فإنه يؤذن - أو ينادي - بليل؛ ليرجع قائمكم، ولينبه نائمكم، وليس أن يقول الفجر أو الصبح - وقال بأصابعه ورفعها إلى فوق، وطأطأ إلى أسفل - حتى يقول هكذا»، وقال زهير بسبأتيه إحداهما فوق الأخرى ثم مدَّهما عن يمينه وشماله، والحكمة من السحور، منها مخالفة أهل الكتاب؛ فإنهم لا يتسحرون؛ لحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر»^(٣).

قال النووي: (معناه: الفارق والمميز ما بين صيامنا وصيامهم السحور؛ فإنهم لا يتسحرون ونحن نستحب لنا السحور، وأكلة السحر: هي السحور)^(٤).

ومما جاء في فضل السحور حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة» وهو في «الصحيحين»^(٥).

(١) فتح الباري، لابن حجر (٤/ ١٣٩).

(٢) مسلم، برقم (١٠٩٦).

(٣) مسلم، برقم (١٠٩٦).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ٢١٤ - ٢١٥).

(٥) رواه البخاري، ١٩٢٣، ومسلم، ١٠٩٥.

وَيُسْتَحَبُّ فِي السَّحُورِ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَمَرٍ:

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمَرُ»^(١).

كَمَا يُسْتَحَبُّ تَأْخِيرُ الشُّحُورِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ تَسَحَّرَا فَلَمَّا قَرَّغَا مِنْ سَحُورِهِمَا قَامَ نَبِيُّ اللَّهِ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّيَا»، [قَالَ قَتَادَةُ]: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كَانَ بَيْنَ فَرَاغِهِمَا مِنْ سَحُورِهِمَا وَدُخُولِهِمَا فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: قَدَّرَ مَا يَقْرَأُ الرَّجُلُ خَمْسِينَ آيَةً.

وَمِنْ آدَابِ الصِّيَامِ وَمُسْتَحْبَاتِهِ تَعْجِيلُ الْإِفْطَارِ: فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ».

وَمِنْ آدَابِ الصِّيَامِ وَمُسْتَحْبَاتِهِ أَثْنَاءَ الصِّيَامِ؛ فَإِنَّ دَعْوَةَ الصَّائِمِ لَا تَرُدُّ حَتَّى يُفْطِرَ، فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ».

قَالَ ابْنُ عَثِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ أَحْكَامَ الصَّوْمِ، وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُهُ لِسَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

(١) (صَحِيحُ) أَبُو دَاوُدَ، (٢٣٤٥)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٢/ ٥٥).

(٢) رَوَاهُ: الْبُخَارِيُّ (١٩٢١)، وَمُسْلِمٌ (١٩٩٧).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٥٧)، وَمُسْلِمٌ (١٩).

(٤) (صَحِيحُ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢/ ٢٥٦) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣٠٣٠).

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٦] لَأَنَّ الصَّوْمَ زَمَنُ
إِجَابَةِ الدَّعَاءِ.

وقد جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ لِلصَّائِمِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ»
وهذه فرصة؛ لأنه ذَكَرَ إجابة الدعاء بعد ذِكْرِ الصَّوْمِ؛ لَكِنْ قَالَ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾
[البقرة: ١٨٦] بماذا؟ بما فرضت عليهم من الصوم والتقوى: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ [البقرة: ١٨٦] (١).

ومن آداب الصيام ومستحباته تفتير الصائمين: ولو كانوا أغنياء، ففي «سنن
الترمذي» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (٢) من حديث زيد بن
خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ
أَنَّهُ لَا يُنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا».

قال ابن تيمية: «والمراد بتفطيره أَنْ يُشْبِعَهُ» (٣).

ومن آداب الصيام ومستحباته كثرة العبادة: من قراءة القرآن والذكر، والدعاء،
والصلاة، والصدقة، والعُمرة، فَيُسْتَحَبُّ لِلصَّائِمِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،
وَيَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ، وَيَحَافِظَ عَلَى أَذْكَارِ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ وَالْأَذْكَارِ فِي
مَوَاطِنِهَا، وَيُكْثِرَ مِنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ وَخَاصَّةً صَلَاةَ اللَّيْلِ، وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى؛ فَإِنَّ الصَّائِمَ
لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَيُكْثِرَ مِنَ الصَّدَقَةِ وَأَبْوَابِ الْخَيْرِ؛ فَنُفِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٤) مِنْ

(١) جلسات رمضان للعثيمين ص (١١).

(٢) (صحيح) الترمذي (٨٨٧)، وابن ماجه (١٧٤٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٤٩٤).

(٣) الاختيارات (١٩٤)، وقال البعض يُؤَجَّرُ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ.

(٤) رواه البخاري (٤٩٩٧)، ومسلم (٢٣٠٨).

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ يُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»، وفي لفظ: «فَإِذَا لَقِيَهِ جَبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» وفي «صحيح البخاري» ^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كَانَ يُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنُ كُلُّ عَامٍ مَرَّةً، فَعُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَنْتَكِفُ فِي كُلِّ عَامٍ عَشْرًا فَاعْتَكَفَ عَشْرِينَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ».

وَكَانَ جَوْدُهُ ﷺ يَجْمَعُ أَنْوَاعَ الْجُودِ كُلِّهَا: مِنْ بَذْلِ الْعِلْمِ، وَالنَّفْسِ، وَالْمَالِ لِلَّهِ ﷻ فِي إظهارِ دِينِهِ، وَهُدَايَةِ عِبَادِهِ، وَإِصْصَالِ النِّفْعِ إِلَيْهِمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ، مِنْ تَعْلِيمِ جَاهِلِهِمْ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَإِطْعَامِ جَائِعِهِمْ، وَكَانَ جَوْدُهُ يَتَضَاعَفُ فِي رَمَضَانَ؛ لِشَرَفِ وَقْتِهِ، وَمُضَاعَفَةِ أَجْرِهِ، وَإِعَانَةِ الْعَابِدِينَ فِيهِ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَالْجَمْعِ بَيْنَ الصِّيَامِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ ^(٢).

وَيُسْتَحَبُّ صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: كَمَا فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح النسائي» ^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ»، وَفِي لَفْظٍ: «كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ».

(١) البخاري، (٢٠٤٤)، و(٤٩٩٨)، وهي: الْعَشْرُ الْأَوَاسِطُ وَالْأَوَاخِرُ.

(٢) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٢٠ / ٤٦٢).

(٣) (صحيح) أحمد، (٥ / ١٥٩)، وأبو داود، (١٣٧٥)، والنسائي، (١٦٠٥)، والترمذي، (٨٠٦)، وابن

ماجة، (١٣٣٧)، وصححه الألباني في صحيح النسائي، (١ / ٣٥٣).

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وَيُسْتَحَبُّ لِلصَّائِمِ إِذَا شَتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ سَابَّهُ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي صَائِمٌ؛ ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرُؤٌ صَائِمٌ».

وَيُسْتَحَبُّ لِلصَّائِمِ كَفُّ الْجَوَارِحِ عَنْ فُضُولِ: الْكَلَامِ، وَالنَّظَرِ، وَالنَّوْمِ، وَالْمَخَالَطَةِ فَإِنَّ تَرْكَهُ وَالنَّوْمَ، مِنْ أَسْبَابِ شَرِّهِ الصَّدْرِ، وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، وَزَوَالِ هَمِّهِ وَغَمِّهِ، وَإِعَانَةِ مَنْ تَرَكَ ذَلِكَ لِلَّهِ عَلَى الطَّاعَاتِ.

وَيُسْتَحَبُّ السَّوَاكُ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ لِلصَّائِمِ وَغَيْرِ الصَّائِمِ: سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ الزَّوَالِ أَوْ بَعْدَهُ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الصَّوْمِ: «وَيُذَكَّرُ عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لَا أُخْصِي وَلَا أُعَدُّ»^(٣).

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ^(٤)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ».

وَيُكْرَهُ لِلصَّائِمِ بَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تُؤَدِّي إِلَى نَقْصِ كَمَالِ الْأَجْرِ، وَمِنْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَضْمُضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ؛ وَذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ يَذْهَبَ الْمَاءُ إِلَى جَوْفِ الصَّائِمِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْقَيْطِ بْنِ صَبْرَةَ: «وَبَالِغٌ فِي الْاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا» وَالْحَدِيثُ

(١) رواه البخاري، (٢٠٩)، ومسلم، (٧٥٩).

(٢) رواه البخاري، (١٩٠٤)، ومسلم، (١١٥١).

(٣) ذكره البخاري قبل الحديث (١٩٣٤).

(٤) (صحيح) أخرجه النسائي (٥)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٦٦٤).

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»^(١) وَيُكَرَّهُ لِلصَّائِمِ الْقُبْلَةُ، وَخَاصَّةً مَنْ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ الْوُقُوعَ فِيهَا يُبْعَلُّ صِيَامُهُ، فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ لِلصَّائِمِ فَرَخَّصَ لَهُ، وَأَنَّهُ آخِرُ فَسَالَهُ، فَتَنَاهَا، فَإِذَا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ شَيْخٌ، وَالَّذِي نَهَا شَابٌ.

وَيُكَرَّهُ بَلْعُ النِّخَامَةِ؛ لِأَنَّهَا مُسْتَقْدَرَةٌ، وَفِيهَا ضَرَرٌ عَلَى الصَّائِمِ وَغَيْرِ الصَّائِمِ، وَالصَّائِمُ أَوْلَى، قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ: (بَلْعُ النِّخَامَةِ حَرَامٌ عَلَى الصَّائِمِ وَغَيْرِ الصَّائِمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا مُسْتَقْدَرَةٌ، وَرَبَّمَا تَحْمِلُ أَمْرًا ضَارًّا خَرَجَتْ مِنَ الْبَدَنِ)^(٣)، وَقَالَ ابْنُ بَازٍ: (أَمَّا النِّخَامَةُ وَهِيَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الصَّدْرِ أَوْ مِنَ الْأَنْفِ، وَيُقَالُ لَهَا النُّخَاعَةُ، وَهِيَ الْبَلْعُ الْغَلِيظُ الَّذِي يَخْصُلُ لِلإِنْسَانِ تَارَةً مِنَ الصَّدْرِ، وَتَارَةً مِنَ الرَّأْسِ، فَهَذِهِ يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بَضْعُهُ وَإِخْرَاجُهُ وَعَدَمُ ابْتِلَاعِهِ، أَمَّا اللَّعَابُ الْعَادِي الَّذِي هُوَ الرِّيقُ، فَهَذَا لَا حَرَجَ فِيهِ، وَلَا يَضُرُّ الصَّائِمَ: لَا رَجُلًا، وَلَا امْرَأَةً)^(٤). ذَوْقُ شَيْءٍ بِلا عُدْرٍ، لَمَّا فِيهِ مِنْ تَعْرِيزِ الصَّوْمِ لِلْفَسَادِ فَإِنْ كَانَ مُحْتَاجًا لَذَلِكَ، كَانَ يَكُونُ طَبَاخًا يَحْتَاجُ لَذَوْقٍ مِلْحِيٍّ، أَوْ حَلَاوِيٍّ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَنْصُقُهُ فَلَا بَأْسَ لِلْحَاجَةِ مَعَ الْحَذَرِ مِنْ وَصُولِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَى خَلْقِهِ)^(٥).

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢٩).

(٢) أَبُو دَاوُدَ (٢٣٨٧)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٢/ ٦٥): (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

(٣) الشَّرْحُ الْمَمْتَعُ (٦/ ١٤٨).

(٤) مَجْمُوعُ فَتَاوَى ابْنِ بَازٍ (١٥/ ٣١٣).

(٥) الشَّرْحُ الْكَبِيرُ مَعَ الْمَمْتَعِ وَالْإِنْصَافِ (٧/ ١٧٩).

(ومن العُذْر مَضْعُ الطعامِ للولَدِ، إذا لم تَجِدِ الأمَّ منه بُدًّا، فلا بُأْسَ به، ويُكْرَهُ إذا كان لها مِنْهُ بُدٌّ.

وليس من العُذْرِ، ذَوْقُ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ لمعرفةِ الجَيِّدِ منه والرَّدِيءِ عند الشراءِ، فَيُكْرَهُ ذَلِكَ. وكذا ذَوْقُ الطعامِ، لِيَنْظُرَ اعتدَالَهُ^(١).

وَيُبَاحُ لِلصَّائِمِ الْأُمُورُ الْآتِيَةُ:

أَنْ يُصْبِحَ جُنُبًا؛ ففي «الصحيحين» (٣٥) من حديث عائشة وأُمِّ سلمة رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ»، وكذلك الحائِضُ وَالنَّفْسَاءُ إِذَا رَأَتِ الطُّهْرَ وَانْقَطَعَ الدَّمُ مِنَ اللَّيْلِ.

وَيُبَاحُ لِلصَّائِمِ الْمَضْمُضَةُ وَالِاسْتِنْشَاقُ فِي الْوُضُوءِ وَالْغُسْلُ بِدُونِ مِبَالِغَةٍ؛ لقول النبي ﷺ للقيط بن صبرة: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالَغْ فِي الْإِسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»^(٢). والحديثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ».

وَيُبَاحُ اغْتِسَالُ الصَّائِمِ، وَصَبُّ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الرَّأْسِ مِنَ الْعَطَشِ أَوْ الْحَرِّ، قال البخاري: «بَابُ اغْتِسَالِ الصَّائِمِ: وَبَلَّ ابْنُ عُمَرَ ثَوْبًا فَأَلْقَاهُ عَلَيْهِ وَهُوَ صَائِمٌ، وَدَخَلَ الشَّعْبِيُّ الْحَمَامَ وَهُوَ صَائِمٌ، وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا بَأْسَ بِالْمَضْمُضَةِ وَالتَّبَرُّدِ لِلصَّائِمِ»^(٣).

(١) الموسوعة الفقهية (٢٨ / ٦٨).

(٢) (صحيح) أحمد (٤ / ٣٢، ٢١١)، وأبو داود (٢٣٦٦)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي (٨٧)، وابن ماجه (٤٠٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ٩١).

(٣) البخاري (١٩٣٠).

وعن أبي بكرٍ عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرَجِ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ الْعَطَشِ أَوْ مِنَ الْحَرِّ»^(١). والحديث أخرجه أبو داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح أبي داود».

ويُباح تذوق الطعام للصائم عند الحاجة لذلك، وقال البخاري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لَا بَأْسَ أَنْ تَطْعَمَ الْقِدْرَ أَوْ الشَّيْءَ»^(٢).

وقال ابن تيمية: «وَأَمَّا إِذَا ذَاقَ طَعَامًا وَلَفْظُهُ، أَوْ وَضَعَ فِي فِيهِ عَسَلًا وَمِجَّةً فَلَا بَأْسَ بِهِ، لِلْحَاجَةِ كَالْمُضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ»^(٣).

ويُباح القبلة والمباشرة للصائم إذا وثق بنفسه وأمن الوقوع في ما حرم الله؛ ففي «الصحيحين»^(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكُكُمْ لِزَيْهِ» ويباح شم الروائح الطيبة لا بأس به للصائم، إلا أنه لا يستنشق دخان البخور؛ لأن له أجزاء^(٥).

وإذا أكل الصائم أو شرب ناسيًا، فلا قضاء عليه ولا كفارة؛ ففي «الصحيحين»^(٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرَبَ فَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطَعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ».

(١) (صحيح) أبو داود، (٢٣٦٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦١).

(٢) رواه البخاري (١٩٣٠)، قال الحافظ في الفتح (٤/ ١٥٤): «وَصَلَّاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ».

(٣) الاختيارات الفقهية (١٦٠)، وانظر: مجموع فتاوى اللجنة الدائمة (١٠/ ٣٣٢).

(٤) رواه البخاري (١٩٢٧، ١٩٢٨)، ومسلم (١١٦).

(٥) الاختيارات الفقهية لابن تيمية (١٦٠).

(٦) رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

وَأَمَّا مَا يَغْرِضُ لِلصَّائِمِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَمَنْ اسْتَشْتَرَى فَدَخَلَ الْمَاءُ فِي حَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، أَوْ دَخَلَ حَلْقَهُ ذُبَابٌ، أَوْ حَصَلَ لَهُ جِرَاحٌ أَوْ جُرْحٌ، أَوْ رُعَافٌ، أَوْ قَيْءٌ، أَوْ دَخَلَ مَاءٌ أَوْ بَنْزِينٌ، أَوْ غُبَارٌ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ فَلَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ ^(١) انظر صحيح البخاري، قال عطاء: (إن استشرى فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك). وقال الحسن: (إن دخل حلقه الذباب فلا شيء عليه)، قبل الحديث رقم ١٩٣٣.

تحليل الدم، لكن تأخير ضرب الإبر والتحليل إلى الليل أولى وأحوط إذا تسر ذلك؛ ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في صحيح الترمذي ^(٢) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «دَعْ مَا يُرِيكَ إِلَى مَا لَا يُرِيكَ» وأما البخ في النِّفَمِ أَوْ الْأَنْفِ لِأَصْحَابِ مَرَضِ الرَّبْوِ، فَلَا بَأْسَ بِالْبَخَّاخِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى الْأَكْسَجِينِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْهَوَاءِ.

وَلَا بَأْسَ بِتَنْظِيفِ الْأَسْنَانِ بِالْمَعْجُونِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُفْطِرُ الصَّائِمَ كَالسَّوَالِكِ، وَلَكِنْ عَلَى الصَّائِمِ التَّحَرُّزُ مِنْ ذَهَابِ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَى جَوْفِهِ، فَإِنْ غَلَبَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِدُونِ قَصْدٍ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ بَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٣).

«اللَّهُمَّ أَنْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا».

«اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَائِمِينَ، وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَاعِدِينَ، وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ

(١) انظر صحيح البخاري، قال عطاء: (إن استشرى فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك). وقال الحسن: (إن دخل حلقه الذباب فلا شيء عليه)، قبل الحديث رقم ١٩٣٣.

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٦١١).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٢٦٠).

رَاقِدِينَ، وَلَا تُشْمِثْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ.

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَمَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا. وَتَمَتُّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا تَبْلُغْ عَلْمَنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وسبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



فضل قراءة القرآن في رمضان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد:

فحديثي اليوم عن قراءة القرآن في رمضان وَمِنْ اللَّهِ تَسْمِيدُ التَّوْفِيقِ.

والحديث عن تلاوة القرآن الكريم في رمضان وغير رمضان ذو شُجُونٍ وَمَاذَا نَقُولُ وَقَدْ اسْتَفَاضَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ الْمَطْهُرَةُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ فَضْلِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَا لَا مَزِيدَ وَلَا جَدِيدَ.

قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٢١].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [٢١] ﴿[الأعراف: ٢٠٦].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢٢] ﴿[الأنفال: ٢].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ﴾ [٢٣] ﴿[فاطر: ٢٩].

وقال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَسَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [٢٤] ﴿[الزمر: ٢٣].

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّيرٍ﴾ [٢٥] ﴿[القمر: ١٧].

واستفاضت السنة في ذكر فضل تلاوة القرآن الكريم بما يشفي صدور قوم مؤمنين. فأخبر ﷺ أن الماهر بالقرآن مع الملائكة الكرام في الحفظ والمنزلة.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتنعم فيه وهو عليه شاق له أجران». قال النووي رحمه الله: الماهر: أي الحاذق، والمراد هنا جودة التلاوة مع حسن الحفظ. والمراد بالسفرة: الكتبة.

والبررة: أي المطيعين المطهرين من الذنوب.

(١) البخاري (٤٩٣٧)، مسلم (٧٩٨).

يَتَتَعْتَعُ فِيهِ: أَيِ الَّذِي يَتَرَدَّدُ فِي تِلَاوَتِهِ لِضَعْفِ حِفْظِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ: أَجْرٌ بِالْقِرَاءَةِ وَأَجْرٌ بِتَتَعْتُعِهِ فِي تِلَاوَتِهِ وَمَشَقَّتِهِ.

وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: الَّذِي يَتَتَعْتَعُ عَلَيْهِ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَاهِرِ بِهِ، بَلِ الْمَاهِرُ أَفْضَلُ وَأَكْثَرُ أَجْرًا^(١).

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ تَعَلَّمَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ خَيْرٌ مِنْ نَفَائِسِ الدُّنْيَا.

فَقِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «إِيَّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُو كُلُّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ لَيْثٍ وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

وَالْكَوْمَاءُ: النَّاقَةُ عَظِيمَةُ السِّنَامِ.

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْقَارِئَ لِكِتَابِ اللَّهِ يَكْسِبُ جِبَالًا مِنَ الْحَسَنَاتِ.

فَقِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ^(٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: أَلَمْ حَرْفٌ وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٨٥).

(٢) مسلم (٨٠٣).

(٣) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٩١٠). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: هذه نِعْمَةٌ من اللهِ ﷻ في هذا الشهر المُبَارَكِ، تَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ حَرْفٍ من حُرُوفِ الْقُرْآنِ فِيهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ. قال ابنُ عَصْفُورٍ وَيُرْوَى مَرْفُوعًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا أَقُولُ: (الْم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» يَعْنِي: ثَلَاثَةُ حُرُوفٍ تُعْتَبَرُ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُذْرِكُ عَدَدَهُ إِلَّا اللهُ ﷻ، كُلُّ هَذَا لِأَنَّكَ تَقْرَأُ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ، خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ حَبِيبٍ إِلَيْكَ، مَا ظَنَنْتَ لَوْ جَاءَتْكَ رِسَالَةٌ مِنْ صَدِيقٍ لَكَ، كُلُّ سَاعَةٍ تُطْلِعُهَا مِنْ حَبِيبِكَ وَتَقْرَأُهَا، كَأَنَّمَا تَوَاجَهُ صَدِيقُكَ أَوْ حَبِيبُكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَنْتَ إِذَا قَرَأْتَ كَلَامَ اللهِ لَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَحَبُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ هُوَ اللهُ ﷻ، يَقْرَأُ كَلَامَ اللهِ ﷻ، مِنْ جِهَةِ التَّعْظِيمِ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ. وَكَانَ جَبْرِيلُ يُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، إِلَّا السَّنَةَ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ قَرَأَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، لِمَاذَا؟ مِنْ أَجْلِ الْأَسْتِثْنَاءِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ وَاللهُ الْحَمْدُ مُحْفُوظٌ إِلَى آخِرِ حَيَاةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَمْ يَتَغَيَّرْ، لَا يَنْقُصُ، وَلَا يَزِيدُ، وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَنْ أَنْكَرَ حَرْفًا مِنْهُ وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ^(١).

وَسَبَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِالْأُتْرُجَةِ يَسْتَلِدُّ النَّاسُ بِطَعْمِهَا وَيَسْتَرِيحُونَ بِرِيحِهَا.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ

(١) جلسات وفتاوى ابن عثيمين ٤/ ١٢.

(٢) البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٧).

الْقُرْآنَ مِثْلَ الرِّبْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ الْحَنَظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ.

وفي رواية: «مِثْلُ الْفَاجِرِ» بَدَلُ «الْمُنَافِقِ». وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي بَعْضِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرَاجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا».

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْقُرْآنَ يُشْفَعُ فِي أَصْحَابِهِ، وَأَصْحَابُ الْقُرْآنِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتْلُوهُ وَيَقْرُؤُونَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَعْمَلُونَ بِهِ فَنَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ».

وهذه الشفاعة لَا تَخْتَصُّ بِمَنْ حَفِظَهُ بَلْ هِيَ عَامَّةٌ تَشْمَلُ تِلَاوَتَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ.

وَأَخْبَرَنَا ﷺ أَنَّ الْقُرْآنَ حُجَّةٌ لَصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَنَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا».

وَأَخْبَرَ ﷺ بَأَنَّ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ لِلنَّاسِ فَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ مَنَزَلَةً.

فَنَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

(١) رواه مسلم (٨٦).

(٢) رواه مسلم (٨٥).

(٣) رواه البخاري (٥٢٧).

وأخبر ﷺ أَنَّ الْغِبْطَةَ الْحَقِيقِيَّةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِرَجُلَيْنِ قَارِئِي الْقُرْآنِ وَصَاحِبِ الصَّدَقَةِ.
وأخبر ﷺ بأربع فضائل لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلْقُعُودِ مع قومٍ يذكرون الله تعالى؛ ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لَا يَقْعُدُ قومٌ يذكرون الله ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ مِنَ النَّعَمِ الَّتِي يُغْبِطُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ.
ففي «الصحيحين»^(٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ، فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَتَصَدَّقَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ».

وفي لفظ آخر: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ».

ومعنى قَوْلِهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ» أَي لَا غِبْطَةَ، وَهِيَ تَمَنِّيٌ مِثْلُ النِّعْمَةِ الَّتِي عِنْدَ الْغَيْرِ مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا، بِخِلَافِ الْحَسَدِ الَّذِي هُوَ تَمَنِّيٌ مِثْلُ النِّعْمَةِ الَّتِي عِنْدَ الْغَيْرِ مع تَمَنِّي زَوَالِهَا وَالْغِبْطَةُ مَحْمُودَةٌ وَالْحَسَدُ مَذْمُومٌ.

وأخبر أَنَّ الصِّيَامَ وَالْقُرْآنَ يَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الصِّيَامُ

(١) مسلم (٢٧٠).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد (٦٦٢٦) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢).

والقرآن يُشَفِّعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفِّعَانِ».

وَأَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ مُنْجَاةٌ مِنَ الْغَفْلَةِ فِيهِ مُسْتَذْرِكُ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» ^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ».

وَأَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَأَنَّ مَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ.

فِي «الْكَبِيرِ» لِلطَّبْرَانِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» ^(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ وَمَا حُلَّ مُصَدِّقٌ مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ».

فَتِلْكَ الْمَنْزِلَةُ وَتِلْكَ الْأَجُورُ إِنَّمَا هِيَ لِقَائِي الْقُرْآنِ الْعَامِلِ بِهِ وَهِيَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ وَقَطْرَةٌ مِنْ مَطَرٍ وَلَا فَضَائِلُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِهِ كَثِيرَةٌ فَعَلِينَا أَنْ نَغْتَنِمَ الْفُرْصَ وَخَاصَّةً فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» ^(٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرَيْلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٢١٤٢) وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٦٤٠) صَحِيحٌ لغيره.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٨٦٥٥) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٤٣١٩).

(٣) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

قال الإمام ابن رَجَب: دَلَّ الحديثُ على استحبابِ دراسةِ القرآنِ في رمضانَ والاجتماعِ على ذلك، وعَرْضِ القرآنِ على من هو أَخْفَظُ له... وفيه دليلٌ على استحبابِ الإكثارِ من تلاوةِ القرآنِ في شَهْرِ رَمَضانَ، وفي «الصحيحين»^(١) من حديثِ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخْبَرَهَا أَنَّ جبريلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً وَأَنَّهُ عَارِضُهُ فِي عَامٍ وَفَاتِيهِ مَرَّتَيْنِ^(٢).

وأفضلُ أوقاتِ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّ مُدَارَسَةَ جبريلَ لِلنَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَتْ لَيْلًا.

قال ابنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفي حديثِ ابنِ عباسٍ أَنَّ المُدَارَسَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جبريلَ كَانَتْ لَيْلًا يَدُلُّ على استحبابِ الإكثارِ من التلاوةِ في رمضانَ لَيْلًا فَإِنَّ اللَّيْلَ تَنْقَطِعُ فِيهِ الشَّوَاغِلُ وَيَجْتَمِعُ فِيهِ النِّهَمُ، ويتواطأُ فِيهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ على التدبُّرِ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦]^(٣).

اللهم أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

رَبِّ أَعِنَّا وَلَا تَعِنْ عَلَيْنَا، وَأَنْصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا. وَامْكُرْ لَنَا وَلَا تَمْكُرْ عَلَيْنَا، وَاهْدِنَا وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيْنَا، وَأَنْصُرْنَا عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْنَا. رَبِّ اجْعَلْنَا لَكَ شُكَّارِينَ، لَكَ ذُكَّارِينَ، لَكَ رَهَّابِينَ، لَكَ مِطْوَاعِينَ، إِلَيْكَ مُخْبِتِينَ أَوْاهِينَ مُنِيبِينَ، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتَنَا، وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا، وَأَجِبْ دَعْوَتَنَا، وَتَبِّتْ حُجَّتَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَسَدِّدْ لِسَانَنَا، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قُلُوبِنَا.

وسبحانك اللهُ وبحمديك، أشهدُ أن لا إلهَ إلا أنتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

(١) رواه البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) لطائف المَعَارِفِ (٣٥٤ - ٣٥٥).

(٣) المرجع السابق (٣٥٥).

آداب قراءة القرآن

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن آداب قراءة القرآن الكريم وهي آدابٌ يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى
بِهَا قَارِئُ الْقُرْآنِ؛ تَوْقِيرًا وَتَبْجِيلًا لِمَكَانَةِ هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَمِنْ تِلْكَ الْأَدَابِ:

الإخلاص لله تعالى:

قال النووي رحمته الله: «أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِلْمَقْرِئِ وَالْقَارِئِ أَنْ يَقْصِدَا بِذَلِكَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ
دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]. أَي: الْمِلَّةُ الْمُسْتَقِيمَةُ، وَفِي «الصَّحِيحِينَ» ^(١) مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رضي الله عنه

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٧).

عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (١).

وَمِنْ آدَابِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَعْظِيمُ كَلَامِ اللَّهِ ﷻ:

يَنْبَغِي أَنْ يَمْتَثِلَ التَّالِي وَالسَّامِعُ كَلِمَاتِ التَّنْزِيلِ وَآيَاتِهِ الَّتِي يَنْطِقُ بِهَا جَبْرِيلُ ﷺ حِينَ يُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَبِّهِ إِلَى أَفْضَلِ أَنْبِيَائِهِ ثُمَّ حِينَ يَقْرُؤُهَا بَعْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِهِ، ثُمَّ يُبَلِّغُهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَإِنْ اسْتَحْضَرَ ذَلِكَ خَشَعَ قَلْبُهُ وَخَشَعَتِ جَوَارِحُهُ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَى حَوَاسِهِ مَخَافَةُ اللَّهِ وَخَشْيَتُهُ وَجَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ.

وَإِذَا اسْتَحْضَرَ عَظَمَةَ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ، اسْتَشْعَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلَهُ وَلَطْفَهُ بِخَلْقِهِ أَنْ يَسَّرَ لَهُمْ قِرَاءَتَهُ وَفَهْمَهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَمَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَلْيَقْدِرْ نَفْسَهُ كَأَنَّمَا يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ يُخَاطِبُهُ بِهِ» (٢).

وَمِنْ آدَابِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ حُضُورُ الْقَلْبِ:

بَأَنْ يَطْرُدَ حَدِيثَ النَّفْسِ أَثْنَاءَ تِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَا التَّعْظِيمِ، فَإِنَّ الْمُعْظَمَ لِكَلَامِ اللَّهِ يَسْتَبِشِرُ بِهِ، وَيَأْتُسُّ لَهُ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْهُ، وَعَلَى الْقَارِئِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي ذَهْنِهِ أَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ، وَيُنَاجِيهِ بِتِلَاوَةِ كَلَامِهِ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى الْخُشُوعِ وَالتَّوَدُّعِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣): «قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ: إِذَا أَرَدْتَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ، فَاجْمَعْ قَلْبَكَ

(١) التَّبَيَّنْ فِي آدَابِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ (ص ١٧).

(٢) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/ ٤٩٩).

(٣) الْفَوَائِدُ (٣).

عند تلاوته وسماعه، وألقى سمعك، واخضر حُضور مَنْ يُخاطبه به من تكلم به سبحانه مِنْهُ إليه؛ فإنه خطابٌ منه لك على لسانِ رسوله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وقوله: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ المرادُ به: القلبُ الحيُّ الذي يعقلُ عن الله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩، ٧٠]؛ أي: حيُّ القلب، وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾؛ أي: وَجَّهَ سَمْعَهُ، وأصغى حاسةَ سَمْعِهِ إلى ما يُقالُ له، وهذا شرطُ التأثيرِ بالكلام، وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ أي: شاهدُ القلب، حاضرٌ غيرُ غائب؛ قال ابنُ قتيبة: استمعَ كتابُ الله وهو شاهدُ القلبِ والفهم ليس بغافل ولا ساهٍ، وهو إشارةٌ إلى المانع من حصولِ التأثير، وهو سهوُ القلبِ وغيثُهُ عن تعقلِ ما يُقالُ له، والنظرُ فيه وتأمله.

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ الطهارةُ:

قال النووي: «يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ وهو على طهارةٍ، فإن قرأ مُخْدِئًا جَارَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ»^(١).

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ الاستيلاءُ:

قال النووي: «وينبغي إذا أَرَادَ الْقِرَاءَةَ أَنْ يُنَظِّفَ فَاH بِالسَّوَالِكِ وَغَيْرِهِ»^(٢).

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ حُسْنُ الْهَيْئَةِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ:

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ نِظَافَةُ الْمَكَانِ الَّذِي يَقْرَأُ فِيهِ:

قال النووي: «يُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِي مَكَانٍ نَظِيفٍ مُخْتَارٍ، وَلِهَذَا اسْتَحَبَّ

(١) المصدرُ السابقُ (ص ٣٨).

(٢) المصدرُ السابقُ (ص ٣٧).

جماعة من العلماء القراءة في المسجد لكونه جامعاً للنظافة وشرف البقعة^(١).

ومن آداب تلاوة القرآن الاستعاذة عند بداية القراءة:

أن يستعبد بالله من الشيطان الرجيم عند إرادة القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أما البسملة، فإذا ابتدأ قراءته من أول السورة وجب الإتيان بالبسملة، إلا في سورة التوبة فإنه ليس في أولها بسملة، وأما إذا ابتدأ من وسط السورة، فإنه يُخير بين الإتيان بالبسملة وتركها.

ومن آداب تلاوة القرآن الترتيل:

قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤].

قال ابن جرير: «يقول جل ثناؤه ويترن القرآن إذا قرأته تبيناً وترسل فيه ترسلًا»^(٢).

وقال ابن كثير: «أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره»^(٣).

وعن قتادة قال: سُئِلَ أَنَسٌ، كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟ قال: كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَمُدُّ بِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ^(٤).

والله سبحانه من سعة رحمته وكرمه جلّ وعلا يُضاعف الأجر للعباد فضلاً منه ونعمة وأن الأجر يقع على الحرف وأن الحسنات تتضاعف.

(١) التبيان (ص ٤٠).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢ / ٢٨٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٦٣).

(٤) رواه البخاري (٥٤٦).

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: والصواب أن يُقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قَدْرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا فالأول: كمن تصدَّق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبدًا قيمته نفيسة جدًا، والثاني: كمن تصدَّق بعدد كثير من الدراهم أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: سألت أنسًا عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمدُّ مدًّا. اهـ. زاد المعاد (١/ ٢٥٢).

ومن آداب تلاوة القرآن تحسين الصوت بالقرآن:

وهو أمر مُستحب؛ لكونه أوقع في القلوب وأشدَّ تأثيرًا وأرقَّ للسامعين.

عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا أبا موسى لقد أُوتيت مزمارة من مزامير آل داود»^(١).

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبِّي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن يَجْهَرُ بِهِ»^(٢).

قال أبو بكر الأجري: «ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصَّه بخير عظيم، فليعرف قدر ما خصَّه الله به، وليقرأ الله لا للمخلوقين، وليحذر من الميل إلى أن يُستمع منه ليخطئ به عند السامعين رغبة في الدنيا، فمن مالت نفسه إلى ما نهته عنه خفت أن يكون حسن صوته فتنة عليه، وكان مراده أن يُستمع منه القرآن ليشتبه أهل الغفلة عن غفلتهم، فيرغبوا فيما رغبهم الله ﷻ، ويتبهوا عما نهاهم، فمن كانت هذه صفة انتفع بحسن صوته وانتفع به الناس»^(٣).

(١) رواه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٣)، ومسلم (٧٩٢).

(٣) أخلاق حملة القرآن (ص ٢١).

وتحسين الصوت عند تلاوة القرآن يكون بحسب طبعه وما جيل عليه؛ لا باتباع الأنغام الموسيقية التي تُعرف (بالمقامات).

فقراءة القرآن الكريم بالألحان والأنغام الموسيقية والمقامات المستمدة من علم الموسيقى أمرٌ محرّمٌ وبدعة، لم يفعلها النبي ﷺ، ولا أصحابه رضِيَ الله عنهم، ولا نزل بها جبريل عليه السلام.

قال القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا: إن قراءة القرآن بلغتنا متواترة عن كافة المشايخ جيلاً فجيلاً إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ، وليس فيها تلحين ولا تطريب، ثم إن في الترجيع والتطريب هَمْزٌ ما ليس بهموز، ومدٌ ما ليس بممدود، فترجع الألف الواحدة ألفاً والواو الواحدة واوًا؛ فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوعٌ اهـ (١).

ومن آداب تلاوة القرآن الجهر بالقراءة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ١٨).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الآية: نزلت ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون قراءة تك ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، أسمعهم القرآن، ولا تجهز ذلك الجهر ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١) يقول بين الجهر والمخافتة (٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، الجزء الأول، ص (٢٩٣).

وفي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحه»^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: «ألا إن كلكم مناج ربّه، فلا يؤذّن بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة» أو قال: «في الصلاة».

قال بعض أهل العلم: «ووجه الجمع أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره، فالخير المتعدي أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله»^(٢).

ومن آداب تلاوة القرآن تدبر الآيات بأن يتدبر ما يقرأ ويتفهم معانيه؛ إذ لا خير في قراءة لا تدبر فيها، فيحاول استيعاب المعاني وفهمها لأنها أوامر رب العالمين التي يجب أن ينشط العبد لتنفيذها بعد فهمها وتدبرها.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبَرَكًا لِّتَذَّبُرُوا آيَاتِهِ وَلِتُذَكِّرُوا الْبَشَرَ﴾ [ص: ٢٩].

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد مبارك ليتدبروا آياته، يقول: ليتدبروا حجاج الله التي فيه وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به»^(٣).

(١) رواه أبو داود (١٣٣٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٣)، وفي الصحيحه (١٥٩٧)، (١٦٣).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٣٧٠).

(٣) جامع البيان (٢١/ ١٨٠).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ (١) [محمد: ٢٤].

قال القرطبي: «دلّت هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن ليُعرف معناه» (١).

ومن آداب تلاوة القرآن مراعاة حقّ الآيات:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مع النبي ﷺ ذات ليلة فافْتَتَحَ البقرة، فقلت: يَرْكَعُ عند المائة، ثم مَضَى، فقلت: يُصَلِّي بها في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فقلت: يَرْكَعُ بها، ثم افْتَتَحَ النساءَ فقرأها، ثم افْتَتَحَ آلَ عمرانَ فقرأها، يقرأ مُسْتَرَسلاً: إذا مرَّ بآية فيها تسبيحٌ سَبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤالٍ سَأَلَ، وإذا مرَّ بتعوذٍ تَعَوَّذَ...» (٢).

قال الأجرى: «وأحب إذا درسَ فَمَرَّتْ به آيةٌ رحمةٌ سأل مولاهُ الكريم، وإذا مَرَّتْ به آيةٌ عذابٍ استعاذَ بالله ﷻ من النار، وإذا مرَّ بآية تنزيهٍ لله ﷻ عما قال أهل الكُفرِ سَبَّحَ الله وعَظَّمَهُ» (٣).

٦ البكاء عند قراءة القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩).

ففي سُنَنِ أَبِي داودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤) عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يُصَلِّي، وفي صدره أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ من البكاء».

والمِرْجَلُ - بكسر الميم -: القِدْرُ، وأزيزُ المِرْجَلِ: صوتُ غليانه.

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٠).

(٢) رواه مسلم: صلاة المسافرين (٢٧٢).

(٣) أخلاق حملة القرآن (ص ٢٠).

(٤) رواه أبو داود (٩٠٤)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٤٤).

وفي «الصحيحين»^(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عَلَيَّ»، قلت: يا رسول الله، اقرأُ عليك، وعليك أنزل؟ قال: «نعم»، فقرأت سورة النساء، حتى أتيتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «حَسْبُكَ الآنَ»، فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان».

ومن آداب تلاوة القرآن المحافظة على سجود التلاوة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

قال ابن كثير: «أي إذا سمعوا كلام الله المتضمن حُجَجَهُ ودلائله وبراهينه سجدوا لرَبِّهِمْ خضوعاً واستكانةً، حمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعاً لِمَنُوا بِهِمْ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان بيني، يقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»^(٣).

قال الأجرى: «وأحبُّ للقارئ أن يأخذ نفسه بسجود القرآن كلما مرَّ بسجدة سجد فيها، وفي القرآن خمس عشرة سجدة، وقد قيل أربع عشرة سجدة، وقد قيل إحدى عشرة سجدة، والذي أختار له أن يسجد كلما مرَّت به سجدة، فإنه يُرضي ربه ﷻ، ويغيظ عدوه الشيطان»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، واللفظ له، ومسلم (٨٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٣٤) يتصرف يسير.

(٣) أخرجه مسلم: الإيمان (٨١) ولكن قال (فأُتيت) بدل (فعصيت).

(٤) أخلاق حملة القرآن (ص ١٩٨).

ومن آداب تلاوة القرآن الاجتماع عند التلاوة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(١).

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يذكرون الله إلا حفَّتْ بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»^(٢).

قال النووي: «اعلم أن قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظاهرة»، ثم ذكر الحديثين السابقين فقال: «وروى ابن أبي داود فعل الدراسة مجتمعين عن جماعات من أفاضل السلف والخلف وقضاة المتقدمين»^(٣).

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

اللَّهُمَّ قِنَا شَحْ أَنْفُسِنَا وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُفْلِحِينَ.

اللهم آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

وسبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٥١).

قيام رمضان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن فضل قيام رمضان.

ولقيام رمضان فضائل عظيمة وصفة يتصف بها المؤمن.

قال الله ﷻ: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩].

وقال الله ﷻ: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [١١] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] [السجدة: ١٦-١٧].

فعندما هدأت الأصوات وسكنت الحركات قاموا لرُبهم ﷺ يَتَمَلَّقُونَهُ وَيَدْعُونَهُ رَغَبًا وَرَهَبًا، فَكَمَا أَخْفَوْا الْعَمَلَ وَاسْتَرَوْا بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ عِنْدَ ذَلِكَ أَخْفَى اللَّهُ ﷻ لَهُمُ الثَّوَابَ، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة: ١٧].
وقال ﷺ في وَصْفِ الْمُحْسِنِينَ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ النَّاسِ مَا يَجْعَلُونَ﴾ (١٧) وَيَأْتِيهِمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٨) [الذاريات: ١٧ - ١٨].

وهذا الذي ذكرناه في رمضان وغير رمضان وقيام رمضان اختص بمغفرة الذنوب. ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». فدل الحديث على أن للإخلاص تأثيرًا في الثواب لقوله: «إيمانًا» فلم يقم عادة. ودل الحديث على أنه لا يحصل هذا الثواب العظيم إلا لمن جمع بين الوصفين (الإيمان والاحتساب) وأكثر الناس يغفل عن الاحتساب بل يقومون بالعمل لأنه عمل صالح لكن الاحتساب قليل.

ودل الحديث على أن قيام رمضان تغفر به الذنوب الصغائر والكبائر وأخذ من العموم. وهل المراد الذنوب السابقة غير الشرك أو الصغائر فقط؟ أكثر العلماء على الثاني وهذا ظاهر فيما إذا كان العمل واحدًا ثم ذكر ثوابه مطلقًا في مكان ومقيّدًا في مكان.

مثال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» وهذا صريح في أن رمضان يدخل فيه صيامه وقيامه

(١) صحيح البخاري (٢/ ٦٠) برقم (٢٣٩)، صحيح مسلم (١/ ٥٢٣) رقم (٧٥٩).

مكفر بشرط اجتناب الكبائر.

قال ابن عثيمين رحمه الله: «وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها، والاعتناء بها، واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة يستهزها المؤمن العاقل قبل فواتها». اهـ (١).

وقيام رمضان سنة رسول الله ﷺ ولا حجة لمن قال إنه فعل عمر رضي الله عنه والصواب أن عمر رضي الله عنه عمل على إحياء السنة التي فعلها رسول الله ﷺ وحث عليها.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: «وتشرع الجماعة في قيام رمضان، بل هي أفضل من الانفراد لإقامة النبي ﷺ لها بنفسه وبيانه لفضلها بقوله كما في حديث عن أبي ذر قال: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى يَبْقَى سَبْعٌ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ تَقَلَّتْنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ اللَّيْلَةِ». قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ الرَّابِعَةُ لَمْ يَقُمْ فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ وَالنَّاسَ فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ. قَالَ قُلْتُ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السَّحُورُ. ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا بَقِيَّةَ الشَّهْرِ» (٢).

وأما عدد ركعات قيام رمضان فقد رجح الشيخ الألباني عدد ركعات صلاة القيام إحدى عشر ركعة، وقال ونختار أن لا يزيد عليها اتباعاً لرسول الله ﷺ فإنه لم يزد عليها حتى فارق الدنيا فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاته ﷺ في رمضان؟

(١) مجالس شهر رمضان (ص ١٨).

(٢) قيام رمضان (٢٢) للألباني وقال: صحيح أخرجه أصحاب السنن، راجع صحيح أبي داود ١٢٤٥ والإرواء ٤٤٧.

فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَ رَكْعَةٍ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنَيْنٍ وَطَوِيلَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْلُ عَنْ حُسْنَيْنٍ وَطَوِيلَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا»، والحديث في «الصحيحين»^(١).

قال ابن حجر رحمته الله في: «هذا مع كونها أعلم بحال النبي ﷺ ليلاً من غيرها»^(٢).

وَمَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ».

قال الألباني: «الشاهد قوله: «مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ...» فَإِنَّهُ ظَاهِرُ الدَّلَالَةِ عَلَى فَضِيلَةِ قِيَامِ رَمَضَانَ مَعَ الْإِمَامِ»^(٤).

وقال ابن عثيمين رحمته الله: «... وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْجَمَاعَةَ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ تُفَرَّضَ عَلَى أُمَّتِهِ،...

وَكَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَطِيلُونَهَا جِدًّا، فِي حَدِيثِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْمِثْنَيْنِ يَعْنِي بِمِثَاتِ الْآيَاتِ حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعِصِيِّ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ، وَهَذَا خِلَافُ مَا كَانَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ حَيْثُ يُصَلُّونَ التَّرَاوِيحَ بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَأْتُونَ فِيهَا بِوَاجِبِ الْهُدُوءِ وَالطَّمَأْنِينَةِ الَّتِي هِيَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ لَا

(١) البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).

(٢) الفتوح ١/ ٥٤ وانظر (قيام رمضان ص ٢٢) للألباني.

(٣) (صحيح) رواه أبو داود ١٣٧٥ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤١٧).

(٤) قيام رمضان (٢٣) للألباني.

تصح الصلاة بدونها فيخلون بهذا الركن ويتعبون من خلفهم من الضعفاء والمرضى وكبار السن فيجتنون على أنفسهم ويجنون على غيرهم، وقد ذكر العلماء رحمهم الله أنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمومين فعل ما يسن، فكيف بسرعة تمنعهم فعل ما يجب، نسأل الله السلامة^(١).

وقال رحمه الله: ولا ينبغي للرجل أن يتخلف عن صلاة التراويح، لينال ثوابها وأجرها، ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الوتر ليحصل له أجر قيام الليل كله^(٢).

وهنا فائدتان: ذكرهما ابن عثيمين رحمه الله الفائدة الأولى: (هل الإمامان في مسجد واحد يُعتبر كل واحد منهما مُستقلاً، أو أن كل واحد منهما نائب عن الثاني؟ قال: الذي يظهر الاحتمال الثاني، أن كل واحد منهما نائب عن الثاني مكمل له، وعلى هذا فإن كان المسجد يُصلي فيه إمامان فإن هذين الإمامين يُعتبران بمنزلة إمام واحد، فيبقى الإنسان حتى ينصرف الإمام الثاني؛ لأننا نعلم أن الثانية مكملة لصلاة الأول)^(٣).

الفائدة الثانية: سئل ابن عثيمين: إذا كان الرجل في رمضان يصلي أول الليل في مسجد وآخر الليل في مسجد هل يكون الأجر مثله؟ فأجاب بقوله: (قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من قام مع الإمام حتى ينصرف - يعني: في قيام رمضان - كتبت له قيام ليلة. فإذا صلى مع الإمام الأول ثم صلى مع الثاني لم يصدق عليه أنه صلى مع الإمام حتى ينصرف؛ لأنه جعل قيامه بين رجلين، فيقال له: إما أن تقوم مع هذا من أول الليل إلى آخره، وإما أن يفوتك الأجر)^(٤).

(١) مجالس شهر رمضان (١٩).

(٢) المرجع السابق (٢٠).

(٣) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١٤ / ٢٠٧).

(٤) «إفتاء الباب المفتوح» (اللقاء رقم ١٧٦).

وقال ﷺ: ويجوزُ للنساء حضورُ التراويح في المسجد إذا أُمِنَتْ الفتنةُ منهنَّ
وبهنَّ لقولِ النبي ﷺ: «لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»^(١) ولأنَّ هذا مِنْ عَمَلِ السَّلَفِ
الصالحِ ﷺ لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ مَتَسْرَةً مُتَحَجِّبَةً غَيْرَ مَتَبَرِّجَةٍ وَلَا مَتَطَيِّبَةٍ وَلَا رَافِعَةٍ
صَوْتًا وَلَا مُبْدِيَةٍ زِينَةٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» أَي: لَكِنْ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا فَلَا يُمَكِّنُ إِخْفَاؤُهُ وَهُوَ الْجِلْبَابُ وَالْعَبَاءَةُ وَنَحْوُهُمَا، وَلَأنَّ النَّبِيَّ ﷺ «لَمَّا
أَمَرَ النِّسَاءَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الصَّلَاةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَانَا لَا
يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ. قَالَ: «لَتُبْلِسَ أَخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا»^(٢). وَتَكُونُ صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي
الْمَسْجِدِ أَفْضَلَ وَخَاصَّةً إِذَا خَشِيتُ التَّفْرِيطَ فِي الْقِيَامِ أَوْ ضِيَاعَهُ، أَوْ كَانَتْ صَلَاتُهَا فِي
الْمَسْجِدِ أَخْشَعَ لَهَا وَأَنْشَطَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣).

فَقِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَمْنَعُوا
نِسَاءَ كَمِ الْمَسَاجِدِ، وَيَبِوتُهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ».

وَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»^(٥) عَنْ
أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى
يَقْبِي سَبْعٌ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا، فَلَمَّا كَانَتِ
الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَقَلْنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٩٠٠)، وَمُسْلِمٌ (٤٤٢).

(٢) مَجَالِسُ شَهْرِ رَمَضَانَ (٢٤ - ٢٥) لِلْعِثْمِينِ.

(٣) انْظُرْ تَعْلِيقَاتِ الْعِثْمِينِ عَلَى الْكَافِيَةِ لِابْنِ قُدَّامَةَ (٢/ ٢٧٨).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٤٢).

(٥) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٣٧٥) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ (٢٤٥) وَالْإِرْوَاءِ (٤٤٧).

فقال: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ الرَّابِعَةُ لَمْ يَقُمْ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ وَالنَّاسَ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ - أَيِ السَّحُورِ - ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِقِيَّةِ الشَّهْرِ».

ففي قول أبي ذرٍّ رضي الله عنه: «جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ»، دلالة على مشروعية صلاة النساء للتراويح جماعة في المسجد.

وذكر العلماء - رحمهم الله - شروطاً لحضور النساء فمئنها:

قال النووي: «قوله ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» هذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهر في أنها لا تمنع المسجد لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث وهو أن لا تكون مُتَطَيِّبَةً ولا مترتنة ولا ذات خلاخل يُسمع صوتها ولا ثياب فاخرة ولا مختلطة بالرجال ولا شابة، ونحوها ممن يُفتتن بها وأن لا يكون في الطريق ما يُخاف به مفسدة ونحوها، وهذا النهي عن منعهن من الخروج محمول على كراهية التنزيه إذا كانت المرأة ذات زوج أو سيّد ووجدت الشروط المذكورة، فإن لم يكن لها زوج ولا سيّد حرّم المنع إذا وجدت الشروط»^(١).

وقال ابن باز: «أمّا النساء فالأفضل لهنّ الصلاة في البيوت، وإن صلّين مع الرجال في المساجد فلا بأس بشرط التّحجّب وعدم الطّيب والتبرّج والبعد عن أسباب الفتنة»^(٢).

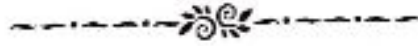
وقال ابن عثيمين: «ولا بأس بحضور النساء صلاة التراويح إذا أمنت الفتنة بشرط أن يخرجنّ مُحْتَشِمَاتٍ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَلَا مُتَطَيِّبَاتٍ»^(٣).

(١) شرح مسلم (٤/ ١٦١ - ١٦٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣٠ / ٢٥).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤ / ٢١١).

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَذْوَاءِ.
 اللَّهُمَّ قَنَعْنَا بِمَا رَزَقْتَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيْنَا كُلَّ غَائِبَةٍ لَنَا بِخَيْرٍ.
 اللَّهُمَّ حَاسِبْنَا حِسَابًا يَسِيرًا.
 اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.
 وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



الاعتكاف أحكام وفوائده

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] (ال عمران: ١٠٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] (النساء: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] (الأحزاب: ٧٠ - ٧١).

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أما بعد: فحديثي اليوم عن الاعتكاف وما فيه من أحكام وفوائد تملأ الصُّدْرَ وَالنَّحْرَ.

والاعتكاف شَرْعًا: لزوم مسجد جماعة، بنية لعبادة الله فيه، من شخصٍ مخصوصٍ، بشروطٍ مخصوصةٍ، على صفةٍ مخصوصةٍ، في زمنٍ مخصوصٍ.

شروط الاعتكاف: الاعتكاف في المساجد عبادة لله تعالى لها شروط لا تصح إلا

بها، وهي على النحو الآتي:

الشرط الأول: الإسلام.

الشرط الثاني: العقل.

الشرط الثالث: التمييز.

أما البلوغُ والذكوريةُ فلا يشترطان لصحة الاعتكاف، فإنه يصحُّ الاعتكافُ من غير البالغ إذا كان مُمَيَّزًا، وكذلك يصحُّ من الأنثى.
الشرطُ الرابعُ: النيةُ.

الشرطُ الخامسُ: أن يكونَ الاعتكافُ في مسجدٍ.

الشرطُ السادسُ: أن يكونَ الاعتكافُ في مسجدٍ تُقامُ فيه الجماعةُ.

وأما الصيامُ فالصوابُ أنه ليس بشرطٍ في الاعتكافِ.

ففي «الصحيحين»^(١) عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أنَّ عُمَرَ قال: «يا رسولَ الله إني نَذَرْتُ في الجاهلية أن أعتكفَ ليلةً في المسجدِ الحرامِ، فقال: «أوفِ بِنَذْرِكَ»، فلو كان الصومُ شرطًا لما صحَّ اعتكافُهُ في الليل؛ لأنه لا صيامَ فيه، ولأنهما عبادتان منفصلتان، فلا يُشترطُ لأحدهما وجودُ الأخرى^(٢).

قال ابنُ بازٍ رحمته الله:

«والصوابُ أن الصومَ ليس شرطًا في الاعتكافِ، فإنَّ صامَ المُعتكِفُ فهو أكملُ وإن لم يصُِّمْ فاعتكافُهُ صحيحٌ»^(٣).

حكمُ الاعتكافِ: سُنَّةٌ لا يَجِبُ إلا بالنَّذْرِ والاعتكافُ قربةٌ لله تعالى وطاعةٌ، والاعتكافُ مشروعٌ مَسْنُونٌ، بالكتابِ، والسنةِ، والإجماعِ:

أما الكتابُ؛ قال الله تعالى لإبراهيمَ عليه وعلى نبينا أفضلُ الصلاة والسلام: ﴿أَن تَهَرَّأَ بَيْتِي لِلظَّالِمِينَ وَالْعَافِكِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وهذه الآية دليلٌ على

(١) رواه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٧٢).

(٢) انظر: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، (١٦٨)، إعداد وزارة الشؤون الإسلامية.

(٣) تعلية على زاد المعاد لابن القيم (٨٦).

مشروعية الاعتكاف حتى في الأمم السابقة^(١)، ولقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ﴾
وَأَسْرَعُوا عَلَيْهِمْ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وأما السنة فالأحاديث كثيرة ومنها ما يأتي:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أن النبي ﷺ: «كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده».

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية (أي: صغيرة) على سديتها حصير، قال: فأخذ الحصير بيده فنحّاه في ناحية القبة، ثم أطلع رأسه فكلّم الناس فدنّوا منه، فقال: «إني اعتكف العشر الأول ألتبس هذه الليلة، ثم اعتكف العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي: إنها في العشر الأواخر، فمن أحبّ منكم أن يعتكف، فليعتكف»، فاعتكف الناس معه، قال: «وإني أريتها ليلة وثري، وإني أسجد في صبيحتها في طين وماء» فأصبح من ليلة إحدى وعشرين، وقد قام إلى الصبح فمطّرت السماء، فوكف المسجد (أي: قطر المطر) فأبصرت الطين والماء، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثه أنفه (أي: طرّفه) فيهما الطين والماء، وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر».

(١) الشرح المُنْتَبِعُ لابن عثيمين (١/ ٥٠٦).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (١١٧).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٤) رواه البخاري (٢٠١٦)، ومسلم (١١٦٧) واللفظ لمسلم.

وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً».

وأما الإجماع: فأجمع أهل العلم على أن الاعتكاف لا يجب على الناس قرصاً إلا أن يوجب المرء على نفسه الاعتكاف نذراً فيجب عليه^(٢).

أفضل أوقات الاعتكاف: العشر الأواخر من رمضان.

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ «كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده».

وإذا أراد المسلم أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان تطوعاً، فإنه يدخل معتكفه عند جمهور أهل العلم قبل غروب شمس يوم عشرين؛ ليستقبل ليلة إحدى وعشرين وهو في معتكفه.

والمرأة لا يصح اعتكافها إلا في المسجد المتخذ للصلوات، ويتناول أحكام المساجد، فأما مسجد بيتها: وهو مكان من البيت يتخذ الرجل أو المرأة للصلاة فيه مع بقاء حكم الملك عليه فلا يصح الاعتكاف فيه؛ لأن هذا ليس مسجدًا، ولا يسمى في الشرع مسجدًا والاعتكاف إنما يكون في المساجد، ولأن أزواج النبي ﷺ اعتكفن في المسجد بعده^(٤)، بل اعتكفن معه؛ ففي «الصحيحين»^(٥) من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) رواه البخاري (٤٩٩٧).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة، ٤/ ٤٥٦، والإجماع لابن المنذر ص ٦٠.

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧١).

(٤) كتاب الصيام من شرح العمدة لابن تيمية (٢/ ٧٣٧).

(٥) رواه البخاري (٢٠٢٩)، ومسلم (١١٧٣).

قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء فأذنت لها فضربت خباء آخر، فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبية فقال: «ما هذا؟» فأخبر، فقال النبي ﷺ: «البر ترون بهن؟» فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشرًا من شوال.

والاعتكاف له فوائد عظيمة فمنها:

التكريم من الله: لأنك في ضيافة الله - جلّ وعلا - وفي بيته وبجواره، وحق على المذنب أن يكرم زائره، ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً من الجنة كلما غدا أو راح»، وهذا لمن يذهب إلى المسجد، فما بالك بمن كان جالساً ومعتكفاً في المسجد؟

ومن فوائد الاعتكاف تحقيق الخلوة مع الله:

قال ابن القيم رحمه الله:

لَمَّا كَانَ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَلَمْ شَعْنِهِ بِإِقْبَالِهِ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شَعْنَ الْقَلْبِ لَا يَلُمُّهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ فُضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَفُضُولُ مُحَالَظَةِ الْأَتَامِ، وَفُضُولُ الْكَلَامِ، وَفُضُولُ الْمَنَامِ، مِمَّا يَزِيدُهُ شَعْنًا، وَيُسَيِّئُهُ فِي كُلِّ وَادٍ وَيَقْطَعُهُ عَنْ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يُضَعِّفُهُ أَوْ يَعُوقُهُ وَيُوقِفُهُ، اقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بَعَادَهُ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الصَّوْمِ مَا يَذْهَبُ فُضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَيَسْتَفْرِغُ مِنَ الْقَلْبِ أَخْلَاطَ الشَّهَوَاتِ الْمُعُوقَةِ لَهُ عَنْ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرَعِهِ بِقَدْرِ الْمَصْلَحَةِ، بِحَيْثُ يَسْتَفِيعُ بِهِ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَلَا يَصْرُهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنْ مَصَالِحِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ.

(١) رواه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٦٩).

وَسَرَعَ لَهُمُ الْإِعْتِكَافَ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالْخُلُوءُ بِهِ، وَالْإِنْقِطَاعُ عَنِ الْإِسْتِغَالِ بِالْخَلْقِ، وَالْإِسْتِغَالُ بِهِ وَخَدُّهُ سُبْحَانَهُ بَحِثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ هُمُومِ الْقَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَسْتَوِلِي عَلَيْهِ بِدَلَّهَا، وَيَصِيرُ إِلَيْهَا كُلُّهُ بِهِ، وَالْخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي تَخْصِيلِ مَرَاضِيهِ وَمَا يَقْرَبُ مِنْهُ فَيَصِيرُ أَنْسَهُ بِاللَّهِ بَدَلًا عَنْ أَنْسِهِ بِالْخَلْقِ، فَيَعُدُّهُ بِذَلِكَ لِأَنْسِهِ بِهِ يَوْمَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ حِينَ لَا أُنَيْسَ لَهُ، وَلَا مَا يَفْرَحُ بِهِ سِوَاهُ، فَهَذَا مَقْصُودُ الْإِعْتِكَافِ الْأَعْظَمِ (١).

ومن فوائد الاعتكاف صفاء القلب والروح؛ إذ إن مدار الأعمال على القلب كما في «الصحيحين» (٢) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

ومن فوائد الاعتكاف إدراك ليلة القدر: كان النبي ﷺ يَخُصُّ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ بِالْإِعْتِكَافِ؛ طَلَبًا لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ، وَكَانَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، فَقِي «الصحيحين» (٣) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وفي «الصحيحين» (٤) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْتِمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ - يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ - فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلَا يُغْلِبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي».

ومن فوائد الاعتكاف المحافظة على قيام رمضان: وقيام رمضان سبب لمغفرة

(١) «زاد المعاد»، (٢/ ٨٢).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) رواه البخاري (١٩١٣)، (١١٦٩).

(٤) رواه مسلم (١١٦٥).

الدُّنُوبِ، كما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

ومن فوائد الاعتكافِ المحافظةُ على الصلاةِ مع الجماعةِ ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «صلاةُ الجماعةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ خَمْسَةً وَعَشْرِينَ جُزْءًا».

ومن فوائد الاعتكافِ قراءةُ القرآنِ: ففي «الصحيحين»^(٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُهُ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

ومن فوائد الاعتكافِ محاسبةُ النَّفْسِ: ومحاسبةُ النَّفْسِ مطلوبةٌ، كما جاء عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ لِحِسَابِكُمْ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»، أخرجهُ ابنُ المَباركِ في «الزُّهْدِ»^(٤).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَنَعُودُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ.

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ [السَّبْعِ] وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ. نَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ

(١) رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) رواه مسلم (٦٤٩).

(٣) رواه البخاري (٤٦٥٣)، ومسلم (٧٩٨).

(٤) «الزُّهْدُ» (١/ ١٣)، رقم (٣٠٦).

شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ
بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ. وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ
عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلَحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا،
وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا
شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ مُتَمِّينِينَ بِهَا عَلَيْكَ قَابِلِينَ لَهَا، وَآتِمِّمْهَا عَلَيْنَا.

وسبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



ليلة القدر فضلها وقتها علاماتها

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي عن «ليلة القدر وقتها - فضلها - علاماتها».

فلقد منَّ الله - تبارك وتعالى - على هذه الأمة بأن اختصَّها بخصائص عديدة، من هذه الخصائص تلك الليلة المباركة ليلة القدر.

وفضائل ليلة القدر كثيرة فمن فضائلها أنها ليلة مباركة، يعني: كثيرة الخير والفضل والثواب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

ومن فضائل ليلة القدر أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِيهَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

ومن فضائل ليلة القدر أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، وهذا يعادل أكثر من ثلاث وثمانين سنة. قال بعض أهل العلم: إنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ومن فضائل ليلة القدر أن الملائكة تنزل فيها إلى الأرض، كما قال تعالى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، وهم ينزلون بالخير والبركة والرحمة. والروح هو جبريل عليه السلام، فقد أطلق الله عليه (روح) في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ومن فضائل ليلة القدر أنها ليلة سلام، كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، والمعنى: أن هذه الليلة مباركة كثيرة الخير قليلة الشر والآفات مما يكون في غيرها من الليالي، وذلك لما جعل الله تعالى فيها من الخير والبركة، وكثرة نزول الملائكة.

ومن فضائل ليلة القدر أن قيام ليلها سبب لغفران الذنوب؛ ففي «الصحيحين» (١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

معنى إيمانًا: تصديقًا بأنه حق. ومعنى احتسابًا: أنه يريد الله تعالى، لا يقصد رؤية الناس، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص.

قوله: «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، هذا هو جواب الشرط؛ فَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ شَرْعًا - مؤمنًا بالله وبما فرضه الله عليه، ومنه عبادة القيام، ومحاسبًا للثواب والأجر من الله - فَإِنَّ الْمَرْجُوَّ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

(١) رواه البخاري (١٩١٠)، ومسلم (٧٦٠).

ومن فضائل ليلة القدر أنه من حُرْمِهَا فقد حُرِمَ الْخَيْرُ كُلُّهُ؛ ففي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(١) عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَ كُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ مِنْهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرُهَا إِلَّا مَحْرُومٌ».

ومن فضائل ليلة القدر أنه يكثر فيها تنزُّلُ الملائكة الكرام ﷺ إلى الأرض حتى تضيق بهم، وفي مسند الطيالسي وأحمد بسند صحيح صحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلِكِ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى».

وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان بلا شك لأدلة منها:

ففي «الصحيحين»^(٣) حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَرَّوْا (أَي: اقصدُوا واجتهدوا في الطلب) لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، وَفِي رَوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ (أَي: يَتَكَفَّفُ) فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَيَقُولُ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، وَفِي رَوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «التَّوَسَّوْا...».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه (١٦٤٤) (حسن) انظر حديث رقم: ٢٢٤٧ في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ص ٣٣٢، وعنه أحمد ٢ / ٥١٦، وصحَّحَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ ٣ / ٣٣٢ (٢١٩٤)، وحسَّنه الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٢٢٥).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٩٦).

(٤) رواه مسلم (١١٦٦).

«أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أَيْقَظَنِي بَعْضُ أَهْلِي فَتَنَسَّيْتُهَا فَالْتَمَسْتُهَا فِي الْعَشْرِ الْغَوَابِرِ» وَمَعْنَى الْغَوَابِرِ: أَيِ الْبَوَاقِي، وَقَالَ حَرْمَلَةُ أَحَدُ رَوَاةِ الْحَدِيثِ: «فَتَنَسَّيْتُهَا».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا» وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْجَهْدَ فِي الْعِبَادَةِ يَتَحَرَّى فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ، وَشَدَّ الْمُتَزَرَّ».

وَمَعْنَى شَدَّ الْمُتَزَرَّ: أَيِ شَمَّرَ وَاجْتَهِدَ فِي الْعِبَادَاتِ، وَقِيلَ: كُنَايَةٌ عَنْ اعْتِزَالِ النِّسَاءِ؛ لِلتَّفَرُّغِ لِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ.

قَالَ ابْنُ بَازٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذَا يَدُلُّ عَلَى الْحَزْمِ، وَفِعْلُ الْخَيْرِ، وَعَلَى حِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَالْعِظْمَاءُ أَسْرَعُ إِلَى الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِمْ»^(٣).

وَتَكُونُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْآخِرِ أَرْجَى الْعَشْرِ الْآخِرِ:

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْآخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ (أَيِ: تَوَافَقَتْ) فِي السَّبْعِ الْآخِرِ فَمَنْ كَانَ مَتَحَرِّبُهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْآخِرِ»، وَفِي لَفْظٍ لِلْبُخَارِيِّ:

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٧٥).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٢٤) وَمُسْلِمٌ (١١٧٤).

(٣) تَعْلِيقُ ابْنِ بَازٍ عَلَى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، الْحَدِيثُ رَقْمُ (٢٠٢٤).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠١٥)، وَمُسْلِمٌ (١١٦٥).

أَنَّ أَنَسًا أَرَوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، وَأَنَّ أَنَسًا أَرَوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ».

وَتَكُونُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي أَوْتَارِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ أَكْثَرُ مِنْ أَشْفَاعِهَا:

فَقِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدْ تَكُونُ فِي أَشْفَاعِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ؛ لِلْأَحَادِيثِ الْآتِيَةِ: فَقِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «الْتَمِسُوا فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، هِيَ فِي تِسْعٍ يَمْضِينَ، أَوْ فِي سَبْعٍ يَبْقَيْنَ» يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَفِي رَوَايَةٍ لِلْبَخَارِيِّ أَيْضًا: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى»^(٤).

وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ مُتَنَقِّلَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَأَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ عَلَى وَجُودِهَا وَدَوَامِهَا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؛ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، الْمَشْهُورَةِ، قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفُوا فِي مَحَلِّهَا، فَقَالَ جَمَاعَةٌ: هِيَ مُتَنَقِّلَةٌ: فِي سَنَةٍ فِي لَيْلَةٍ، وَفِي سَنَةٍ أُخْرَى فِي لَيْلَةٍ أُخْرَى، وَهَكَذَا، وَهَذَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ، وَيُقَالُ كُلُّ حَدِيثٍ جَاءَ بِأَحَدٍ أَوْقَاتِهَا، وَلَا تَعَارَضَ فِيهَا، قَالَ: وَنَحْنُ هَذَا

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٢٠٧١)، وَمُسْلِمٌ (١١٩٦)، وَاللَّفْظُ لِلْبَخَارِيِّ.

(٢) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٢٠٢٢).

(٣) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٢٠٢٢، ٢٠٢١).

(٤) انْظُرْ: الْإِعْلَامَ بِفَوَائِدِهِ عَمْدَةُ الْأَحْكَامِ، لِابْنِ الْمَلْقَيْنِ (٥/ ٤٠٠).

قولُ مالكٍ، والثوريِّ، وأحمدَ، وإسحاقَ، وأبي ثورٍ وغيرهم، قالوا: إنما تَنْتَقِلُ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ من رمضانَ...»^(١).

وذكر الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ في ليلةِ القَدْرِ ستَّةَ وأربعين قولاً لأهلِ العلمِ، ثم قال: «وَأَرْجَحُهَا كُلُّهَا أَنَّهَا فِي وَتَرٍ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَأَنَّهَا تَنْتَقِلُ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ أَحَادِيثِ الْبَابِ، وَأَرْجَاهَا أَوْتَارُ الْعَشْرِ...»^(٢).

وقال ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالصَّوَابُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا مُتَنَقِّلَةٌ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَالْأَوْتَارُ أَقْرَبُ، وَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْمَطَالِعُ فَهِيَ فِي عَشْرِ كُلِّ بَلَدٍ، لَا تَخْرُجُ عَنِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ»^(٣) وقال: «وَأَخْفَى اللهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ رَحْمَةً بَعَادِهِ حَتَّى يَجْتَهِدُوا فِي الْعَشْرِ كُلِّهَا، فَيَحْصُلُ لَهُمُ الثَّوَابُ، وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ، فَلَوْ عَلِمُوا بِهَا لَاجْتَهِدُوا فِي لَيْلَتِهَا ثُمَّ يَكْسَلُونَ بَعْدَ ذَلِكَ»^(٤)، والله تعالى أعلم^(٥).

وأما علاماتُ ليلةِ القَدْرِ، فقد جاءت أدلةٌ تُبَيِّنُ لَنَا ذَلِكَ فَمِنْهَا:

ما جاء في «صحيح مسلم»^(٦) من حديثِ أَبِي بَكْرٍ كَعْبٍ رَحِمَهُ اللهُ وفيه ذكرُ علامةِ ليلةِ القَدْرِ، عندما سُئِلَ: بِأَيِّ شَيْءٍ يُعْرَفُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟ فقال: بِالْعَلَامَةِ، أَوْ بِالْآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، (٨ / ٣٠٦)، وانظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن، (٥ / ٣٩٨٠).

(٢) فتح الباري، لابن حَجَرٍ (٤ / ٢٦٦)، والأقوال (٤ / ٢٦٠ - ٢٦٧).

(٣) تعليقاته على صحيح البخاري، الحديث رقم (٢٠١٥)، (٢٠١٦).

(٤) تعليقاته على صحيح البخاري الحديث رقم (٢٠٢٣).

(٥) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين (٦ / ٤٩٤).

(٦) رواه مسلم (١٧٦٢).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنهَا تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ لَا شُعَاعَ لَهَا»، وَلَفْظُ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ^(١): يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنِّي عَلِمْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: بِالْآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقِيلَ لِرَزٍّ: مَا الْآيَةُ؟ قَالَ: «تَصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَةً تَلِكِ اللَّيْلَةِ مِثْلَ الطُّسْتِ لَا شُعَاعَ لَهَا حَتَّى تَرْتَفِعَ»، وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»^(٢): «أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَيْلَةٌ صَبِيحَتُهَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ...».

وَفِي صَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَعْلِيقَاتِهِ عَلَى «صَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ»^(٣) حَدِيثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي كُنْتُ أُرِيتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ نُسِّيَتْهَا، وَهِيَ فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ، وَهِيَ لَيْلَةٌ طَلَقَتْ بُلْجَةً (أَي: مُشْرِقَةً)، لَا حَارَةً وَلَا بَارِدَةً، كَانَ فِيهَا قَمَرًا يَفْضَحُ كَوَاكِبُهَا لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يَضِيَءَ فَجْرُهَا».

وَفِي «صَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى صَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ^(٤) حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «لَيْلَةٌ طَلَقَتْ: لَا حَارَةً وَلَا بَارِدَةً، تَصْبِحُ الشَّمْسُ يَوْمَهَا حُمْرَاءَ ضَعِيفَةٍ».

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَدْوَاءِ.

اللَّهُمَّ قَتِّنَا بِمَا رَزَقْتَنَا، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لَنَا بِخَيْرٍ.

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، بِرَقْمِ ١٣٧٨، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (١/ ٣٨٠).

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، بِرَقْمِ ٧٩٣، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (١/ ٤١٧).

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي (صَحِيحِهِ) (٢١٩٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى صَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ، (٣/ ٣٣٠)؛ لِسَوَاهِدِهِ.

(٤) (صَحِيحٌ) ابْنُ خَزِيمَةَ فِي (صَحِيحِهِ) (٢١٩٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى صَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ، (٣/ ٣٣٢)؛ لِسَوَاهِدِهِ، وَصَحَّحَهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٥٣٥١).

٥- الحجُّ والعُمْرةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٢٢] ﴿عمران: ١٠٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليومَ عن الحجِّ، والحجِّ وما أدراك ما الحجُّ للحجِّ الركنُ الخامسُ من أركانِ الإسلام، ومبانيه العظامُ فهو ختامُ الأمرِ، وتَمَامُ الإسلامِ، وكمالُ الدينِ ففي «الصحيحين»^(١) عن عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الطَّوِيلِ: «الإسلامُ شهادةُ ألا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ وإقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ وصومُ رمضانَ وحجُّ بيتِ اللهِ مَنْ استطاعَ إليه سبيلًا».

(١) رواه البخاري، ومسلم (١٦).

وفي «الصحيحين»^(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت» فهو فريضة الله ﷻ فرضه على كل مسلم مستطيع بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والسبيل هو: (هو الزاد والراحلة) لا على معنى أن الاستطاعة مقصورة عليها، فإن المريض، والخائف، والشيخ الذي لا يثبت على الراحلة، والزمن، وكل من تعذر عليه الوصول، فهو غير مستطيع للسبيل إلى الحج، وإن كان واجداً للزاد والراحلة.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذي الآية [آل عمران: ٩٧] قال: هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأن الحج أحد أركان الإسلام، ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع.

ولا يجب إلا مرة واحدة في العمر بدليل ما جاء في «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

(١) رواه البخاري (٤٥١٤)، ومسلم (١٦).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له.

وفي «الصحيحين»^(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت» فهو فريضة الله ﷻ فرضه على كل مسلم مستطيع بقوله: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» ﴿٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

والسبيل هو: (هو الزاد والراحلة) لا على معنى أن الاستطاعة مقصورة عليها، فإن المريض، والخائف، والشيخ الذي لا يثبت على الراحلة، والزمن، وكل من تعذر عليه الوصول، فهو غير مستطيع للسبيل إلى الحج، وإن كان واجدا للزاد والراحلة.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذي الآية [آل عمران: ٩٧] قال: هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأن الحج أحد أركان الإسلام، ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع.

ولا يجب إلا مرة واحدة في العمر بدليل ما جاء في «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤاليهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

(١) رواه البخاري (٤٥١٤)، ومسلم (رقم ١٦).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له.

والحجَّ عبادةٌ قديمةٌ فرضها الله على من قبلنا؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٦﴾ [الحج: ٢٦]؛ وإذا عمَّ الأمرُ هانٍ وسهْلٌ.

ولا يزال الناس يحجُّون منذُ رَفَعَ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ، وأذَّنَ في الناسِ بالحجِّ كما أمره ربُّه ﷻ: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ٢٨﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨].

والى يومنا هذا، والحجُّ لا ينقطع طالما على الأرضِ مؤمنٌ، فإذا قبَضَ الله أرواحَ المؤمنين، ولم يبقَ على ظهْرِ الأرضِ إلا شرارُ الخلقِ الذين تُذَرِّكُهُمُ الساعةُ وهم أحياءٌ توقَّفَ سيلُ الحجيجِ إلى بيتِ الله الحرامِ.
وفضائلُ الحجِّ كثيرةٌ لا تكادُ تُحصَرُ فمنها:

أنَّ الحجَّ من أفضلِ الأعمالِ فهو يلي الجهادَ في الأجرِ والفضلِ ففي «الصحيحين»^(١) من حديثِ أبي هريرةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا تُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ.

(١) رواه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٣).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٤).

والحج المبرور: كما ذكر العلماء هو الذي لا يُخالطه شيء من الإثم، وأن يكون حجه موافقا لحج نبينا محمد ﷺ القائل: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، وقبل الشروع في الحج يتعلم ويتفقه في هذا الركن العظيم من أركان الإسلام وتظهر ثمرته على صاحبه بأن يكون حاله بعده خيرا من حاله قبله.

ومن فضائل الحج أن مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ هَذَا النَّبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

وحتى يرجع العبد كيوم ولدته أمه، فإنه يلزمه ترك الرفث؛ وهو: كل ما يتعلق بالجماع، فيلزمه حفظ بصره عن النظر المحرم، وكذلك حفظ لسانه عن الكلام الفاحش، وأيضا يلزمه ترك الفسوق؛ وهي الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٧]^(٢).

ومن فضائل الحج أن الحج يهدم ما قبله من الذنوب والمعاصي.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ لِأُبَايِعَكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو»، قَالَ: قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْرِطَ، قَالَ: «تَشْرِطُ بِمَاذَا؟». قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ

(١) رواه البخاري (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك (٤/ ٣٤٣).

(٣) رواه مسلم (١٢١).

تَهْدِيمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ.

ومن فضائل الحج أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وهل بعد الجنة من جزاء؟!!!

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ، لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ».

والآن حديثي عن العمرة فهي واجبة على الصحيح لأن الله ﷻ قَرَنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وفي «صحيح البخاري» معلقاً وَوَصَلَهُ الشافعي كما قال ابن حَجَرٍ في «الفتح»^(٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا لَقَرِيَّتُهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ».

وأخرج «البخاري» - أيضاً - معلقاً بصيغة الجزم وَوَصَلَهُ ابنُ خزيمة، والدارقطني، والحاكم كما قال ابن حَجَرٍ في «الفتح»^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ حِجَّةٌ وَعُمْرَةٌ».

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صححه الألباني في «الإرواء»^(٤)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟ قَالَ: «عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ».

قال ابن خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ»: وَإِعْلَامُهُ أَنَّ الْجِهَادَ

(١) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧ / ٣ - الفتح)، وَوَصَلَهُ الشافعي كما قال ابن حَجَرٍ.

(٣) رواه البخاري (٥٩٧ / ٣ - الفتح) وَوَصَلَهُ ابنُ خزيمة، والدارقطني، والحاكم، كما قال ابن حَجَرٍ.

(٤) (صحيح) أخرجه أحمد (١٥٦ / ٦)، وقال الألباني في «الإرواء»: إسناده صحيح.

وفي سنن ابن ماجه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد».

وفي «الصحيحين» (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي».

قال ابن الأعرابي رحمه الله: «حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها» (٣).

ويا لله كم هي الأجور العظيمة للحاج والمعتبر من وقت خروجه من بيته حتى يعود إليها فهو في عبادة إن قام أو قعد أو مشى أو ركب أو استيقظ أو نام، أو سار في سفره أو أقام، أو كان في ذكر أو دعاء أو صلاة، أو في راحة أو غفلة أو سبات، ولا فرق بين كونه سائرا في الطريق، أو واصلا إلى البيت العتيق، أو في عشرة الصاحب والملازم والرفيق، فكل ما هو فيه من جميع أحواله: فهو متقرب به إلى مولاه راج لنواله، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وأخرج الطبراني في «الأوسط» بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤) من

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٣٣٤).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٣) نقله عنه ابن ماجه في سننه (٦٨ / ٣).

(٤) (حسن) أخرجه الطبراني (١٣٥٦٦) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أما خُروجك من بيتك تؤم البيت الحرام فإن لك - ويحك - بكلّ وطأة تطؤها راحلتك يكتسب الله لك بها حسنة ويمحو عنك بها سيئة؛ وأما وقوفك بعرفة فإن الله ﻻ ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج (أي: ما تراكم من الرمل، ودخل بعضه في بعض) أو مثل أيام الدنيا أو مثل قطر السماء ذنباً غسلها الله عنك؛ وأما رميك الحمار فإنه مذخور لك؛ وأما خلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك».

فيا ويح من فاته هذا الخير العظيم والشرف العظيم ويا ويح من أدركته حجة الإسلام ثم لم يحج فمن أنكر فريضة الحج فقد كفر، ومن أقر بها وتركها تهاوناً فهو على الخطر، فإن الله يقول بعد ذكر إيجابه على الناس: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال القرطبي: قال علماؤنا: تضمنت الآية أن من مات ولم يحج وهو قادر، فالوعيد يتوجه إليه، ولا يجرى أن يحج عنه غيره؛ لأن حج الغير لو أسقط عنه الفرض لسقط عنه الوعيد^(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (من ترك الحج عمداً مع القدرة عليه حتى مات، أو ترك الزكاة فلم يخرجها حتى مات، فإن مقتضى الدليل وقواعد الشرع: أن فعلهما عنه بعد الموت لا يبرئ ذمته، ولا يقبل منه، والحق أحق أن يتبع)^(٢).

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١٤١).

(٢) تهذيب سني أبي داود (٨/ ٤٥٥).

فَمَنْ فَاتَهُ حَجُّ هَذَا الْعَامِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَدَّخِرَ الدِّينَارَ وَالْدِرَاهِمَ لِلْعَامِ الْقَادِمِ.
 قَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ
 لِتَرْضَى﴾ (١)، فَعَلِمَ أَنَّ تَعْجِيلَ الْعِبَادَةِ سَبَبُ الرِّضْوَانِ (٢).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ يَقُولُ: رِضَا الرَّبِّ سَبْحَانَهُ فِي الْعَجَلَةِ
 إِلَى أَمْرٍ» (٣).

فَطَوَّبَى لِمَنْ بَادَرَ إِلَى الْحَجِّ بَعْدَ تَوْفُرِ شُرُوطِهِ؛ فَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ
 صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَغْنِي الْفَرِيضَةُ - فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَذَرِي مَا يَعْزِضُ لَهُ».

وَهِنَا لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لُضْيَافَتِهِ فِي سَنَةِ ابْنِ مَاجَهَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ الْحَسَنُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
 «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهَ» (٥) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُثْمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْغَازِي فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ وَفَدُّ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَلَّوَهُ فَأَعْطَاهُمْ».

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَشْرِكَ بِكَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا.

(١) «الغُرَّةُ الْمُنِيفَةُ» (٣١).

(٢) «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» (٦٠ / ٣).

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١ / ٣١٢) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٩٢٥٧).

(٤) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٢٨٩٣) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهَ» (٢٣٣٩).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ [وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ] الْمَنَّانُ [يَا] بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ. وسبحانك الله وبحميدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



مراتب الإيمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المرتبة الأولى: الإيمان بالله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليومَ عن (الإيمان بالله).

والإيمان بالله ﷻ هو أهمُّ أصولِ الإيمانِ، وأعظمُها شأنًا، وأعلاها قدرًا، وأوَّلُ ركنٍ من أركانِ الإيمانِ السَّتَةِ قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْإِيمَانُ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ أَنْ تَمُنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي «صحيح مسلم» من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ المشهورِ بحديثِ جبريلَ «أَنَّ جبريلَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُوْمَنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،

وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

والإيمان بالله ﷻ هو الإيمان بوحدهانيته سبحانه في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سُمي توحيداً لأنَّ مبناه على أنَّ الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

ويتضمن الإيمان بالله الإيمان بوحدهانيته ﷻ ويكفي في ذلك شهادته على نفسه بذلك ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. فكرر الشهادة به في هذه الآية؛ وأخبر أنَّ ملائكته، وأولي العلم شهدوا له بذلك ﷻ.

وأخبر أنَّه بعث بهذه الشهادة الرسل جميعهم، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]، فبين في هذه الآية وأمثالها أنَّ الإلهية هي العبادة؛ فإنَّ الإله هو المألوه الذي تأله القلوب، محبةً، وتعظيمًا، وتذلُّلاً، وخضوعًا، وتوكلًا، ورغبةً إليه، ورهبةً، وخوفًا، ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة.

قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ

(١) رواه مسلم (٨).

كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠١﴾ [سورة الأنعام آية: ١٠٢]، وَبَيْنَ تَعَالَى مَا تَصَمَّتْهُ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنَ النِّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ بِقَوْلِهِ، عَنْ خَلِيلِهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٠٣﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٠٤﴾ [سورة الزُّخْرُفِ آية: ٢٦ - ٢٨].

والكلمة هي: لا إله إلا الله، فعبرَ عنها الخليلُ بمعناها، فنقَى ما نفته هذه الكلمة من الشرك في العبادة، بالبراءة من كل ما يُعبد من دون الله، واستثنى الذي فَطَرَهُ، وهو الله سبحانه الذي لا يضلُّح من العبادة شيءٌ لغيره، كما قال تعالى: ﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة هود آية: ٢]، فقوله: ﴿الَّا تَعْبُدُوا﴾ [سورة هود آية: ٢]، فيه معنى: لا إله، وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة هود آية: ٢]، هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة، وفي هذه الآيات نفى الإلهية عما سوى الله، نفياً عاماً، وأثبت الإلهية له وحده، دون كل ما سواه.

وقد دلَّت الأدلة على وحدانية الله فمن تلك الأدلة:

دلالة الفطرة:

والفطرة هي الإسلام فكلُّ مخلوق قد فُطرَ على الإيمانِ بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم بل هي الميثاق الذي أخذه الله ﷻ على الناس، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣]، وقال الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٣٠]، وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه»

وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تَنْتُجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا جَذْعَاءَ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنَّ شِئْئَكُمْ: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (١).

قال ابن القيم رحمه الله: «كُلُّ مولود يولد على فطريته لفطرته، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خُلِّيَ وعُدِمَ المعارض لم يَعدِلْ عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية، والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه» (٢).

ومما يدل على الإيمان بالله دلالة الشريعة والكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق؛ دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها؛ دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

ومن تلك الأدلة التي تدل على الإيمان بالله دلالة الحس فأما الحس على وجود الله؛ فمن وجهين: أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٩].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ، فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فاذع الله لنا. فرفع يديه، وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ناز السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت الماطر يتحادر على لحيته.

(١) رواه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٠٤٧).

(٢) شفاء العليل لابن القيم (٥٧٩).

فَمَطَرَنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَبَيْنَ الْغَدِ وَبَيْنَ الْغَدِ وَالَّذِي بَيْنَهُمُ الْخَطْبُ الْخَطْبُ الْخَطْبُ، وَقَامَ ذَلِكَ الْأَخْرَافِي، أَوْ قَالَ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَهَدُمُ الْبِنَاءَ وَغَرَفَ الْعَالِ، فَاذْغِ اللَّهُ لَنَا، فَزَفَعُ بَنَدِيهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ خَوَالِبُنَا وَلَا عَلَيْنَا». فَمَا يُبَيِّنُ بَيْنَهُ إِلَى نَاجِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا التَّفَرُّجَتِ، وَصَارَتِ الْعَيْدِيَّةُ مِثْلَ الْجَوِيَّةِ وَمَسَّالِ الْوَادِي فَتَاءُ شَهْرًا وَلَمْ يَجِدْ أَخَذَ مِنْ نَاجِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ^(١). وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا؛ لَمَنْ صَدَّقَ اللُّجُوءَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَتَى بِشَرَائِطِ الْإِجَابَةِ^(٢).

ومن الأدلة على وجود الله تعالى وانفراجه بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، دلالة العقل وذلك عن طريق النظر والتفكير في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقتان:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يُعرف به (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَنْفِكُمْ أَفَلَا تَبْصِرُونَ﴾^(١) [الذاريات: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَنَقِيرَ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٢) [الشمس: ٧]، ولهذا لو أن الإنسان أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي نَفْسِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبٍ صُنِعَ اللَّهُ لِأَرْشَادِهِ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ لَهُ رَبًّا خَالِقًا حَكِيمًا خَبِيرًا؛ إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْلُقَ النُّطْفَةَ الَّتِي كَانَ مِنْهَا، أَوْ أَنْ يُحَوِّلَهَا إِلَى عِلْقَةٍ، أَوْ يُحَوِّلَ الْعِلْقَةَ إِلَى مُضْغَةٍ، أَوْ يُحَوِّلَ الْمُضْغَةَ عِظَامًا، أَوْ يَكْسُو الْعِظَامَ لَحْمًا.

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يُعرف به (دلالة الآفاق)،

(١) رواه البخاري (١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧).

(٢) تَبْدَأُ فِي الْعَقِيدَةِ (٣٦).

وهذه كذلك آية من آياتِ الله العظيمة الدالة على ربوبيته، قال الله تعالى: ﴿سُبِّحْهُمُ
ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ۝﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣].

أسماءُ الله الحُسنى:

دلَّت أسماءُ الله الحُسنى وصفاته العُلا على أَنَّهُ المعبودُ وَحْدَهُ لا شريكَ له وأنَّ
أسماءَهُ الحُسنى، وصفاته العُلا يدلُّان: على كماله وجلاله وعظمته، وأنَّهُ هو المعبودُ
وَحْدَهُ، لا شريكَ له في ربوبيته وألوهيته، وأن العبادَةَ لا يصلحُ منها شيءٌ لِمَلِكٍ مَقْرَبٍ،
ولا نبيٍّ مرسلٍ فضلاً عمَّن دونها، ومن ثَمَّ نستطيعُ الجزمَ بأنَّ المشركين لو قَدَرُوا اللهَ حَقَّ
قَدْرِهِ، لما وَقَعُوا في عبادَةِ غيره، وَعَدَلُوا بِهِ سِوَاهُ، مع أَنَّ الفرقَ بين عبادَةِ الخالقِ وعبادَةِ
المخلوقِ، كالفرقِ بين الخالقِ وأسمائه وصفاته، والمخلوقِ وأسمائه وصفاته.

ولهذا الإيمانِ ثمراتٌ فَمِنْ ثَمَرَاتِهِ:

الأمنُ التامُّ والاهتداءُ التامُّ:

فِيحَسِبُ الْإِيمَانُ يَخْصُلُ الْأَمْنُ وَالْإِهْتِدَاءُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرَزَخِ وَالْآخِرَةِ قَالَ ﷺ:
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ومن ثمراتِ الإيمانِ بالله:

طاعةُ الله ﷻ: فاللهُ أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهِ، وطاعتهُ واجبةٌ، وهي أَضْلُ كُلِّ خَيْرٍ، قال -
تعالى -: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِنَّا لَمُتَّقُونَ
وَالْأَسْبَاطُ﴾ [البقرة: ١٣٦].

ومن ثمراتِ الإيمانِ الاستخلافُ في الأرضِ والتمكينُ والعِزَّةُ: قال ﷻ: ﴿وَعَدَ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿[النور: ٥٥].

ومن ثمرات الإيمان دخول الجنان والنجاة من النيران: قال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [محمد: ١٢].

ومن ثمرات الإيمان الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب - إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن كثير رحمه الله في شرح هذه الآية: وهذا وعد من الله ﷻ لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة.

والحياة الطيبة تشتمل على وجوه الراحة من أي جهة كانت.

ومن ثمرات الإيمان حلول الخيرات ونزول البركات: قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرُجِ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومن ثمرات الإيمان الهداية لكل خير: قال - تعالى -: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١٧].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

ومن ثمرات الإيمان زيادته والثبات عليه: فالمؤمنون يتقلبون من نعمة إلى نعمة، وأعظم نعمة يجدونها من الإيمان بالله هي أن يثبتهم الله على الحق، ويزيد إيمانهم، فالثبات على

الإيمان سَبَبٌ لزيادته قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ هَمَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَهُمْ ثَقُوبُهُمْ ۝﴾ [محمد: ١٧].

ومن ثمرات الإيمان الفور بولاية الله ﷻ: وأكرم بها من ولاية، قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۝﴾ [محمد: ١١].

ومن ثمرات الإيمان السلامة من الخسران: قال - تعالى -: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

ومن ثمرات الإيمان أنه سَبَبٌ لدفاع الله عن أهله: قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

ومن ثمرات الإيمان تكفير السيئات: قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ [محمد: ٢].

ومن ثمرات الإيمان الرفعة والعلو: قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ومن ثمرات الإيمان إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله، ولعباد الله، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

ومن ثمرات الإيمان قوة التوكل: فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝﴾ [الطلاق: ٣].

ومن ثمرات الإيمان الشجاعة: فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام، لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله. وإذا كان كذلك ذهب خوف الخلق من قلبه كُتِيَّةً؛ فالجزاء من جنس العمل؛ فمن خاف الله آمنه من كل شيء، وجعل مخاوفه أمناً والعكس بالعكس.

ومن ثمرات الإيمانِ حُسْنُ الْخُلُقِ: فالإيمانُ يدعو إلى حُسْنِ الْخُلُقِ مع جميع طبقات الناس، وإذا ضَعُفَ الإيمانُ أو نَقَصَ أو انْحَرَفَ أَثَّرَ ذلك في أخلاقِ العبدِ انحرافاً يَحَسِبُ بُعْدَهُ عَنِ الْإِيمَانِ.

ومن ثمرات الإيمانِ الإعانةُ على تحمُّلِ الْمَشَاقِّ: فالإيمانُ أَكْبَرُ عَوْنٍ على تحمُّلِ الْمَشَاقِّ، والقيامِ بالطاعاتِ، وتركِ الفواحشِ والمنكراتِ.

ومن ثمرات الإيمانِ الذِّكْرُ الْحَسَنُ: فالإيمانُ يوجبُ لصاحبه أن يكونَ مُعْتَبِراً عند الخَلْقِ آميناً.

ومن ثمرات الإيمانِ عِزَّةُ النَّفْسِ: فالإيمانُ يوجبُ للعبدِ الْعِزَّةَ، وَعِزَّةَ النَّفْسِ، والترفعُ عن إِرَاقَةِ ماءِ الْوَجْهِ؛ تَذَلُّلاً لِلْمَخْلُوقِينَ.

ومن ثمرات الإيمانِ أَنَّ الإيمانَ هو السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِلْقِيَامِ بِذُرْوَةِ سَنَامِ الْإِسْلَامِ وهو الْجِهَادُ الْبَدَنِيُّ وَالْمَالِيُّ وَالْقَوْلِيُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

هذا شيءٌ من ثمرات الإيمانِ، وبالجملةِ فخيرُ الدنيا والآخرةِ كُلُّهُ فَرَعٌ عَنِ الْإِيمَانِ، وَمُتَرَتِّبٌ عَلَيْهِ، وَالْهَلَاكُ وَالنُّقْصَانُ إِنَّمَا يَكُونُ بِفَقْدِ الْإِيمَانِ أَوْ نَقْصِهِ^(١).

اللهم عَلَّمْنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَفَقَّهْنَا فِي الدِّينِ. اللهم أَصْلَحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا وَأَصْلَحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَصْلَحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

(١) انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ١٣٠ - ١٣٤ ورسائل الحمد (٢٦).

المرتبة الثانية: الإيمان بالملائكة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿إِنْ عَمَرَ﴾ [١٠٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي الآن عن الإيمان بالملائكة والإيمان بالملائكة هو الرُّكْنُ الثَّانِي من أركان الإيمان، والذي لَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُقَرَّرَ بِهِ، فَيُؤْمِنَ بِوُجُودِهِمْ، وَبِمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ صِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

قال الله ﷻ: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَآلُ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْمَشْهُورِ بِحَدِيثِ جَبْرِيلَ «أَنَّ

جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (١).

وقد حَكَّمَ اللهُ ﷻ بِالْكَفْرِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وجودَ الملائكة، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِمْ، فقال - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦).

وَأَمَّا عَنْ صِفَاتِهِمْ وَمِمَّا خُلِقُوا فَهَمْ مَخْلُوقُونَ مِنَ النُّورِ، لَا يُوصَفُونَ بِأَنْوَةِ وَلَا ذُكُورَةٍ، مُيَسَّرُونَ لِلطَّاعَاتِ، مَعْصُومُونَ مِنَ الْمَعَاصِي مُسَخَّرُونَ بِإِذْنِ اللهِ فِي شُؤُونِ الْخَلْقِ وَتَذْيِيرِ الْكُوفِنِ، وَحِفْظِ الْعِبَادِ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، أَمْنَاءُ عَلَى الْوَحْيِ فِي حِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ، وَيَتَمَيَّزُونَ فِي أَصْلِ خَلْقَتِهِمْ وَتَكْوِينِهِمْ عَنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. كَمَا أَنَّ لِكُلِّ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ خَصَائِصَهُمَا الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا أَحَدُ الْجِنْسَيْنِ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَوَّكِبٌ مَشْهَدُهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (١١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ - أَيِ: اللَّهَبِ الْمُخْتَلِطُ بِسَوَادِ النَّارِ - مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» (٢).

وَقَدْ يَتَحَوَّلُ الْمَلَكُ بِأَمْرِ اللهِ ﷻ إِلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ، كَمَا جَاءَ جَبْرِيْلُ ﷺ إِلَى مَرْيَمَ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، وَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِصِفَةِ رَجُلٍ شَدِيدِ بَيَاضِ الشَّيَابِ شَدِيدِ سَوَادِ الشَّعْرِ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ ﷺ كَانُوا عَلَى صُورَةِ بَشَرٍ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٢٩٤).

أما صورتهم الحقيقية، فهم موصوفون بِعِظَمِ الأجسامِ والخلقِ. ففي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها وقد سألت النبي ﷺ عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] فقال: «إنما هو جبريلُ لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غيرَ هاتين المرّتين رأيتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»^(١).

ولهم أجنحة قال الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مِثْنَى وَوُكِّلَ بَرِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر الآية: ١].

ورأى النبي عليه الصلاة والسلام جبريل على صورته الحقيقية وله ستمائة جناح جاء ذلك في «الصحيحين» عن ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح^(٢).

ومن صفاتهم القوة والحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعالى في حق جبريل ﷻ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [ذو مِرْقَ فَاسْتَوَى] ﴿٦﴾ [النجم: ٥، ٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ذو مِرَّة: ذو منظر حسن»^(٣).

وقد تقررَ عند الناس وَصْفُ الملائكة بالجمال، كما تقررَ عندهم وَصْفُ الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يُسَبَّهُونَ الجميلَ من البشرِ بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عندما رأينه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]. وأمّا عن عددهم لا يعلمهم إلا الله

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي (٣٠٦٨) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٦٢).

(٢) البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤)، والترمذي (٣٢٧٧).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٤٢) حدّثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، به بَلَفْظٍ «ذو منظر حسن».

الذي خَلَقَهُمْ، فهم كثيرون جدًا، منهم ملائكة صفوف لا يفترون، وقيام لا يركعون، وركع وسجد لا يرفعون، ومنهم غير ذلك: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَإِذَا ذُكِّرَ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]. وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج «أن النبي عليه الصلاة والسلام رُفِعَ له البيت المعمور في السماء يَدْخُلُهُ يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه»^(١).

روى الإمام أحمد والترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. أطأت السماء وحقوق لها أن تخط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملكٌ ساجدٌ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفراشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذر: والله لو ددت أني شجرة تغصد ^(٢).

وَأَمَّا عَنْ عِبَادَتِهِمْ وَكَمَالِ طَاعَتِهِمْ وَانْقِيَادِهِمْ فَكَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦]،
وَقَالَ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

والإيمانُ بالملائكةِ يَتَضَمَّنُ أمورًا منها:

الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلّت على ذلك النصوص المتقدمة من أنّ الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقّق الإيمان إلا بذلك.

(۱) رواہ مسلم (۱۶۷).

(٢) (حَسَنٌ) رواه أحمدُ (٩١٥٥٥)، والترمذي (٢٣١٢) وحَسَنُهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٤٤٩).

وَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ الْإِقْرَارَ لَهُمْ بِمَقَامَاتِهِمْ الْعَظِيمَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَكَرَمِهِمْ عَلَيْهِ وَشَرَفِهِمْ عِنْدَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْخِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٦، ١٧]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٨﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٩﴾﴾ [عبس: ١٨، ١٩].

فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ مِنْهُ ﷻ وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت: ٢٨] فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ عِنْدَهُ وَهَذَا تَشْرِيفٌ لَهُمْ، مَعَ مَقَامِ التَّعَبُّدِ لَهُ بِلا سَامِيَةٍ، كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهِمْ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ مِنْ كِتَابِهِ وَهَذَا لَشَرَفِهِمْ عِنْدَهُ. فَقَالَ: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالَّذِينَ جَرَّتْ زَحْرًا ﴿٢﴾ فَالَّتِلْكَ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ [الصافات: ١-٣]. وَقَالَ ﷻ: ﴿فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾﴾ [المزملات: ٤، ٥].

وَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ:

اعْتِقَادَ تَفَاضُلِهِمْ وَعَدَمَ تَسَاوِيهِمْ فِي الْفَضْلِ وَالْمَنْزَلَةِ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ النُّصُوصُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥]، وَقَالَ ﷻ: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢].

فَأَخْبَرَ أَنَّ مِنْهُمْ مُصْطَفَيْنَ بِالرَّسَالَةِ وَمُقَرَّبَيْنَ، فَدَلَّ عَلَى فَضْلِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ.

وَأَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ: الْمُقَرَّبُونَ مَعَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ. وَأَفْضَلُ الْمُقَرَّبِينَ الْمَلَائِكَةُ الثَّلَاثَةُ الْوَارِدُ ذِكْرُهُمْ فِي دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي كَانَ يَفْتَحُ بِهِ صَلَاةَ اللَّيْلِ يَقُولُ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنْ

الْحَقُّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١).

وأفضل الثلاثة جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الموكّل بالوحي، فشرّفه بِشَرَفِ وَظِيفَتِهِ. وقد ذكّره الله في كتابه بما لم يذكّر غيره من الملائكة، وسمّاه بأشرف الأسماء، ووصّفه بأحسن الصفات. فمن أسمائه الروح: قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ^(١٣)﴾ [الشعراء: ١٩٣]. وقال ﷺ: ﴿نَزَلَ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدز: ١].

وقد وردَ هذا الاسم مضافاً إلى الله تعالى إضافةً تشريف. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا^(١٧)﴾ [مريم: ١٧]. ووردَ مضافاً إلى القدس، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢] والقدس هو الله على الصحيح من أقوال المفسرين. ومما جاء في وصفه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ^(١٨) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ^(٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ^(٢١)﴾ [التكوير: ١٨ - ٢١]، وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى^(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى^(٦)﴾ [النجم: ٥، ٦] فوصّفه الله تعالى بأنّه رسولٌ وأنّه كريمٌ عنده، وأنّه ذو قوةٍ ومكانةٍ عند ربّه سبحانه، وأنه مطاعٌ في السماوات، وأنه أمينٌ على الوحي وأنه ذو مِرَّةٍ (أي مظهرٍ حسن).

ويتضمن الإيمان بالملائكة:

موالاتهم والحدّز من عداوتهم لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ^(٧)﴾ [التوبة: ٧] فدخّل الملائكة في هذه الآية لأنّهم مؤمنون قانمون بطاعة ربّهم كما أخبر الله عنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ^(٨)﴾ [التحریم: ٦]، وأخبر جَلَّ وعلا عن موالاته الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ

(١) رواه مسلم (٧٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

اللَّهُ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَنُرِيلُ وَصَلِيحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[التحریم: ١]﴾.

وقال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِي قَالَ لَارِثُنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْعَمُوا نَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تُخَافُوا وَلَا تُحْزَنُوا﴾ [نُصَلَّت: ٣٠]. فَوَجِبَتْ مَوَالَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِمَوَالَاتِهِمْ لَهُمْ وَنَصْرِهِمْ وَتَأْيِيدِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لَهُمْ. وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِدَاوَةِ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَنُرِيلَ وَمِيكَئِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. فَأُخْبِرَ أَنَّ عِدَاوَةَ الْمَلَائِكَةِ مُوجِبَةٌ لِعِدَاوَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَصُدُّونَ عَنْ أَمْرِهِ وَحُكْمِهِ، فَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى رَبَّهُ.

وَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ:

الاعتقادُ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَا شَأْنَ لَهُمْ فِي الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّصْرِيفِ الْأُمُورِ، بَلْ هُمْ جُنُودٌ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ يَعْمَلُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَبْدِئُ الْأُمُورَ كُلَّهَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ. كَمَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ صَرْفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لَهُمْ، بَلْ يَجِبُ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِخَالِقِهِمْ وَخَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رَبوبِيَّتِهِ وَالْوَهْبِيَّةِ وَلَا مِثْلَ لَهُ فِي أَسْمَائِهِ.

وَأَمَّا ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ:

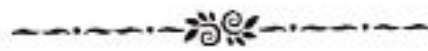
فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَثِيمٍ بَعْضَهَا فَقَالَ: وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً مِنْهَا:
الْأُولَى: الْعِلْمُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُوَّتِهِ، وَسُلْطَانِهِ، فَإِنَّ عَظَمَةَ الْمَخْلُوقِ مِنْ عَظَمَةِ الْخَالِقِ.

الثانية: شُكْرُ اللَّهِ تعالى على عُنَايَتِهِ بِنَبِيِّ آدَمَ، حَيْثُ وَكَّلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِمْ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

الثالثة: مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى مَا قَامُوا بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ (١).

اللهم اقسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا جَنَّتَكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

وسبحانَكَ اللَّهُ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٦ / ٨٩).

المرتبة الثالثة: الإيمان بالكتب^(١)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فسوف يكون حديثي الآن عن الإيمان بالكتب.

المراد بالكتب هنا: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الذي أوحاه إلى رُسُلِهِ - عليهم الصلاة والسلام - سواء ما ألقاه مكتوبًا كالنوراة، أو أنزله عن طريق المَلَكِ مُشَافِهَةً فَكُتِبَ بعد ذلك كسائر الكتب.

وحُكِّمَ الإيمان بكتب الله التي أنزل على رُسُلِهِ كُلِّهَا ركنٌ عظيمٌ من أركان الإيمان

(١) انظر أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء.

وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد ذل على ذلك الكتاب والسنة. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَلِكُتِبِ الَّذِى نَزَلَ عَلَى رَسُوْلِهِ ءَلِكُتِبِ الَّذِى اُنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرَسُوْلِهِ ءَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فأمر الله عباده المؤمنين في الآية بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورسوله وهو محمد ﷺ والكتاب الذي أنزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالطورا، والإنجيل، والزبور، ثم بين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضل ضلالاً بعيداً وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكتب الله.

وأما السنة فقد ذلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب. وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، ففي «صحيح مسلم» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل - عليه الصلاة والسلام - «أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» (١).

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنزلها على رسوله بالحق والهدى والنور والضياء، وأن من كذب بها أو جحد شيئاً منها فهو كافر بالله خارج من الدين.

(١) رواه مسلم (٨).

وتضمن الإيمان بالكتبِ التصديقُ الجازمُ بأنها كُلُّها منزلةٌ من الله ﷻ، وأنها كلامُ الله تعالى لا كلامٌ غيره، وأنَّ الله ﷻ تكلمَ بها حقيقةً كما شاء وعلى الوجه الذي أرادَ سبحانه. قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ١﴾ ﴿رَكَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٢﴾ ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٤﴾ [آل عمران: ٢-٤]. فأخبر الله ﷻ أنه أنزلَ هذه الكتبَ المذكورةَ وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآن من عنده وهذا يدلُّ على أنَّه هو المتكلمُ بها وأنها منه بدأت لا من غيره، ولذا توعدَّ في نهاية السِّياقِ مَنْ كَفَرَ بِآيَاتِ اللَّهِ بالعذابِ الشديد. وقال مخبراً عن التوراة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ٥﴾ [المائدة: ٤٤] فبيَّن أنه تعالى هو الذي أنزلَ التوراةَ وأنَّ ما فيها من الهدى والنور منه ﷻ.

وقال ﷻ في الإنجيل: ﴿وَلَبَّحْهُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ٦﴾ [المائدة: ٤٧] أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلامِ الله.

وقال في القرآن الكريم: ﴿الرَّكُتُ أَخْكَمُ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ قُضِيَ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٌ ٧﴾ [هود: ١].

وقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٨﴾ [النمل: ٦]. ويتضمنُ الإيمانُ بالكتبِ الإيمانُ بأنها دَعَتْ كُلُّها إلى عبادةِ الله وَحْدَهُ وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ٩﴾ [آل عمران: ٧٩]. فبيَّن الله أنه ما ينبغي لأحدٍ من البشر، أتاه الله الكتابَ والحُكْمَ والنبوةَ، أن يأمر الناسَ أَنْ يَتَّخِذُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ. وذلك أَنَّ كُتُبَ اللَّهِ إنما جاءتْ بإخلاصِ العبادةِ لله وَحْدَهُ.

ويتضمنُ الإيمانُ بالكتبِ الإيمانَ بأنَّ كتبَ الله يُصدِّقُ بعضُها بعضًا فلا تناقضَ بينها ولا تعارضَ كما قال تعالى في القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال في الإنجيل: ﴿وَمَا أَتَيْنَهُ إِلَّا نَجِيلٌ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [المائدة: ٤٦]. فيجبُ الإيمانُ بهذا واعتقادُ سلامةِ كتبِ الله من كُلِّ تناقضٍ أو تعارضٍ، وهذا من أعظمِ خصائصِ كتبِ الله عن كتبِ الخلقِ وكلامِ الله عن كلامِ الخلقِ فإنَّ كتبَ المخلوقين عُرْضةٌ للنقصِ والخللِ والتعارضِ كما قال تعالى في وصفِ القرآن: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

الذين جاءوا من بعدِ موسى كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْتَكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤].

ومن الكتبِ المُنزَّلةِ الإنجيلُ: وهو كتابُ الله الذي أنزلهُ على عيسى ابنِ مريمَ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى مَائِثَتِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمَا أَتَيْنَهُ إِلَّا نَجِيلٌ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦]. وقد أنزلَ الله الإنجيلَ مُصَدِّقًا للتوراةِ وموافقًا لها كما تقدَّم في الآيةِ السابقة. قال بعضُ العلماء: لم يخالفِ الإنجيلُ التوراةَ إلا في قليلٍ من الأحكامِ مما كانوا يختلفون فيه كما أخبرَ الله عن المسيحِ أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلَا أُجِلُّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقد أخبرَ الله تعالى في كتابهِ الكريمِ أن التوراةَ والإنجيلَ نصًّا على البشارةِ بنبيِّنا محمدٍ ﷺ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا

عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿ [الأعراف: ١٥٧].

ومن الكتب المنزلة الزبور: وهو كتاب الله الذي أنزله على داود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَأَنبَأْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ﴿ [النساء: ١٦٣].

ومن الكتب المنزلة صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى: قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿ [النزول: ٢٧] وَالْأَنْزِيلُ وَذُرِّيَّتُهُ ﴿ [النزول: ٢٨] وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿ [النجم: ٣٩-٣٦].

ومن الكتب المنزلة القرآن العظيم: وهو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد عليه السلام مُصَدِّقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخرُ كتب الله نزولًا وأشرفها وأكملها، والتاسخُ لما قبله من الكتب وقد كانت دعوتُه لعامة الثقلين من الإنس والجن. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ ﴿ [المائدة: ١٨].

ومهيمنًا: أي شهيدًا على ما قبله من الكتب وحاكمًا عليها.

وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والتنزيل، والذكر.

فيجب الإيمان بهذه الكتب على ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله عليه السلام عنها، وما قص علينا من أخبار أهلها.

ويتضمن الإيمان بالكتب الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله على رُسُلِهِ، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره.

قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْخَذَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُم سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال تعالى أمرًا نبيه ﷺ أَنْ يُحْكُمَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْقُرْآنِ: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَمَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ فَقَالَ: «أَمْتَهُوْ كُون فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ. لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتَكْذِبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَتْهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» (١).

ومعنى أَمْتَهُوْ كُون: أي أُمْتَحِرُونَ فِي دِينِكُمْ. والحديث فيه دليلٌ أَنَّ الإسلامَ نَسَخَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْمَنْزُورَةِ إِلَّا أَنْ شَرَعَ مَنْ قَبْلَنَا لَا يَكُونُ شَرْعًا لَنَا إِلَّا بَشَرَطَيْنِ:

الأول: أَنْ يُبَيَّنَّ أَنَّهُ شَرْعٌ لَهُمْ.

الثاني: أَنْ لَا يُخَالِفَ شَرْعَنَا.

وقد استنبط بعض أهل العلم من هذا الحديث تحريم النظر في كتب أهل البدع.

(١) (حسن) رواه الإمام أحمد في المسند (٣: ٢٨٧)، ورواه الدارمي في سننه (١: ١١٥) وحسنه الألباني

في تخريج المشكاة (١: ٦٣) ح (١٧٧).

وليعلم الجميع أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى المنزلة دخلها التحريف وحفظ الله القرآن من ذلك ومما يدل على تحريف أهل الكتاب لكلام الله: ما أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم عن تحريفهم لكتب الله المنزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: ﴿ أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال ﷻ: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ١٦].

وقال تعالى مخبراً عن النصارى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِنْهُمُ قَسْوَ حَقًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [١١] يتأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعقّبوا عن كثير ﴾ [المائدة: ١٧، ١٨].

فدللت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنزلة عليهم. وقد كان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدليل الزيادة قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ، ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُوبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

ودليل النقص قوله تعالى: ﴿ يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [المائدة: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ، مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْعلُوهُ قُرْآنًا يُدَوِّنُهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١].

تحريفُ التوراة والإنجيل وأدلة ذلك فمن أدلة تحريف التوراة قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ١١﴾ [الأنعام: ٩١].

وقال تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ تَأْمُرُوا النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكِتَابِ وَقَدْ كَانُوا مِنْهُمْ يُرْسِلُونَ كَلَّمَ اللَّهُ ثَمْرَ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

ودليل تحريف الإنجيل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَسْكُرُ أَنْكَدَنَا مِمَّنْ بَيْنَهُمْ قَسَاوَا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ١١﴾ [يَا هَلْ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١١-١٥].

فدللت هذه الآيات على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل، ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحريف والتغيير.

سلامة القرآن من التحريف وحفظ الله له وأدلة ذلك:

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريف والتبديل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانته إيَّاه كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِظُونَ ١﴾ [الحجر: ١].

قال الطبري: «قال وإنَّا للقرآن لحافظون من أن يراد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وقرائضه»^(١). كما أخبر الله في آيات أخرى

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٢).

عن تمام إحصائه للقرآن وتفصيله وتنزيهه من كل باطل فقال عز من قائل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (١٢) ﴿فُصِّلَتْ: ١٢﴾.

وقال تعالى: ﴿الرَّكِيبُ أَتَمَّكَ ابْنُكَ ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾ (١) ﴿هود: ١﴾.

وقال عز وجل: ﴿لَا تَعْزِلْهُمْ لِيُتَعَجَّلَ بِهِ لِسَانُكَ لِنَتَجَلَ بِهِ﴾ (٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُمْ وَقُرْآنُهُ﴾ (٧) ﴿القيامة: ٧، ٦﴾.

فدللت هذه الآيات على كمال حفظ الله للقرآن لفظاً ومعنى بدءاً بنزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليماً من كل تغيير أو تبديل. إذ تكفل بتعليمه لنبيه ﷺ، ثم جمعه في صدره وبيانه له وتفسيره في سنته المطهرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول الرجال الذين حفظوه في الصدور والسطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليماً منزهاً من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأمصار، غصاً طرباً كما أنزل من الله على رسوله ﷺ.

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلى سر لطيف ونكتة بدعية تتعلق بجواز التحريف على التوراة وعدم جوازه على القرآن على ما روى أبو عمرو الداني عن أبي الحسن المتأب قال: «كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق فقبل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله ﷻ في أهل التوراة: ﴿بِمَا أَسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ (المائدة: ٤٤).

فَوَكَّلَ الْحَفِظَ إِلَيْهِمْ فَجَازَ التَّبْدِيلُ عَلَيْهِمْ. وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) ﴿الحجر: ٩﴾.

فَلَمْ يَجْزِ التَّبْدِيلُ عَلَيْهِمْ. قال: فَمَضَيْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَامِلِيِّ فَذَكَرْتُ لَهُ الْحِكَايَةَ فَقَالَ: «مَا سَمِعْتُ كَلَامًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا».

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالْعِفَافَ، وَالْغِنَى.

وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



المرتبة الرابعة: الإيمان بالرسل

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١١٢] ﴿[عمران: ٧٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿[النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فسوف يكون حديثي الآن عن الإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، دلَّ على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور بحديث جبريل - عليه الصلاة والسلام - «أَنَّ جَبْرِيلَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ

تُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (١).

وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالرُّسُلِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَخَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بَعِيدًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

فَاطْلُقِ الْكُفْرَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ هَذِهِ الْأَرْكَانَ، وَوَصَفَهُ بِالْبُعْدِ فِي الضَّلَالِ. فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ

الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ رُكْنٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَأَنَّ تَرْكُهُ مُخْرِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَنِ الرُّسُلِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ إِيْمَانًا

مُجْمَلًا.

وَأَمَّا الْإِيمَانُ الْمُفَصَّلُ: فَيَكُونُ بِالْإِيمَانِ بِمَنْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي

سُنتِهِ مِنْهُمْ، إِيْمَانًا مُفَصَّلًا عَلَى نَحْوِ مَا جَاءَتْ بِهِ النَّصْرُوسُ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ

وَأَخْبَارِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ وَخَصَائِصِهِمْ.

وَالْمَذْكُورُونَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ، وَهُمْ: آدَمُ، وَنُوحٌ،

وَإِدْرِيسُ، وَهُودٌ، وَصَالِحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ، وَلُوطٌ،

وَشُعَيْبٌ، وَيُونُسُ، وَمُوسَى، وَهَارُونُ، وَالْيَاسُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَالْيَسَعُ، وَذُو الْكِفْلِ،

وَدَاوُدُ، وَسُلَيْمَانُ، وَأَيُّوبُ، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -

وَرَدَّ ذِكْرُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنِلَّكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ

دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا

وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨).

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨١﴾ وَذَكَرْنَا وَنَحْنُ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِسْمَاعِيلَ
وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٣﴾ [الأنعام: ٨٢-٨٦].

وَوَرَدَ ذِكْرُ الْبَاقِينَ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. فيجبُ
الإيمانُ بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيمانًا مفصلًا، والإقرارُ لكل واحدٍ منهم بالنبوة أو
الرسالة على ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

كما يجبُ اعتقادُ صحة ما جاء به النصوصُ من ذِكرِ فضائلهم وخصائصهم
وأخبارهم، كاتخاذِ الله إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم خليلين لقوله تعالى:
﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]. ولقولِ النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا»
كما اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» أخرجه مسلم^(١). وكتكليمِ الله تعالى لموسى لقوله تعالى:
﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]. وكذلك تسخيرُ الجبال والطير لداودَ
يُسَبِّحُنَ بِتَسْبِيحِهِ، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

(١) رواه مسلم (٥٣٢).

فَتَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩]. وإلانة الحديد لداود كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٨٠﴾﴾ [سبا: ٨٠]. وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، قال تعالى: ﴿وَلَسَلِّتَنَّا الرِّيحَ غَدُوَهَا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴿٨١﴾﴾ [سبا: ٨١]. وتعليم سليمان منطق الطير، قال تعالى: ﴿وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْثَقْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢] كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قصَّ الله ﷻ في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسوله وأتباعهم، كقصّة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قصَّ الله علينا في شأن يوسف مع إخوانه وأهل مصر، وقصّة يونس مع قومه، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في السُنَّة فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلاً بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل يقسميه المُجْمَل والمُفَصَّل.

ونؤمن بأن هنالك رُسُلًا آخرين غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء الآية: ١٦٤]. وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر الآية: ٧٨].

ونؤمن بأنهم جميعًا بارون، صادقون، أتقياء، أمتناء، وأنهم بلغوا كل ما أرسلهم الله به على وفق ما أمرهم، ويؤنوه بيانًا شافيًا كافيًا، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل الآية: ٢٥].

والإيمان بالرُّسُلِ متلازمٌ، مَنْ كَفَرَ بواحدٍ منهم فقد كَفَرَ بالله تعالى وبجميع الرُّسُلِ، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ كَفَرُوا﴾ [البقرة: الآية: ١٣٦-١٣٧].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥٠] أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً. وأفضل الرُّسُلِ أولو العزم: وأولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم -.

وأفضلهم محمد، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم نوح، وعيسى بن مريم، وهم المخصوصون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٧].

ونعتقد أن شريعة محمد ﷺ حاوية لفضائل شرائع هؤلاء الرُّسُلِ المخصوصين بالفضل، لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] (١).

(١) عقيدة أهل السنة للعثيمين (١٩-٢٠).

عموم رسالة نبيينا محمد ﷺ:

رسالة نبيينا محمد ﷺ عامة شاملة إلى الجن والإنس جميعاً دل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ۚ﴾ (١٩) قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْبُدُوا إِلَهَهُ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُم مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴿[الاحقاف: ١٩ - ٢١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (٢) ﴿[الجن: الآية: ١-٢].

وَبُعِثَتْهُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ نصوص كثيرة في القرآن والسنة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وفي «الصحيحين» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطِهنَّ اللَّهُ أَحَدًا قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ، وَأُجِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَذْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ» (١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يَسْمَعُ بي أَحَدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن

(١) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

كَمَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُتُبَهُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ إِلَى كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِ
وَالْمَقَوْسِ وَسَائِرِ الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.

خَتَمَ النَّبُوَّةَ بِهِ ﷺ:

خَتَمَ النَّبُوَّةَ بِهِ ﷺ: رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا
أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: الآية: ٥٠].

وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ النَّبِيِّينَ خَتَمُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ آخِرُهُمْ.

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا فَرْقَ فَكُلُّ
نَبِيِّ رَسُولٌ، وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٍّ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَهُمَا، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ
الثَّانِي أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخْصَصُ مِنْ مَقَامِ النَّبُوَّةِ، فَإِذَا كَانَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ فَلَا
رَسُولَ بَعْدَهُ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِيِّ!

وَبِهَذَا تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ «الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي
كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَخْسَنَتْهُ وَأَجْمَلَتْهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ
وَيَعْبَجُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(٢).

وَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِنَّ لِي أَسْمَاءً: مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا

(١) مُسْلِمٌ (١٥٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٦)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

الحاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»^(١).

وَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»^(٢).

وَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(٣) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ فِي السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ لِيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَى هَذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَذَابٌ أَفَّاكَ دَجَالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ»^(٤).

وَعَمُومُ رِسَالَتِهِ ﷺ لِجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مِنْ بَعَثَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَوْنُهَا خَاتِمَةَ الرِّسَالَاتِ، يَقْضِي وَيَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَى أَنَّ النَّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ بِانْقِطَاعِ الْوَحْيِ بَعْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا مَصْدَرَ لِلتَّشْرِيعِ وَالتَّعْبِيدِ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ وَهَذَا يَقْتَضِي وَجُوبَ الْإِيمَانِ بِعَمُومِ رِسَالَتِهِ، وَاتِّبَاعَ مَا جَاءَ بِهِ، فَقَدْ قَالَ - كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨٩٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٤).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٢٣).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٥٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٤٠٤).

(٤) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٦/ ٣٨١).

«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» (١).

وبهذا تقوم الحجة وتثبت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٠١) [الأنعام: ١١٤].

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْنَا وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ ونَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ ونَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وسبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) رواه مسلم (١٥٣).

المرتبة الخامسة: الإيمان باليوم الآخر

١- القبر أول منازل الآخرة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء: ١١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٢) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣) ﴿الأعراب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فإنه يدخل في الإيمان باليوم الآخر (الإيمان بالموت) الذي هو المُقْضَى بالعبد إلى منازل الآخرة، وهو ساعة كل إنسان بخصوصه، ولهذا قال النبي ﷺ كما في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَتَنْظَرُ إِلَيَّ أَخَذْتُ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «إِنْ يَعْشَى هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، فَأَمَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»، قال هشام: «يعني: موتهم» (١).

(١) رواه البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُنَيْفَةً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَةَ، فَقَالَ: «إِنْ هُمَرَّ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» قَالَ: قَالَ أَنَسُ: ذَاكَ الْغُلَامُ مِنْ أَتْرَابِي يَوْمَئِذٍ.

والمراد بقوله ﷺ: «السَّاعَةُ» في هذين الحديثين «ساعةُ المُخَاطَبِينَ»؛ لأنَّ ساعةَ كُلِّ إنسانٍ موتهُ.

وفي سنن الترمذي بسندٍ حسنٍ حسنةُ الألباني في «صحيح الترمذي»^(٢) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ».

وَقَالَ: وَسَمِعْتُهُ ﷺ يَقُولُ: «مَا رَأَيْتَ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ».

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمانُ بعذابِ القبرِ ونعيمِهِ، وأنه إما حفرةٌ من حُفَرِ النَّارِ، أو رَوْضَةٌ من رياضِ الْجَنَّةِ.

قال الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) ﴿[إبراهيم: ٢٧].

فدلَّت الآيةُ على تثبیتِ الله تعالى للمؤمنين عندَ السؤالِ في القبرِ وما يتبعُ ذلكَ من

(١) رواه مسلم (٢٩٥٣)، والأثرابُ: جَمْعُ تَرَبٍّ، وهو المُمَاتِلُ في السَّنِ.

(٢) (حسنٌ) رواه الإمام أحمد (١/ ٦٣)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابنُ ماجه (١٢٦٧) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٧٨).

النعيم ففي «الصحيحين»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ».

وما جاء في «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لِدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

ومما يدلُّ على عذابِ القبرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْهُ فِي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

ومما يدلُّ على عذابِ القبرِ ما جاء في «الصحيحين»^(٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه

(١) البخاري (رقم ١٣٦٩)، ومسلم (رقم ٢٨٧١).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٤) رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (١٢٦٣).

(٥) رواه البخاري (٢٠٩)، واللفظُ له، ومسلم (٤٣٩).

ولكن كم مرة يُنفخ في الصور؟

فالذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن إسماعيل يُنفخ في الصور مرتين، الأولى يَخْصُلُ بها الصَّعْقُ، والثانية يَخْصُلُ بها البعثُ، قال تعالى: ﴿وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنْظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقد سَمَّى القرآن النفخة الأولى بالرَّاجِفَةِ، والنفخة الثانية بالرَّادِفَةِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

وفي موضع آخر سَمَّى الأولى بالصَّيْحَةِ، وصَرَخَ في الثانية بالنَّفْخِ في الصور. قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۚ ﴿١٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۚ ﴿٢٠﴾ وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٤٩-٥١].

وقد جاءت الأحاديث مُصَرِّحَةً بالنَّفْخَتَيْنِ، جاء في الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي قال: «ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قالوا: يا أبا هريرة: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قال: أَبَيْتُ، قالوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قال: أَبَيْتُ، قالوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قال: أَبَيْتُ، وَيُبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبُ ذَنْبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ».

وهذا الحديث صريحٌ بأنها نَفْخَتَانِ.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْفَى لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ

(١) رواه البخاري (٤٥٣٦)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٠).

رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاَنْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ وَلَمْ يُلْحِذْ لَهُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّهُ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ فِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ بِيضَ الْوُجُوهِ، كَأَنَّهُمْ جُوهَرُ الشَّمْسِ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ» قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدْتَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ»، قَالَ: «فَيُضْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُونَ بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ، قَالَ: فَيُسَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ نَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ:

= المستدرَك (٢٧ / ٨) وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي، وأخرجه عبد الرزاق في مُصَنَّفِهِ (٣ / ٥٨٠)، والأجري في الشريعة ص ٣٦٧ وصحح الحديث ابن القيم وَرَدَّ عَلَى مَنْ صَعَّقَهُ، وَنَقَلَ عَنْ أَبِي نَعِيمٍ تَصْحِيحَهُ، وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَصْبَهَانِيِّ أَنَّهُ حَسَنُهُ. انظر: تهذيب سنن أبي داود بهامشي مختصر السنن (٧ / ١٣٩ - ١٤١)، وصححه الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية ص ٤٤٩.

مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، أَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رِيحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ لَهُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَحْيَىٰ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّةَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحْيَىٰ مَلِكَ الْمَوْتِ ﷻ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَتَيْتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أَخْرَجِي إِلَىٰ سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، فَتَفَرَّقُ فِي أَعْضَائِهِ كُلِّهَا فَيَنْزِعُهَا كَمَا يَنْزِعُ السَّقُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَتَقْطَعُ مَعَهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ قَالَ: فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةً عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ» قَالَ: «وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ جِيفَةً وَجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ بَأْفِيحَ أَسْمَانِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَسْتَهُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهَا فَلَا يُفْتَحُ لَهَا قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تَفْشَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ١٠] قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، قَالَ: فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٢١] قَالَ: «فَتُعَادُ

رُوحُهُ إِلَى جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَقْرَسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَالْبُسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ مُنْتِنِ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسْوُؤُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَحْيِيءُ بِالْشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

وليعلم الجميع أن نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعاً، فتَنَعَّمُ الروحُ أو تُعَذِّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ فَيَكُونُ النِّعَمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا كَمَا أَنَّهُ قَدْ تَنَعَّمُ الروحُ أو تُعَذِّبُ أَحْيَانًا مُتَفَصِّلَةً عَنِ الْبَدَنِ، فَيَكُونُ النِّعَمُ أو الْعَذَابُ لِلروحِ مُتَفَرِّدًا عَنِ الْبَدَنِ. وقد ذَلَّتْ عَلَى هَذَا النِّصَوصِ وَعَلَيْهِ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَمِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا أَنَّهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيَقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أو الْمُتَنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَذْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ فَيَقَالُ لَا ذَرِيَّةَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٣٨) وَاللَّفْظُ لَهُ وَمُسْلِمٌ (٢٨٧٠).

وفي حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه وأبو داود وصححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) قال رسول الله ﷺ بعد أن ذَكَرَ خُرُوجَ الرُّوحِ وصعودَ رُوحِ المؤمنِ إلى السماء: «فَتَعَادَ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيَهُ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِيهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ» الحديث.

فَدَلَّ الْحَدِيثَانِ عَلَى وَقْعِ النِّعَمِ أَوْ الْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ عَلَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ جَمِيعًا فَفِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي الْقَبْرِ» دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى هَذَا إِذْ لَفِظُ (الْعَبْدِ) مُسَمًّى لِلرُّوحِ وَالْجَسَدِ جَمِيعًا، وَكَذَلِكَ تَصْرِيحُهُ بِإِعَادَةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ عِنْدَ السُّؤَالِ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ هَذَا مَعَ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثَيْنِ مِنَ الْأَلْفَافِ الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْجَسَدِ كَقَوْلِهِ: «يَسْمَعُ قُرْعَ نِعَالِهِمْ» «فَيُقْعِدَانِيهِ»، «وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقَ» مِنْ حَدِيثِ «فَيَصْبِحُ صَبْحَةً»، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ يُفِيدُ أَنَّ مَا يَخْصُلُ فِي الْقَبْرِ مِنَ النِّعَمِ أَوْ الْعَذَابِ مُتَعَلِّقٌ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ جَمِيعِهِمَا.

هَذَا مَعَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ مَا يَفِيدُ أَنَّ النِّعَمَ أَوْ الْعَذَابَ قَدْ يَقَعُ عَلَى الرُّوحِ مُتَفَرِّدَةً فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»^(٢) حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَعْنِي يَوْمَ أُحُدٍ - جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ» فَتَلَخَّصَ مِنْ هَذَا أَنَّ النِّعَمَ وَالْعَذَابَ يَقَعُ عَلَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ جَمِيعًا فِي الْقَبْرِ وَقَدْ تَنَفَّرَ الرُّوحُ بِهَذَا أَحْيَانًا. قَالَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ الْمُحَقِّقِينَ فِي السُّنَّةِ فِي تَقْرِيرِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: «وَالْعَذَابُ وَالنِّعَمُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَنَعَّمَ

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٥٢٠) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (٢١٩٩).

النفس وتُعَذَّبُ منفردةً عن البدن، وتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بالبدن والبدن مُتَّصِلٌ بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مُجْتَمِعَتَيْنِ كما يكون للروح مُنفردةً عن البدن».

قال أبو جعفر الطحاوي رحمته الله: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونييمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال المَلَكَيْنِ، فيجب اعتقادُ ثبوت ذلك والإيمانُ به، ولا نتكلَّم في كَيْفِيَّتِهِ، إذ ليس للعقل وقوفٌ على كَيْفِيَّتِهِ، لكونه لا عهدَ له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تُحِيلُهُ العقول، بل إنَّ الشرعَ قد يأتي بما تَحَارُّ فيه العقول، فإنَّ عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تُعادُ إليه إعادةٌ غَيْرُ الإعادة المألوفة في الدنيا»^(١). وقال في موضعٍ آخر: «واعلم أنَّ عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكلُّ مَنْ مات وهو مستحقٌّ للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِرَ أو لَمْ يُقْبَرْ، أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ أو اخْتَرَقَ حتى صارَ رماداً ونُسِفَ في الهواء، أو صُلِبَ أو غُرِقَ في البحر، وَصَلَ إلى روحه وَبَدَنِهِ من العذاب ما يَصِلُ إلى المقبور، وما وَرَدَ من إجلالِهِ، واختلافِ أَضْلاَعِهِ ونحو ذلك، فيجب أن يُفْهَمَ عن الرسول ﷺ مراده من غير غُلُوٍّ ولا تَقْصِيرٍ»^(٢).

حُكْمُ إنْكَارِ عَذَابِ الْقَبْرِ؟

يَبْقَى أَنْ نَعْرِفَ حُكْمَ مَنْ يُنْكَرُ عَذَابَ الْقَبْرِ خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ تُبْلَغَهُ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ قَالَ الْعَلَامَةُ الْمُحَدِّثُ عَبْدُ الْمُحْسِنِ الْعَبَادُ - حَفَظَهُ اللَّهُ -: «مَعْلُومٌ أَنَّ إنْكَارَ عَذَابِ الْقَبْرِ إنْكَارٌ لشيءٍ مَعْلُومٍ بِالْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ -، فَالَّذِي يَكُونُ عَالِمًا بِهِ يُخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا تَوَاتَرَتْ بِهِ

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٧٦).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ٢٦٨).

الأحاديث وجاءت وجاء به القرآن في قوله ﷺ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، فعذاب القبر ثابت في هذه الآية الكريمة في حق آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

فالذي يُنَكِّرُ عذاب القبر فهو مُنَكِّرٌ لما جاء في القرآن، فتقام عليه الحجة ويبين له ما جاء في القرآن وما جاء في السنة، وإذا أصرَّ على ذلك فالذي يظهر أنه يكون كافراً، لأنه مُكذِّبٌ بما جاء في القرآن، ومُكذِّبٌ بما جاء في السنن المتواترة^(١). اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهَم، والبخل، ونعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات.

اللهم إنا نعوذ بك من الجبن ونعوذ بك أن نردَّ إلى أرذل العمر ونعوذ بك من فتنة الدنيا ونعوذ بك من عذاب القبر.

اللهم إنا نعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت. وسبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) شرح سنن أبي داود (٥٣٩ / ٧٨) دروس صوتية.

٢- أسباب عذاب القبر

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم سيكون متركزاً حول أسباب عذاب القبر.

قال ابن القيم رحمه الله: الْأَسْبَابُ الَّتِي يُعَذَّبُ بِهَا أَصْحَابُ الْقُبُورِ جَوَائِبُهَا مِنْ وَجْهَيْنِ مُجْمَلٍ وَمُفَصَّلٍ أَمَّا الْمُجْمَلُ فَإِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَلَى جَهْلِهِمْ بِاللَّهِ وَإِضَاعَتِهِمْ لِأَمْرِهِ وَارْتِكَابِهِمْ لِمَعَاصِيهِ فَلَا يُعَذَّبُ اللَّهُ رَوْحًا عَرَفْتَهُ وَأَحَبَّتَهُ وَامْتَلَأَتْ أَمْرُهُ وَاجْتَنَبَتْ نَهْيَهُ وَلَا بَدْنَا كَانَتْ فِيهِ أَبَدًا فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَثَرُ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ عَلَى عَبْدِهِ فَمَنْ أَغْضَبَ اللَّهُ وَأَسَخَطَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ثُمَّ لَمْ يَتُبْ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ لَهُ مِنْ عَذَابِ الْبَرْزَخِ بِقَدْرِ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ عَلَيْهِ فَمُسْتَقِيلٌ وَمُسْتَكْبِرٌ وَمُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبٌ.

وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمَفْصَلُ فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ^(١) عَنْ أَسْبَابِهِ وَمِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ الْمَشْيُ بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ وَتَرْكُ الْإِسْتِثْرَاءِ مِنَ الْبَوْلِ.

وَيَجْمَعُهُمَا مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ مَكَّةَ أَوْ الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعَذِّبَانِ وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟، قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا، أَوْ إِلَى أَنْ يَبْسَسَا».

وَمِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ - الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، فِيهِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يَنْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُتَوَرَّ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ:

(١) الرُّوحُ (٧٧).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٩)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٤٣٩).

(٣) (حَسَنٌ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١٠٧١) وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٧٢٤).

النَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.

ومن أسباب عذاب القبر:

جملة من الذنوب الكبيرة كالكذب وهجر القرآن والزنا، والربا والنوم عن الصلاة، والتي ذُكرت في «الصحيحين»^(١) من حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقْصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَ وَإِنَّهُ قَالَ، ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتَلَعُ رَأْسُهُ فَيَتَهَدَّدُ الْحَجَرُ هَهُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ، فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْصَحَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ، بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْيَى وَجْهِهِ فَيَسْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ.

قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَبْصَحَ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى.

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧)، ومسلم (٢٢٧٥).

قَالَ: قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ الثُّورِ، فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ.

قَالَ: فَاطْلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَنَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ صَوَصُوا.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هُوَ لَآءٍ؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِغٌ يَسْبِغُ، وَإِذَا عَلَى شَطِئِ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِغُ يَسْبِغُ مَا يَسْبِغُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَقْعُرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبِغُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَقَعُرَ لَهُ فَاهُ فَالْقَمَهُ حَجَرًا.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرَاةِ، كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَاءَ رَجُلًا مَرَاةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرٍ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ مَا هُوَ لَاءٍ؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ.

قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ؛ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ.

قَالَ: قَالَا لِي: ارْزُقْ فِيهَا.

قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ، بَلْبَنٍ ذَهَبٍ وَلَبَنٍ فِضَّةٍ، فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ، شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَى، وَشَطْرٌ كَأَفْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَى.

قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَاقْعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ.

قَالَ: وَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَخْضُ فِي الْبَيَاضِ فَذْهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ الشَّوْءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ.

قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَا مَنْزِلُكَ.

قَالَ: فَسَمَا بَصْرِي صُغْدًا: فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ.

قَالَ: قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فَأَدْخِلْهُمَا قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ دَاخِلُهُ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ.

قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُنَلِّغُ رَأْسَهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَتَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ

إِلَى قَعَاءُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ
الْعُرَاقُ، الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ، فَإِنَّهُمْ لَلزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ
يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ أَكَلُ الرِّبَا وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمَرْأَةُ، الَّذِي عِنْدَ
النَّارِ، يَحُشِّيهَا وَيَسْمَعُ حَوَلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ، خَازِنُ جَهَنَّمَ وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي
الرَّوَصَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ.

قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطَرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحًا،
فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومن أسباب عذاب القبر:

النِّبَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، فِي «النَّصِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ
النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَبَحَ عَلَيْهِ، يُعَذَّبُ بِمَا نَبَحَ عَلَيْهِ». وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) مِنْ
حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ حَفْصَةَ بَكَتْ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: مَهْلًا يَا بَنِيَّةُ، أَلَمْ
تَعْلَمِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِكُأْ أَهْلِهِ عَلَيْهِ».

وَقَدْ يُقَالُ: مَا وَجْهُ تَعْذِيْبِهِ بِكُأٍ غَيْرِهِ، إِذْ مُوَاخَذَتُهُ بِكُأٍ غَيْرِهِ قَدْ يَظُنُّ مَنْ لَا يَعْلَمُ
أَنَّهَا مِنْ أَخْذِ الْإِنْسَانِ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ؟

وَالْجَوَابُ هُوَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ حَمَلُوهُ عَلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْمَيِّتُ أَوْصَى بِالنُّوحِ عَلَيْهِ. كَمَا قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ فِي مُعَلَّقَتِهِ:

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٢١٩) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (١٠ / ١) الْمَقْدَمَةُ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١ / ٤٣٩) (١٢٤٢)، وَمُسْلِمٌ (٢ / ٦٤٢) (٩٣٠) بِتَحْوِيلِهِ.

إِذَا مِتُّ فَأَنْعِزْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَى الْجَنْبِ يَا ابْنَةَ مَعْبِدٍ
لَأَنَّهُ إِذَا كَانَ أَوْصَى بِأَنْ يُنَاحَ عَلَيْهِ: فَتَعْذِيبُهُ بِسَبَبِ إِيصَائِهِ بِالْمُنْكَرِ. وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ
لَا فِعْلٍ غَيْرِهِ.

الثاني: أَنْ يُهْمَلَ نَهْيُهُمْ عَنِ النَّوْحِ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيُتَوَحَّوْنَ عَلَيْهِ؛
لِأَنَّ إِهْمَالَهُ نَهْيَهُمْ تَفْرِيطٌ مِنْهُ، وَمُخَالَفَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾
فَتَعْذِيبُهُ إِذَا سَبَبَ تَفْرِيطُهُ (١).

المقصودُ من ذلك أن كُلَّ معصية، وكلَّ ذنبٍ له عقوبتهُ في القبر، فنَسَأَلُ اللهَ تَعَالَى
أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الذُّنُوبِ، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وَأَنْ يُجِيرَنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالنَّارِ، إِنَّهُ
جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وما تَقَدَّمَ إِنَّمَا هُوَ بَعْضُ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ لَا كُلُّهَا بَقِيَ أَنْ أَذْكَرُ بَعْضَ الْأَسْبَابِ
الْمُنْجِيَةِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

الْأَسْبَابُ الْمُنْجِيَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ جَوَائِبُهَا أَيْضًا مِنْ وَجْهَيْنِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ
رَحِمَهُ اللهُ: مُجْمَلٌ وَمُفَصَّلٌ.

أما الْمُجْمَلُ فَهُوَ تَجَنُّبُ تِلْكَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْتَضِي عَذَابَ الْقَبْرِ وَمَنْ أَنْفَعَهَا أَنْ
يَجْلِسَ الرَّجُلُ عِنْدَمَا يُرِيدُ النَّوْمَ لِلَّهِ سَاعَةً يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا عَلَى مَا خَسِرَهُ وَرَبِحَهُ فِي
يَوْمِهِ ثُمَّ يُجَدِّدُ لَهُ تَوْبَةً نَصُوحًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَيَنَامُ عَلَى تِلْكَ التَّوْبَةِ وَيَعِزُّهُ عَلَى أَنْ لَا
يَعَاوِدَ الذَّنْبَ إِذَا اسْتَيْقَظَ وَيَفْعَلْ هَذَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَإِنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَى تَوْبَةٍ وَإِنْ
اسْتَيْقَظَ اسْتَيْقَظَ مُسْتَقْبِلًا لِلْعَمَلِ مَسْرُورًا بِتَأْخِيرِ أَجَلِهِ حَتَّى يَسْتَقْبَلَ رَبَّهُ وَيَسْتَذِرَكَ مَا
قَاتَهُ وَلَيْسَ لِلْعَبِيدِ أَنْفَعُ مِنْ هَذِهِ النُّومَةِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا عَقِبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَاسْتِعْمَالِ

(١) المجموعة البهية للعقيدة السلفية (٢/ ٦٠٣).

السُّنَنِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عِنْدَ النَّوْمِ حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَفَقَهُ لَذَلِكَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمُفْصَّلُ ^(١) فَيَكُونُ بِالْعَمَلِ بِالْأَسْبَابِ الْمُنْجِيَاتِ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَمِنْهَا:

الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، وَالتَّمَسُّكُ بِهَذِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَدَمُ مَخَالَفَةِ أَوَامِرِهِمَا، فَفِي «الصَّحِيحِينَ» ^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ، وَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ أَيْ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الْغَشِيُّ، فَجَعَلْتُ أَصْبُ فَوْقَ رَأْسِي الْمَاءَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ، إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤِقِنُ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيَقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا، فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ.

وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْمُنْجِيَاتِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ:

الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» ^(٣) مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الروح (٧٩).

(٢) رواه البخاري (٦٨٥٧)، ومسلم (٩٠٥).

(٣) (صحيح) رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٣٧٥).

عَنْهُ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَلْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَأْتُونَهُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُسْقَى فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ».

ومن الأسباب المنجيات من عذاب القبر:

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»^(١) عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ - لَا يَكْتَبُ لَهُ ثَوَابٌ جَدِيدٌ - إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النِّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرِ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، وَثَبَّتْنَا وَثَقُلْنَا مُوَازِينَنَا، وَحَقَّقْنَا إِيْمَانَنَا وَارْفَعْنَا دَرَجَاتِنَا، وَتَقَبَّلْ صَلَاتَنَا، وَاعْفِرْ خَطِيئَتَنَا، وَنَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قَوَاتِحَ الْخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا نَأْتِي، وَخَيْرَ مَا نَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا نَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطْنُ وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

وسبحانك الله ويحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) (صحيح) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١٦٢١) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٥٤٩).

٣- النفخ في الصور

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَعُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ أَنْفَعُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْفَعُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَعُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿[الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن النفخ في الصور فقد وَرَدَ النَّفْخُ فِي الصُّورِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ﴾ [٥١] ﴿يس: ٥١﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [٢٠] ﴿ق: ٢٠﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [١٨] ﴿انبأ: ١٨﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [١٩] ﴿المؤمنون: ١٩﴾.

وكذلك وَرَدَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِ مُتَنِي الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في

جامع الترمذي^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا».

وعندما يأتي ذلك اليوم يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَنْهِي هَذِهِ النَّفْخَةُ الْحَيَاةَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٨].

وهذه النفخة كما ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى نفخة هائلة مُدْمِرَةٌ يَسْمَعُهَا النَّاسُ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ مَعَهَا أَنْ يُوصُوا بِشَيْءٍ، بَلْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ وَأَحْبَابِهِمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (١٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ [يس: ٥٠، ٤٩].

وليعلم الجميع أَنَّ النَّاقُورَ وَالصُّورَ اسْمَانِ لِمُسْمًى وَاحِدٍ.

ولكن ما هو الصُّورُ؟

الصُّورُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ: الْقُرْنُ.

فَقِي مُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «الصُّورُ قُرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ».

(١) (صحيح) رواه الترمذي، وصحَّحه الألباني في جامع الترمذي (٦/ ٦٢٠) رقم (٢٤٣١).

(٢) (صحيح) رواه الترمذي، وأبو داود، وابن حبان، وأحمد، والحاكم، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٦٣).

وقد سَمَّى اللهُ تعالى الصوتَ الذي يُخْرِجُهُ إِسْرَافِيلُ ﷺ من الصورِ بِأَسْمَاءِ هِيَ:

(١) النَّفْخَةُ: قال تعالى: ﴿وَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ﴾ [الحاقة: ١٣].

(٢) الصَّيْحَةُ: قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۖ﴾ [يس: ١٩].

(٣) الرَّاجِفَةُ: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

(٤) الزَّجْرَةُ: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ﴾ [النازعات: ١٣].

فإِسْرَافِيلُ ﷺ ينفخُ نفخةً وزَجْرَةً - وهي النفخة بِغَضَبٍ - تُحْدِثُ صَيْحَةً عَظِيمَةً تَرْجُفُ لَهَا الْأَرْضُ وَالْقُلُوبُ.

ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي أَنَّهُ اشْتَهَرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَافِيلُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَوَقَعَ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ مُسْتَعِدٌّ دَائِمًا لِلنَّفْخِ فِيهِ مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى، فِيهِ مُسْتَدْرِكُ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ طَرَفَ صَاحِبُ الصُّورِ مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ، مَخَافَةً أَنْ يُؤَمَّرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرَفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوَكْبَانِ دُرِّيَّانِ».

وَفِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي اقْتَرَبَتْ فِيهِ السَّاعَةُ، أَصْبَحَ إِسْرَافِيلُ ﷺ أَكْثَرَ اسْتِعْدَادًا وَتَهَيُّؤًا لِلنَّفْخِ فِي الصُّورِ، فِيهِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ التَّقَّمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنِ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَضْفَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤَمَّرَ أَنْ

(١) رواه الحَاكِمُ، وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ (٣/ ٦٥)، بِرَقْم (١٧٧٨).

(٢) سبقَ تَخْرِيجُهُ ص ١٢٧.

يَنْفُخُ فَيَنْفُخُ»، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، توَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا».

ويوم الجمعة هو اليوم الذي يكون فيه الصَّعْقَةُ:

تقوم الساعة في يوم الجمعة، جاء في صحيح مسلم^(١) وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

وجاء في حديث آخر في السنن، عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»^(٢). ولهذا كان هذا اليوم العظيم يوم الجمعة هو اليوم الذي تُشْفِقُ فيه الخلائق خوفاً وهلعاً، إلا الجن والإنس، ففي مسند أحمد صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ وَفِيهِ تَبَّ عَلَيْهِ وَفِيهِ مَاتَ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ - أَي مُضْغِيَّةٌ مُسْتَمِعَةٌ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُضْبَحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ».

(١) رواه مسلم (١٤١١).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٨ / ٤) وأبو داود (١٤٧)، والنسائي (٣ / ٩١ - ٩٢) وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٢٧).

(٣) (حسن) رواه أحمد (٢ / ٤٨٦)، وأبو داود (١٤٦)، والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٣٤).

ولكن كم مرة يُنفخ في الصور؟

فالذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن إسرافيل يُنفخ في الصور مرتين، الأولى يَحْصُلُ بها الصَّعَقُ، والثانية يَحْصُلُ بها البعثُ، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقد سَمَّى القرآن النفخة الأولى بالرَّاجِفَةِ، والنفخة الثانية بالرَّادِفَةِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

وفي موضع آخر سَمَّى الأولى بالصَّيْحَةِ، وصَرَخَ في الثانية بالنَّفْخِ في الصور. قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۖ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۖ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ [يس: ٥٩-٥١].

وقد جاءت الأحاديث مُصَرِّحَةً بالنَّفْخَتَيْنِ، جاء في الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي قال: «ما بين النَّفْخَتَيْنِ أربعون، قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يوماً، قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنةً، قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً، قال: أبيتُ، ويُبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبُ ذَنْبِهِ فِيهِ يُرْكَبُ الْخَلْقُ».

وهذا الحديث صريحٌ بأنها نفختان.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِنَا وَرَفَعَ لِنَا قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ

(١) رواه البخاري (٤٥٣٦)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٠).

قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظَّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ».

﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (١) [الصفات، آية: ٢٤].

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة قال: «بينما يهوديٌّ يَغْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اضْطَقَمْتُ مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ. فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اضْطَقَمْتُ مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ. وَالنَّبِيُّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أبا القَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي؟ فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» فَذَكَرَهُ؛ فَغَضِبَ النَّبِيُّ حَتَّى رُمِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُقْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟».

وفي رواية لمسلم^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفَيِّقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فَيَمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتُنْتُ اللَّهُ؟».

وفي «صحيح البخاري»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَذَلِكَ كَانَ أَمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ».

(١) رواه البخاري (٣١٦٢).

(٢) رواه مسلم (٤٣٧٧).

(٣) رواه البخاري (٤٤٣٩).

وُخْلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ النِّفْخَةَ الْأُولَى لِهَلَاكِ الْعِبَادِ، وَالنِّفْخَةَ الثَّانِيَةَ لِبَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَقَدْ رَجَّحَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي سَقْنَاهَا جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ الْقُرْطُبِيُّ، وَابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَمَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

«اللَّهُمَّ انْقَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا».

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



٤- الحَشْرُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿آل عمران: ١٠٢﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١]﴾.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ: فحديثي الآنَ سيكونُ عن حَشْرِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَقَدْ دَلَّتِ الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى حَشْرِ الْعِبَادِ بَعْدَ بَعْثِهِمْ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ وَهُوَ جَمْعُ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِحَسَابِهِمْ وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ عَلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ الْبَعْثِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا سَفِيْعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [٥١] ﴿[الأنعام: ٥١]﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرَبِّهِمْ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [٥٥] ﴿[يونس: ٥٥]﴾، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ

الْجِبَالِ وَرَأَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾ [الكهف: ١٧]، وقال ﷺ: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ ﴿١٨﴾ [ق: ١٨].

ونحن نتشوف لمعرفة أي أرض يُحشَرُ عليها الناس يوم القيامة.

والجواب الأرض التي يُحشَرُ العبادُ عليها في يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿١٨﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رَسُولَ اللَّهِ عَنْ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: عَلَى الصِّرَاطِ.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) أيضًا عن ثوبان رضي الله عنه قال: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَجَاءَ حَبِيبٌ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي»، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ مَعَهُ، فَقَالَ: سَلْ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «هُمْ فِي الظُّلُمَةِ دُونَ الْحَشْرِ».

وفي «الصحيحين»^(٣) عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ

(١) رواه مسلم (٢٧٩١).

(٢) رواه مسلم (٣١٥).

(٣) رواه البخاري. واللفظ له (٦٠٤٠)، ومسلم (٤٩٩٨).

النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيَضاءَ عَفراءَ كَقَرَصَةِ النِّقْيِ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ».

العَفراءُ هِيَ الْبَيضاءُ لَيْسَ بِبَاضِها بِالنَّاصِعِ.

النِّقْيُ هُوَ الْخُبْزُ الْأَبْيَضُ.

وَالْمَعْلَمُ بِفَتْحِ الْمِيمِ مَا يُجْعَلُ عِلْمًا وَعَلَامَةً لِلطَّرِيقِ وَالْخُدُودِ وَقِيلَ الْمَعْلَمُ الْأَثَرُ وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا لَمْ تُوطَأْ قَبْلَ فَيَكُونُ فِيهَا أَثَرٌ أَوْ عَلَامَةٌ لِأَحَدٍ.

أَصْنَافُ الْمُخْشَوْرِينَ:

الْمُؤْمِنُونَ يُخْشَرُونَ بِبَيْضِ الْوُجُوهِ مُسْتَبِيرَةً وَجُوهُهُمْ مَسْرُورَةٌ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمَجْرِمُونَ فَإِنَّهُمْ يُخْشَرُونَ سَوْدَ الْوُجُوهِ مُغْبِرَةً وَجُوهُهُمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْخُذْلَانِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبِيرَةٌ ۚ﴾ (٣١) ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ﴾ (١١) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۚ﴾ (١٢) [عبس: ٣٨ - ٤٢].

خَشَرُ الْكُفَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَخْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمٌ وَأَبْكَاءٌ وَصُفًا مَّا وَنَتْهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۚ﴾ (١٧) [الإسراء: ٩٧].

وَفِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ» (١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةُ رَبِّنَا.

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٤٧٦٠).

وَمَشْهَدُ الْحَشْرِ عَلَى الْوَجْهِ فِيهِ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالتَّحْقِيرِ، مَا يُقَابِلُ التَّعَالِي وَالِاسْتِكْبَارَ وَالْإِعْرَاضَ عَنِ الْحَقِّ، إِنَّهُ مَشْهَدٌ يُذِلُّ الْكِبْرِيَاءَ، وَيُرْزِلُ الْعِنَادَ، وَيَهْزُ الْكِيَانَ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سُكَّرَ مَكَانَاوَأَضْلُ سَبِيلَا﴾ [٢١] ﴿[الفرقان: ٣٤].

يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاءَ عُرَاءَ غَيْرَ مَخْتُونِينَ

دَلَّتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الْعِبَادَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا أَيْ غَيْرَ مَخْتُونِينَ كَمَا وَلَدَتْهُمْ أُمِّهَاتُهُمْ، فِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا - ثُمَّ قَرَأَ -: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾» [١٠١] ﴿[الأنبياء: ١٧]. وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أَنَسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ السَّمَاءِ فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي. فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الْرَقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١٧] إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [١١٨] ﴿[المائدة: ١٧٧، ١١٨].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النَّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

(١) رواه البخاري (٣٣٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٩).

يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ:

ذَلَّتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ عِنْدَ مَوْتِهِمْ يَدُلُّ عَلَى هَذَا مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ».

وَجَاءَ أَنَّ الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُخْرِمٌ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا، فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رِجْلَيْهِ فَوَقَصَتْهُ - أَوْ وَقَصَتْهُ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَبَسِطُوا رَأْسَهُ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا».

وَالشَّهِيدُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قُتِلَ، فِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمَةُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكٍ».

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَمَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُو عَلَيْنَا مِصْيَبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُورِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ نَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مِصْيَبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ

(١) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ (٧١٠٨) وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ (٧٤١٥).

(٢) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ (٧١٠٨) وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ (٧٤١٥).

(٣) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٥٥٣٣).

عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَفَقَّهْنَا فِي الدِّينِ.

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الذِّرَّةَ الطَّيِّبَةَ وَبَارِكْ لَنَا فِيهَا أَعْطَيْتَنَا».

«اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



٥- الشفاعة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿ال عمران: ١٠٢﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿الاحزاب: ٧٠-٧١﴾. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي الآن سيكون حَوْلَ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وستكون الشَّفَاعَةُ بعد أَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا - أَيِ غَيْرِ مَخْتُونِينَ -، تَذْنُو الشَّمْسُ مِنَ الرُّؤُوسِ مِقْدَارَ مِيلٍ، وَيُغْرِقُهُمُ الْعَرَقُ أَوْ يَكَادُ، وَيَصْبِحُ النَّاسُ فِي عَذَابٍ وَهُمْ وَغَمٌّ وَضِيقٌ وَشِدَّةٌ، فعند ذَلِكَ يَقْرَعُونَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ حَتَّى يَشْفَعُوا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ لِيُنْزِلَ الْحِسَابَ.

والشفاعة عند الله: سَوْأَلُ اللَّهِ التَّجَاوُزَ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْإِثَامِ لِلْغَيْرِ. وَحَقِيقَتُهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلْطِفُهِ وَكَرَمِهِ يَأْذُنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَشْفَعُوا عِنْدَهُ فِي بَعْضِ أَصْحَابِ الذُّنُوبِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ إِظْهَارًا لِكِرَامَةِ الشَّافِعِينَ عِنْدَهُ وَرَحْمَةً بِالْمَشْفُوعِ فِيهِمْ.

وَلَا تَصِحُّ الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِذْنُ اللَّهِ تَعَالَى لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سَبَأ: ٢٣] لِأَنَّ الْمَشْرُوكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ يَقُولُونَ: إِنَّهَا شَفَعَاءُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُمْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ ﷻ فِيهَا بِالْدُّعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَهُمْ بِذَلِكَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُعْظَمُونَ لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ مُتَقَبِّضُونَ لَهُ، لِأَنَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَهُ الْحُكْمُ التَّامُّ الْمُطْلَقُ وَالْقُدْرَةُ التَّامَّةُ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شُفَعَاءَ. وَيَقُولُونَ: إِنَّا نَعْبُدُهُمْ لِيَكُونُوا شُفَعَاءَ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، فَيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ، وَهُمْ ضَالُّونَ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - عَلِيمٌ وَقَدِيرٌ وَذُو سُلْطَانٍ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شُفَعَاءَ، وَالْمَلُوكُ فِي الدُّنْيَا يَحْتَاجُونَ إِلَى شُفَعَاءَ، إِمَّا لِقُصُورِ عِلْمِهِمْ، أَوْ لِنَقْصِ قُدْرَتِهِمْ، فَيُسَاعِدُهُمُ الشُّفَعَاءُ فِي ذَلِكَ، أَوْ لِقُصُورِ سُلْطَانِهِمْ، فَيَتَجَرَّأُ عَلَيْهِمُ الشُّفَعَاءُ، فَيَشْفَعُونَ بِدُونِ اسْتِثْنَائِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ كَامِلُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ، فَلَا يَحْتَاجُ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ، وَلِهَذَا لَا تَكُونُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِكَمَالِ سُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ. ثُمَّ الشَّفَاعَةُ لَا يُرَادُ بِهَا مَعُونَةُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي شَيْءٍ مِمَّا شَفَعَ فِيهِ، فَهَذَا مُمْتَنِعٌ وَلَكِنْ يُقْصَدُ بِهَا أَمْرَانِ، هُمَا:

١- إِكْرَامُ الشَّافِعِ.

٢- نَفْعُ الْمَشْفُوعِ لَهُ.

الثَّانِي: رِضَا اللَّهِ عَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُ أَنْ يُشْفَعَ فِيهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْفَعَ إِلَّا فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ قَالَ تَعَالَى فِي الْكَافِرِ: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

والشفاعةُ الثابتةُ بشروطها، أنواعُ:

منها أنواعٌ خاصةٌ بالنبي ﷺ، وأنواعٌ مشتركةٌ بينه وبين غيره من الأنبياء، والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ، كُلُّ هؤلاء يَشْفَعُونَ عند الله ﷻ.

وأما الشفاعةُ الخاصةُ بالنبي ﷺ فهي أنواعُ: الشفاعةُ الخاصةُ بالنبي ﷺ وهي: الشفاعةُ العظمى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل، حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: «أنا لها» (وهي المقامُ المحمود). ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَبَرِّحْنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَاسْكَنْكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِنَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُبْرِحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا، أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ، وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: قَتْلَهُ النَّفْسِ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى، عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمِعُ،

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٣٦٠، ٤٧٧٢، ٧٥١٠)، ومسلم رقم (١٩٣، ١٩٤).

وَأَشْفَعُ تُشْفَعُ، وَسَلُّ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْثِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٌ يُعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَهْوُدُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ازْفَعُ مُحَمَّدٌ، وَقُلُّ يُسْمَعُ، وَأَشْفَعُ تُشْفَعُ، وَسَلُّ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْثِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٌ يُعْلَمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ، فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَهْوُدُ الثَّالِثَةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ازْفَعُ مُحَمَّدٌ، وَقُلُّ يُسْمَعُ، وَأَشْفَعُ تُشْفَعُ، وَسَلُّ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْثِي عَلَى رَبِّي بِنَاءً وَتَحْمِيدٌ يُعْلَمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ. أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ - قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٧١)»، قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ.

هذه شفاعته عليه الصلاة والسلام في الفصل بين الخلائق، وهي مقام عظيم شرف الله به النبي ﷺ، وهي المقام المحمود الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ فَتَهَجَّدُ بِهِ. نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٧١) [الإسراء: ٧٩] لَأَنَّهُ يَحْمَدُهُ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَيُظْهِرُ فَضْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ.

الشفاعة الثانية: الخاصة بالنبي ﷺ: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، أي: في فتح باب الجنة.

وهذه الشفاعة تُبَيِّنُ لَنَا كَيْفَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُرْضِيَ رَبَّهُ، وَلَا يُمَكِّنُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يَقْبَلَهُ اللَّهُ إِلَّا إِذَا أَتَى خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ مُقْتَفِيًا أَثَرَهُ، فَحَتَّىٰ بَعْدَمَا قَضَىٰ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَعْدَمَا قَضَىٰ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِالْجَنَّةِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ بِالنَّارِ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْخُلُوهَا وَيَكْمُلَ التَّمَتُّعُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ»، فَهُوَ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنَ الْأُمَّمِ أُمَّتُهُ ﷺ.

الشفاعةُ الثالثةُ: الخاصَّةُ بالنبي ﷺ: شفاعتهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ مَنَازِلَهُمْ وَدَرَجَاتِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِي أَنَاسٍ فِي أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَرْفَعُهُمُ اللَّهُ بِشَفَاعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشفاعةُ الرابعةُ: - وهي مشتركةٌ - الشفاعةُ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ دَخُولَ النَّارِ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا، وَفِي مَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَهَذِهِ هِيَ مَحَطُّ الْخِلَافِ بَيْنَ الْفِرْقِ؛ فَالْجَهَنَّمِيَّةُ وَالْخَوَارِجُ وَأَصْرَابُهُمْ أَنْكَرُوهَا وَقَالُوا: مَنْ دَخَلَ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَثَبَتُوهَا كَمَا جَاءَتْ وَاعْتَقَدُوهَا، وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَقِدَهَا وَيُؤْمِنَ بِهَا، وَتَكُونُ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ فَهِيَ مُشْتَرَكَةٌ، يَشْتَرِكُ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ وَغَيْرُهُ فَالْمَلَائِكَةُ يَشْفَعُونَ، وَالْأَنْبِيَاءُ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ يَشْفَعُونَ

(١) رواه مسلم رقم (١٩٦).

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٩٧).

بمعنى: أن الذين فعلوا الكبائر وَغَلَبَتْ سَيِّئَاتُهُمْ حَسَنَاتِهِمْ، وقد قضى الله أنهم من أهل النار، يأتي النبي ﷺ فَيُشْفَعُ فِيهِمْ، ويأتي المؤمنون فيشفعون فيهم، ويأتي الأنبياء والمرسلون فيشفعون فيهم، فيقبل الله هذه الشفاعة فلا يُدْخِلُهُم النار.

هذه شفاعَةٌ عظيمةٌ جدًا في أهل الكبائر، والدليل على هذه المسألة ما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنِّي أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَذْخِرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقد بُنِتْ هذه الشفاعة بما جاء في «الصحيحين»^(٣) من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قوله ﷺ: «فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ. وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَزْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا جَمْعًا».

وليس معنى هذا أن الله يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وهم كُفَّارٌ؛ بل المعنى أنهم لم يعملوا خيرًا سوى الشهادتين ولولاهما لما خرجوا؛ شَأْنُهُمْ شَأْنُ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ.

الشفاعة الخامسة: وهي خاصةٌ بالنبي ﷺ، وهي شفاعته في عمه أبي طالب: أبو طالب مات على الشرك وعلى دين عبد المطلب المشرك، قال: هو على ملة عبد المطلب، ومات على ذلك، فصار من أهل النار الخالدين فيها. ولكن الله ﷻ يُشْفَعُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في تخفيف العذاب عنه، فيكون في ضحضاحٍ من نارٍ، ما

(١) رواه مسلم (٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٣ / ٥) رقم (٥٩٤٥)، ومسلم (١ / ١٩٠) رقم (١٩٩).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٧٨٣).

يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، مَعَ أَنَّهُ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ فَفِي «الصَّحِيحِينَ» (١)
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ
شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي صَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيَّةٍ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّا نَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

اللَّهُمَّ نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا
نُخْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِثْلُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ،
أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا
مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ».

وَسَبِّحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٧)، وَمُسْلِمٌ (٢١٠).

٦- الخوض

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١١٠) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي فَسَّاءُ لُونَهُ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد: فحديثي اليوم سيكون عن الخوض والخوض وما أدراك ما الخوض الخوض مؤرِدٌ عَظِيمٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْمَخْشَرِ يَرِدُهُ هُوَ وَأُمَّتُهُ فَهُوَ مَكْرَمَةٌ وَمِنَّةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، لِيُوَاصِلَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ الشُّرْبَ الْحَسِّيَّ، كَمَا شَرِبُوا فِي الدُّنْيَا الشُّرْبَ الْمَعْنَوِيَّ مِنَ الْاهْتِدَاءِ وَالْاِقْتِدَاءِ بِهِ ﷺ، وَلَا يَشْرَبُ ذَلِكَ الشُّرْبَ الْحَسِّيَّ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ شَرِبَ الشُّرْبَ الْمَعْنَوِيَّ فِي الدُّنْيَا، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يُدَاذُّ عَنْهُ وَيُطْرَدُ جَزَاءً وَفَاقًا؛ لِأَنَّهُ أُعْرِضَ عَنِ الْاهْتِدَاءِ وَالْاِقْتِدَاءِ بِمَنْ اضْطَفَاهُمُ اللَّهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيُجَازَى بِطَرْدِهِ فِي الْآخِرَةِ عَنِ الشُّرْبِ مِنْهُ.

وَيُعْرَفُ الْحَوْضُ بِأَنَّهُ هُوَ مُجْتَمَعُ الْمَاءِ، وَحَوْضُ الرَّسُولِ «الَّذِي يَسْقِي مِنْهُ أُمَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَلَمَّا ظَهَرَ لِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ مَاءُ زَمْزَمَ جَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ، أَيَّ تَجْعَلُ لَهُ حَوْضًا يَجْتَمِعُ فِيهِ. وَالْجَمْعُ: حِيَاضٌ وَأَخَوَاضٌ^(١).

وَيُعْرَفُ الْحَوْضُ شَرْعًا: مَا أَثْبَتَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِنْ وَجُودِ حَوْضٍ يَجْمَعُ الْمَاءَ النَّازِلَ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ خَاصٌّ بِالنَّبِيِّ ﷺ.

أَيْنَ يَكُونُ مَوْقِعُ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

الصَّحِيحُ الرَّاجِعُ: أَنَّ حَوْضَ النَّبِيِّ ﷺ يَكُونُ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ الْمُرُورِ عَلَى الصَّرَاطِ.

صِفَاتُهُ:

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالَّذِي يَتَلَخَّصُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ أَنَّهُ حَوْضٌ عَظِيمٌ وَمُورِدٌ كَرِيمٌ، يُمَدُّ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ، مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْإِتْسَاعِ، عَرْضُهُ وَطَوْلُهُ سِوَاءٌ كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ^(٢).

مَسَافَةُ الْحَوْضِ:

وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ عَدِيدَةٌ تُشِيرُ إِلَى مَسَافَةِ الْحَوْضِ وَسَعَتِهِ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي

(١) تاج العروس (١/ ٤٦٠٨، ٤٦٠٩).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٨١).

(٣) رواه البخاري (٦٠٩٤) واللفظ له، ومسلم (٤٢٥٨).

كَمَا بَيَّنَّ أَيْلَةً وَصَنَعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْآبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «خَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ خَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلَجِ وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ وَلَا يَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأُصِدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ خَوْضِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرُدُّونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ».

الإيمان به:

الإيمان بالخَوْضِ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

قال الإمام أحمد رحمته الله: «وَالْإِيمَانُ بِالْخَوْضِ وَأَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ «خَوْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، عَرْضُهُ مِثْلُ طَوْلِهِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، آيَتُهُ كَعَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ عَلَى مَا صَحَّحَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ»^(٣).

وَنَقَلَ الْأَجْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - قَالَ: «أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَتَعَجَّبُ مِمَّنْ يَشْكُ فِي الْخَوْضِ إِذْ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ الْخَوْضَ مِمَّا يُؤْمِنُ بِهِ

(١) رواه البخاري (٦٩٣) واللفظ له، ومسلم (٤٢٤٤).

(٢) رواه مسلم (٣٦٤).

(٣) مُجْمَلُ اعْتِقَادِ أئِمَّةِ السَّلَفِ (١/ ٤٧).

الخاصَّةُ والعامَّةُ حتَّى إنَّ العجائزَ يسألنَّ اللهَ ﷻ أَنْ يَسْقِيَهُنَّ مِنْ حَوْضِهِ «فنعودُ باللهِ مِنْ لا يُؤْمِنُ بِالْحَوْضِ، وَيُكَذِّبُ بِهِ...» (١).

أما من أينَ مَصْدَرُ الحَوْضِ؟

الحَوْضُ يجري من الجَنَّةِ عَبْرَ نَهْرِ الكَوْثَرِ فَيَصُبُّ في حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ قال اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١].

وفي «صحيح مسلم» (٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ذاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أُنزِلْتُ عَلَيَّ آيَةُ سُورَةِ فَقَرَأْتُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ إِنَّكَ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ثُمَّ قَالَ: أَتَذَرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فيقول: مَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُ بِعَدْلِكَ.

وهذه الآية تُثَبِّتُ أمرين:

الأول: الكوثرُ وهو نَهْرٌ من أنهارِ الجَنَّةِ وَعِدَ به رسولُ اللهِ وخُصَّ به دونَ غيره.

الثاني: إثباتُ الحَوْضِ، وهو مَجْمَعُ مَصَبِّ ماءِ نهرِ الكَوْثَرِ في عَرَصاتِ القيامةِ يَرِدُ عليه مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ لِيَشْرَبَ شَرْبَةً لا يَظْمَأُ بعدها أبداً.

(١) الشريعةُ للأَجْرِيِّ (٢/ ٤٢٣).

(٢) رواه مسلم (٦٧).

أَدِلَّةُ ثُبُوتِ الْخَوْضِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ:

الْخَوْضُ الَّذِي شَرَّفَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَيْضًا أَجْمَعَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَى ثُبُوتِ الْخَوْضِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ تَشْرَفُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، إِظْهَارًا لِمَكَائِلِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا الْإِجْمَاعُ مَا انْخَرَقَ، لَكِنْ خَالَفَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ فَأَنْكَرُوا الْخَوْضَ، وَهَؤُلَاءِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - سَيُخْرَمُونَ وَيُصَدَّدُونَ عَنْ هَذَا الْخَوْضِ، وَهُمْ أَشَدُّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى هَذَا الْخَوْضِ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ جِزَاءً وَفَاقًا، وَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

وَهَا هِيَ الْأَدِلَّةُ كَالشَّمْسِ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ:

فَفِي «الصَّحِيحِينَ» ^(١) حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا قَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ ابْنُ أَبِي عِيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: «إِنَّهُمْ مِنِّي فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» ^(٢) مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: إِنِّي قَرَطُ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَنْظَرُ إِلَى خَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٢٨) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٤٢٤٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦١٢٢) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٤٢٤٨).

خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا.

وفي «صحيح مسلم»^(١) عن ثوبان قال: سُئِلَ النَّبِيُّ عَنْ شَرَابِهِ، فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ يَغْتُ (أَيُ يَصُبُّ وَيَسِيلُ) فِيهِ مِيزَابَانِ يُمَدُّانِي مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ».

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ إِبْثَاتُ الْخَوْضِ لِلنَّبِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَيَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَرُدُّونَ الْخَوْضَ، وَهُنَاكَ مَنْ يُدَادُّونَ عَنْهُ:

فَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ صِفَةَ الَّذِينَ يَرُدُّونَ عَلَى خَوْضِهِ، وَالَّذِينَ يُمْنَعُونَ مِنَ الشُّرْبِ مِنْهُ، وَهَذَا بَعْضُ مَا وَرَدَ مِنْهَا:

فَفِي «صحيح البخاري»^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِيَ رِجَالُ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجَنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدْلِكَ».

وفي «صحيح البخاري»^(٣) عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَغْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَتْنِي النُّعْمَانُ ابْنُ أَبِي عِيَّاشٍ فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتُ مِنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ:

(١) رواه مسلم (٤٢٥٦).

(٢) رواه البخاري (٦٩٩٠).

(٣) رواه البخاري (٦٩٩٧).

أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا فَأَقُولُ: «إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدَاكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

قال القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكلُّ مَنْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، أَوْ أَخَذَتْ فِيهِ مَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ، وَلَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ، الْمُتَبَعِدِينَ عَنْهُ، وَأَشَدُّهُمْ طَرْدًا مَنْ خَالَفَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَارَقَ سَبِيلَهُمْ كَالْخَوَارِجِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِرْقِيهَا، وَالرَّوَافِضِ عَلَى تَبَايُنٍ ضَلَالِيهَا، وَالْمُعْتَزِلَةِ عَلَى أَصْنَافٍ أَهْوَانِيهَا، فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مُبْذَلُونَ.

وكذلك الظلمةُ المُسْرِفُونَ فِي الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ وَتَطْمِيسِ الْحَقِّ وَقَتْلِ أَهْلِهِ وَإِذْلَالِهِمْ وَالْمَعْلَنُونَ بِالْكَبَائِرِ الْمُسْتَخْفُونَ بِالْمَعَاصِي، وَجَمَاعَةُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ. ثُمَّ الْبُعْدُ قَدْ يَكُونُ فِي حَالٍ، وَيُقَرَّبُونَ بَعْدَ الْمَغْفِرَةِ إِنْ كَانَ التَّبْدِيلُ فِي الْأَعْمَالِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَقَائِدِ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ نُورُ الرُّضْوَةِ يُعْرَفُونَ بِهِ، ثُمَّ يَقَالُ لَهُمْ: سُحْقًا، وَإِنْ كَانُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ يُظَاهِرُونَ الْإِيمَانَ وَيُسِرُّونَ الْكُفْرَ فَيَأْخُذُهُمُ بِالظَّاهِرِ، ثُمَّ يُكْشَفُ لَهُمُ الْغِطَاءُ فَيُقَالُ لَهُمْ: سُحْقًا سُحْقًا، وَلَا يُخْلَدُ فِي النَّارِ إِلَّا كُلُّ جَاحِدٍ مُبْطِلٍ، لَيْسَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ^(١).

وقد يُقَالُ: إِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْحَوْضَ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ شَرْبَةً لَمْ يُصِبْهُ الظَّمَأُ أَبَدًا، فَأَيُّ حَاجَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الشُّرْبِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ؟

وقد أجاب العلماء عن هذا فقالوا: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَشْرَبُونَ نَتِيجَةَ لِعَطَشٍ يُصِيبُهُمْ، وَإِنَّمَا يَشْرَبُونَ تَلَذُّذًا وَشَهْوَةً لَا لِدَفْعِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ^(٢).

(١) كتاب التذكرة: ص ٣٠٦.

(٢) تكملة شرح الصدور ص ٢٦.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا مِنْ حَوْضِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ شَرْبَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا.
 اللَّهُمَّ نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا
 نَخْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.
 اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً مِنْ
 عِنْدِكَ وَارْحَمْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.
 وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



٧- الحساب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿ال عمران: ١٠٢﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿الاحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

حديثي اليوم سيكون عن الحساب يوم الحساب.

والمراد بالحساب أَنْ يُوقَفَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - عِبَادَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُعَرَّفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا، وَأَقْوَالِهِمُ الَّتِي قَالُوهَا، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ، وَاسْتِقَامَةٍ وَانْحِرَافٍ، وَطَاعَةٍ وَعَصْيَانٍ، وَمَا يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ، ثُمَّ يُؤْتِيهِمْ كُتُبَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَآخِذٌ كِتَابُهُ بِالْيَمِينِ إِنْ كَانَ صَالِحًا، وَآخِذٌ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ إِنْ كَانَ طَالِحًا.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِمِيزَانٍ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ﴿٨﴾ وَنَقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝ ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۝ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝ ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: ٧-١٥].

وَيَسْمَلُ الْحِسَابُ مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ لِعِبَادِهِ، وما يقولونه له، وما يُقِيمُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ، وشهادة الشُّهُودِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ عَائِنِي ثَلَاثَ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ۝ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بِأَيِّ ذَنبٍ ۝ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

أما أين يكون الحساب؟

فيكون في عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ الْمِيزَانِ وَيَلِي الْمِيزَانَ الصُّرَاطُ.

كَيْفَ يُحَاسَبُ الْعَبْدُ؟

الحسابُ يُذَكَّرُ وَيُرَادُّ بِهِ عَرَضُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْعَبْدِ، وهذا بلا رَيْبٍ الْمُرَادُّ مِنَ الْحِسَابِ، دليل ذلك قولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ عَذَابٌ عُثْرٌ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ ۝ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]، وقولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦] فهذا عَرَضُ الْأَعْمَالِ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْكَافِرِ هَذِهِ الْأَعْمَالُ وَيُكْتَتُهُ وَيَجْعَلُهُ فِي حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ عَلَىٰ مَا فَعَلَ وَضَيَّعَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَخَابَ وَخَسِرَ فِي الْآخِرَةِ.

الدليل على أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨]، ويقولُ تعالى عن الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنِّي نُنَشِّئُكَ أَفْ مَلَكٍ حَسْبِيَ ۝ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ٢٠]، وكذلك الْكَافِرُ يَقُولُ: ﴿يَنْتَنِي رَبُّ أَوْتَ

كِتَابَهُ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦]، ويقول تعالى: ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]، ويُخبر الله عن سرعة الحساب فيقول: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٢]، فالحساب على الأعمال حق، ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ».

الله هو الذي يتولى الحساب:

والله ﷻ هو الذي يُحاسبُ الناسَ جميعاً بنفسه، بدون واسطة.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». وفي لفظ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَخْبِيهِ»^(٣).

ويومُ الحسابِ يومٌ عظيمٌ تحضرُهُ الملائكةُ ومعها كُتُبُ الأعمالِ التي أُخْصِتْ أعمالُ الخلائقِ وسَجِّلَتْهَا فِيهَا: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ بَوَيْلَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾^(٤) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا

(١) رواه البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١١٦).

(٣) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١١٦).

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ [النمل: ٨٩، ٩٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الأنعام: ١٦٠].

الرُّسُلُ - عليهم الصلاة والسلام - يَخْضَرُونَ الْحِسَابَ:

فالرُّسُلُ في هذا اليوم العظيم يُخْبِرُونَ عَنْ تَبْلِيغِ الْأَمَانَةِ الَّتِي تَحْمِلُوهَا، وَيَشْهَدُونَ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وهكذا الأَشْهَادُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينَ﴾ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] يَشْهَدُونَ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا عَمِلُوا، وَلِشِدَّةِ هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ يَجْتُمِعُ الْعِبَادُ عَلَى الرُّكْبِ خَوْفًا وَهَلَعًا. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَأَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ [الجاثية: ٢٨].

مِيزَةُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يَوْمَ الْحِسَابِ:

وفي هذا اليوم تَظْهَرُ فَضِيلَةُ خَصِّ اللَّهِ بِهَا أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهِيَ اخْتِصَاصُهَا بِشَهَادَتِهَا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَى أُمَّةِهِمْ، وَبِشَهَادَةِ رَسُولِهِمْ ﷺ عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال ﷺ: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. وَتَكُونُ شَهَادَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ ﷺ: فَنِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ

(١) الْبُخَارِيُّ (٣٢٣٩).

بَلَّغَكُمْ؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فيقول: محمدٌ ﷺ وأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وهو قوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ والوسط: العدلُ.

وتَبْلُغُ الدَّقَّةَ في الحسابِ مُتَتَهِّئًا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُتَصَوَّرَ، حتى يَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ جِزَاءَ مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، سواءَ أَكَانَ ذَلِكَ عَمَلًا مَارَسَهُ بِالْفِعْلِ، أَوْ عَمَلًا نَوَاهُ وَأَصَرَّ عَلَيْهِ، فَتَقَامُ لَذَلِكَ مَوَازِينُ الْقِسْطِ، حتى يَتَحَقَّقَ الْعَدْلُ الإِلَهِيُّ عَلَى أَكْمَلِ صُورَةٍ.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ثم تكونُ عاقبةُ كُلِّ حَسَبٍ رُجْحَانِ الْمِيزَانِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ نُقْصَانِهِ.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٠٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [١٠٣].

أقسامُ الناسِ في الحِسَابِ:

القسمُ الأولُ: مَنْ يَكُونُ حِسَابُهُ يَسِيرًا وَهُمْ أَهْلُ الْيَمِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ بِعَمَلِهِ﴾ [٧] فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [٨] [الانشقاق: ٧-٨].

الثاني: مَنْ يَلْقَى سُوءَ الْحِسَابِ وَهُمْ أَهْلُ جَهَنَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسَ الْهَادُ﴾ [١٨] [الرَّعْدُ: ١٨].

والمؤمنون في الحسابِ ثلاثة أقسام:

فِقَسَمُ لَا يُحَاسَبُ، وهؤلاء طائفة من أمة محمد ﷺ أَخْبَرَ عَنْهُمْ ﷺ، وَعِدَّتُهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلا حسابٍ، ففي «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَبَجَعَلْ يَمُرُّ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ: انظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلا حسابٍ». وفي رواية: «هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدِّمَتْهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ».

فهذه زيادةٌ فضيلةٍ لهؤلاء أنهم يتقدمون الأمة، وجاء في وَصْفِهِمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما في وَصْفِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ: «مُتَمَّا سَكِينٌ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِيَعْضٍ، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

وفي حديثٍ آخَرَ في «الصحيحين»^(٣) من حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه «أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ زُمْرَةً وَاحِدَةً».

وفي رواية في «صحيح مسلم»^(٤): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ» شَكُّ مِنَ الرَّأْيِ.

(١) رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢١٦).

(٣) رواه البخاري (٦٥٥٤)، ومسلم (٢١٩).

(٤) رواه مسلم (٢١٧).

وَوَقَعَ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى فِي غَيْرِ الصَّحِيحِينَ أَنَّ مَعَ السَّبْعِينَ أَلْفًا زِيَادَةً عَلَيْهِمْ ^(١).

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: لَا يُنَاقَشُونَ الْحِسَابَ، وَإِنَّمَا تُعَرَّضُ أَعْمَالُهُمْ ثُمَّ يُتَجَاوَزُ لَهُمْ عَنْهَا، فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُدَّ بِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَوْ لَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنْ مِنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَوْدُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صِفَةِ الصَّلَاةِ ^(٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا»، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ - وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «الرَّجُلُ تُعَرَّضُ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ ثُمَّ يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهَا» - إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَأْتِيهِ هَلَكٌ».

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: يُنَاقَشُونَ الْحِسَابَ وَيُسْأَلُونَ فِيهِ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةً مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ. وَمِنْ أَمْثِلَةِ هَذَا الصَّنْفِ الَّذِي يُنَاقَشُ الْحِسَابَ وَتُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ صَاحِبُ الْبِطَاقَةِ الَّذِي فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» ^(٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةَ

(١) «فَتْحُ الْبَارِيِّ» (١١ / ٤١٠).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣).

(٣) (إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٦ / ٤٨) وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «أَصْلُ صِفَةِ الصَّلَاةِ» (٣ / ١٠٧).

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٧ / ٣٩٥) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (١٧٧٦). وَحَسَنَةُ شَيْخِنَا الْوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» (٧٨٧).

وَتَسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرِجُ بَطَاقَةً، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: اخْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ أَحَدٌ.

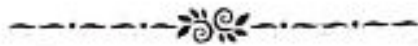
اللَّهُمَّ حَاسِبْنَا حَسَابًا يَسِيرًا.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَمُرَافَقَةً مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ.

اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَارْضِنَا وَارْضَ عَنَّا اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



٨- الميزان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن الميزان، والميزانُ وما أدراك ما الميزانُ؟ إِنَّهُ مِيزَانٌ عَظِيمٌ يُنْصَبُ فِي خِتَامِ يَوْمِ الْحِسَابِ لِيُوزَنَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، لِأَنَّ الْوِزْنَ لِلْجَزَاءِ، وَهُوَ بَعْدَ الْمُحَاسَبَةِ، فَالْمُحَاسَبَةُ لَتَقْدِيرِ الْأَعْمَالِ، وَالْوِزْنُ لِإِظْهَارِ مَقَادِيرِهَا لِيَكُونَ الْجَزَاءُ بِحَسَبِهَا^(١).

وهو ميزانٌ حَقِيقِيٌّ حِسِّيٌّ لَا يَقْدَرُ قَدْرُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَهُوَ مِيزَانٌ دَقِيقٌ لَا يَزِيدُ وَلَا يُنْقُصُ.

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٣٧٩).

والدليل على الميزان من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٩].

والدليل من السنة:

فيه أحاديث كثيرة نذكر طرفاً منها:

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرِجُ بَطَاقَةً، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَرَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ أَحَدٌ».

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٦).

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَمَّا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أَحَدٍ».

وفي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْأَكُولِ الشَّرُوبِ الطَّوِيلِ، فَيُوزَنُ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ثُمَّ قَرَأَ: «فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا»^(٣) [الْكَهْفُ: ٦٥].

ما الذي يُوزَنُ في الميزان؟

والذي يُوزَنُ في الميزان ثلاثة، وقد دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ النُّصُوصُ:

١- الأَعْمَالُ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهَا تُجَسَّمُ وَتُوزَنُ فِي الْمِيزَانِ.

وقد جَاءَتْ نصوصٌ كثيرةٌ في ذلك، فسبحانَ الله وبِحَمْدِهِ وسبحانَ الله العظيم ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

وفي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٥) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُبَّةٌ

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤٢٠) وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٧٥٠).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٢٩)، وَمُسْلِمٌ (٢١٤٧).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٩٤).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٢٨).

لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».

وأخرج الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»^(١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ».

٢- صُحُفُ الْأَعْمَالِ، وقد دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُسْأَلُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٍ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبُطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبُطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَثَقَلَتِ الْبُطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ أَحَدٌ».

٣- الْعَامِلُ نَفْسَهُ، وقد دَلَّ عَلَيْهِ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْأَكُولِ الشَّرُوبِ الطَّوِيلِ، فَيُوزَنُ فَلَا يَزَنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (١١٥) ﴿[الْكَهْفُ: ١٠٥].

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢) وصححه الألباني في «الصحيح» (٨٧٦).

(٢) تقدم تخريجُه.

(٣) تقدم تخريجُه.

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سَوَاكِمَ مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ ذَقِيقَ السَّاقِينِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ».

وما أحسن ما قال الشاعرُ:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَاصُورٌ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

قال شارحُ الطحاوية: «فَبِتَّ وَزُنُ الْأَعْمَالِ وَالْعَامِلِ وَصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ، وَبِتَّ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كَفَّتَانِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ»^(٢).

والأعمالُ التي تَثْقُلُ فِي الْمِيزَانِ كَثِيرَةٌ نَذْكُرُ مِنْهَا:

حُسْنُ الْخُلُقِ: فَأَثْقَلُ مَا يُوَضَّعُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ خُلُقِهِ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ».

ثَانِيًا: قَوْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، ففِي «الصَّحِيحِينَ»^(٤) مِنْ

(١) تَقْدَمُ تَخْرِيجُهُ.

(٢) شَرْحُ الطَّحَاوِيَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ (٣ / ٣٠).

(٣) تَقْدَمُ تَخْرِيجُهُ.

(٤) تَقْدَمُ تَخْرِيجُهُ.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

ثالثاً: قول: الحمد لله ففي «صحيح مسلم»^(١) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسِهِ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».

رابعاً: من احتبس فرساً في سبيل الله: ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بَوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِثَتَهُ وَرَوْنَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وماذا تتوقع أن يكون بعد الانتهاء من الحساب والميزان؟

بعد الانتهاء من الحساب والميزان، يأخذُ كُلُّ كِتَابَةٍ، ويقرأ ما فيه، فأخذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَأَخَذَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ وَمِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاقُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَائِمَةٌ ۝٢٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٣ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ۝٢٤ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ۝٢٥ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۝٢٦ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ۝٢٧ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۝٢٨﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٨].

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، وعزيمة في الرشد، ونسألك شكر نعمتك،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٦٤١).

وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ عَمَّا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلٍ يُخْزِينَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ غِنًى يُطْغِينَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ
صَاحِبٍ يُزْدِينَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يُلْهِينَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فَقْرٍ يُثْسِينَا.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا بِتَرْكِ الْمَعَاصِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنَا، وَارْحَمْنَا أَنْ نَتَكَلَّفَ مَا لَا يَعْنِينَا،
وَارْزُقْنَا حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنَّا.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



٩- الصراط

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلَقُكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

حديثي معكم اليوم عن الصراط وهو جِسْرٌ ممدودٌ على مَتْنِ جَهَنَّمَ يَرُدُّهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ وهو طريقُ أَهْلِ الْمَحْشَرِ لدخولِ الْجَنَّةِ. وقد دَلَّتِ الْأَدْلَةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ عَلَى إِبْطَالِ الصَّرَاطِ.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

فَسَرَّهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَقَتَادَةُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِالْمُرُورِ عَلَى الصَّرَاطِ قَالَ ابْنُ

أبي العزُّ والأظهرُ أنَّه المروءُ على الصُّراطِ (١).

وفي «الصحيحين» (٢) من حديث أبي سعيد الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو حديثٌ طويلٌ في الرُّؤيةِ والشَّفاعةِ وفيه عن رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: مَذْحَضَةٌ مُزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُقْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيقَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يَقَالُ لَهَا السَّعْدَانِ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَمُرُّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا».

وقد جاءَ وَصْفُ الصُّراطِ في نصوصٍ كثيرةٍ ومُلَخَّصٌ ما جاءَ فيها أَنَّهُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدُ مِنَ السِّيفِ دَخُضٌ مُزَلَّةٌ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ قَدَمٌ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللهُ وَأَنَّهُ يُنْصَبُ فِي ظُلْمَةٍ فَيُعْطَى النَّاسُ أَنْوَارًا عَلَى قَدْرِ إِيْمَانِهِمْ وَيَمْرُونَ فَوْقَهُ عَلَى قَدْرِ إِيْمَانِهِمْ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَجِيزُ، ودَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ (٣).

ففي «الصحيحين» (٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ، وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ مِنْهُ قَوْلُهُ: «... وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ قَالَ رَسُولُ اللهِ: «فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟

(١) انظر تفسير البغوي (٥/ ٢٤٦).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) البخاري (٢٤١١، ٢٤١٢)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣).

(٤) رواه البخاري (٦٠٨٨).

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُلُ ثُمَّ يَنْجُو...».

أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ عَلَى الصَّرَاطِ:

بَيَّنَّ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَأُمَّتَهُ هُمُ أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُونَ الصَّرَاطَ؛ تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا لَهُمْ؛ وَإِظْهَارًا لِمَكَانَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَقَدْ قَالَ - كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّقِدِّمِ -: وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ...» وهذه رواية البخاري.

وفي رواية لمسلم^(١) قال: «... وَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيَّ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ». ومعنى أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ: أَي أَوَّلَ مَنْ يَقْطَعُهُ وَيَمْضِي عَلَيْهِ.

إنها والله لمواقفٌ سوفَ نَمُرُّ بها نَعْبُرُ الصَّرَاطَ، وهو الجسرُ المضروبُ على مَتْنِ جَهَنَّمَ، وسوفَ نَمْشِي عَلَى الْجِسْرِ وَتَحْتَنَا نَارُ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُطَلَّبُ مِنَّا أَنْ نَعْبُرَ هَذَا الْجِسْرَ وَهَنَّا كَلَالِبُ، تَشْبِهُ شَوْكَ السَّعْدَانِ، لَكِنْ لَا يَعْلَمُ عِظَمُهَا إِلَّا خَالِقُهَا، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِأَخْذِهِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّجْحُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَيَّ الصَّرَاطِ، يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا أُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ وَشَدُّ الرَّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ، سَلِّمْ. حَتَّى تَعْبُرَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَحْيِيَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا». قَالَ: «وَفِي حَافَتِي

(١) رواه مسلم (٢٦٧).

(٢) رواه مسلم (١٥٩).

الصُّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ. وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا، فَمَا نَحْنُ فَاعِلُونَ، وَالْمُرُورُ وَالْعُبُورُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ بِحَسَبِ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا؟ فَمِنْهُمْ الْمَوْتِيُّ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخَرَّدُ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي.

إِنَّ النَّاسَ عَلَى الصُّرَاطِ، مِنْهُمْ مَنْ يُسَلِّمُهُ اللَّهُ ﷻ، فَلَا يَحُسُّ بِأَلَمِ تِلْكَ الْخَطَاطِيفِ وَالْكَلَالِيبِ، وَهَؤُلَاءِ النَّاجُونَ وَلَيْسُوا عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عُبُورُهُ كَلَمَحِ الْبَصَرِ كَالطَّرَفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عُبُورُهُ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ كَسُرْعَةِ الرِّيحِ، وَمِنْهُمْ كَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ، وَهَكَذَا حَتَّى إِنْ آخَرَهُمْ يَسْحَبُ سَحَابًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْجُو لَكِنْ يَصِيبُهُ شَيْءٌ مِنْ خُدُوشِ تِلْكَ الْكَلَالِيبِ، فَتَوَثَّرَ فِي جَسَدِهِ، وَمِنْهُمْ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مَنْ تَأْخُذُهُ تِلْكَ الْكَلَالِيبُ فَلَا تَدَعُهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهِ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، مَكْدُوشًا فِيهَا، مَسْرُوقًا بِشِدَّةِ وَعُنْفِ مَنْ وَرَائِهِ لِيَكُونَ فَوْقَ مَنْ سَبَقَ، يُكَدَّسُونَ كَمَا تُكَدَّسُ الدَّوَابُّ فِي سِيرِهَا إِذَا رَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا.

هَذَا حَالُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ عَلَى الصُّرَاطِ، وَيَنْفَعُ الْعَبْدَ يَوْمَئِذٍ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَقَدِّمِ: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَتِي الصُّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلُكُمْ كَالْبَرْقِ»، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا الْبَرْقَ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟! ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحَ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرَ وَشَدَّ الرَّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصُّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْبَجَرَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا رَحْفًا»، قَالَ: «وَفِي حَافَتِي الصُّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا».

إن الأمانة والرحم ترسلان فتقومان جنبتي الصراط، ما السبب في قيامهما ذلك؟ السبب هو أداء الشهادة للشخص أو عليه بما كان يفعله تجاههما، من القيام بهما، وأداء الواجب الذي أمر الله به نحوهما، والوفاء والتمام الذي كان يسير عليه في حياته الدنيا، أو تشهدان عليه بالخيانة والغدر وعدم القيام بالواجب نحوهما.

قال العلماء - رحمهم الله -: إن الناس على الصراط تجاه الأمانة والرحم قسمان وفريقان لا ثالث لهما: إما أمين فتشهد الأمانة له، أو خائن فتشهد عليه، وإما قاطع فيشهد الرحم عليه، وإما واصل فتشهد له.

فيا من في أعناقكم أمانات، وكلنا كذلك، وكل بحسبه، أذ الأمانة قبل أن تزل قدم بعد ثبوتها في موطن تكون الزلة تحتها قعر جهنم، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الوضوء أمانة، والغسل أمانة، والعمل أمانة، والبيت والأولاد أمانة، والدعوة أمانة، والعلم أمانة، والولاية أمانة، ألا فليؤد كل مؤتمن أمانته.

أما الرحم فمن يوم خلقها الله تعلقت به ﷺ وقالت: كما جاء في «الصحيحين»^(١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَبِي الْحُبَابِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ، ﷻ، لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ، قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ، اقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا

(١) رواه البخاري (٤٨٣١)، ومسلم (٢٥٥٤).

أَرْحَمَكُمُ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ
أَمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾.

ثم إن دعوى الأنبياء يومئذ على الصراط: اللهم سلِّمْ سلِّمْ. كما جاء في الحديث،
فماذا يقول غيرهم؟! ماذا عساه أن يقول قاطع الرحيم أو مُضَيِّع الأمانة أو مُهْمِلُ
الصلاة أو تارك الزكاة؟! ماذا عساه أن يقول آكل الربا وظالم العمال وشارب
الخمر؟! بل كيف يكون حال المنافقين؟

قال ابن القيم رحمه الله:

وَيَضْرِبُ الْجِسْرُ وَيُسَاقُ الْخَلْقُ إِلَيْهِ وَهُوَ دَخْضٌ مَزَلَّةٌ مَظْلَمٌ، لَا يُمَكِّنُ عُبُورَهُ إِلَّا
بِنُورٍ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهِ قُسِّمَتْ بَيْنَهُمُ الْأَنْوَارُ عَلَى حَسَبِ نُورِ إِيْمَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ
وَأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَنُورٌ كَالشَّمْسِ وَنُورٌ كَالنَّجْمِ وَنُورٌ كَالسِّرَاجِ فِي قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ.

وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ عَلَى جَنْبَيْ الصَّرَاطِ فَلَا يَجُوزُهُ خَائِنٌ وَلَا قَاطِعٌ رَحِمٌ
وَيَخْتَلَفُ مَرُورُهُمْ عَلَيْهِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ اسْتِقَامَتِهِمْ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا
فَمَارٌّ كَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَسَاعٍ وَمَاشٍ وَزَاحِفٌ وَحَافٍ حَبْوًا.

وَيَنْصَبُ عَلَى جَنْبَيْهِ كَلَالِبٌ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ تَعَوُّقٌ مِنْ عَلِقَتْ بِهِ
عَنِ الْعُبُورِ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ تَعَوُّقُهُ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ وَعِبُودِيَّتِهِ فَنَاجٍ
مُسَلِّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُسَلِّمٌ وَمُقَطَّعٌ يَتْلَكَ الْكَلَالِبُ وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ، وَقَدْ طُفِيَ نُورُ
الْمَنَافِقِينَ عَلَى الْجِسْرِ أَخْرَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ كَمَا طُفِيَ فِي الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَأُعْطُوا
دُونَ الْكُفَّارِ نُورًا فِي الظَّاهِرِ كَمَا كَانَ إِسْلَامُهُمْ فِي الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ فَيَقُولُونَ
لِلْمُؤْمِنِينَ قِفُوا لَنَا ﴿تَقْنِيسٌ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وَمَا نَجُوزُ بِهِ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴿ارْجِعُوا
وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾.

قِيلَ: الْمَعْنَى اَرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا فَخُذُوا مِنَ الْإِيمَانِ نُورًا تَجُوزُونَ بِهِ كَمَا فَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ.
وَقِيلَ: اَرْجِعُوا وِرَاءَكُمْ حَيْثُ قُسِّمَتِ الْأَنْوَارُ فَالْتَمِسُوا هُنَاكَ نُورًا تَجُوزُونَ بِهِ.

ثُمَّ ضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِسُورِ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ الَّذِي يَلِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظُهُورُهُ﴾ الَّذِي يَلِيهِمْ ﴿مِنْ قِبَلِ الْعَذَابِ﴾ (١٣) يَنَادُهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَرْتَضُونَ وَارْتَضْتُمْ وَعَرَّفْتُمْ الْآمِنِينَ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) قَالُوا لَوْ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا يَنْ آتِينَ كَفَرُوا مَا وَلَكُمْ النَّارُ مِنْ مَوْلَانَكُمْ وَيُنْسِ الْمُصِيدُ (١٥) ﴿[الْحَكِيدُ: ١٣-١٥] (١)﴾.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَارْضَ عَنَّا وَتَقَبَّلْ مِنَّا وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ
وَأَصْلَحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ.

رَبَّنَا أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) تُخَفَّةُ الْمَوْلُودِ لِابْنِ الْقَيْمِ (٣١٩).

١٠- القصاص يوم القيامة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿إِنَّ عِمْرَانَ: ٧٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ، وَكُلُّ ضَالَّةٍ فِي النَّارِ.

فحديثي اليوم عن القصاص يوم القيامة.

يُقْتَصُّ الْحَكَمُ الْعَدْلُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْمَظْلُومِ مِنْ ظَالِمِهِ، حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ مَظْلَمَةٌ، حَتَّى الْحَيَوَانُ يُقْتَصَّ لِبَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا انْطَظَحَتْ شَاتَانِ إِحْدَاهُمَا جِلْحَاءُ لَا قُرُونَ لَهَا، وَالْأُخْرَى ذَاتُ قُرُونٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَصُّ لَتِلْكَ مِنْ هَذِهِ، وَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى إِبْثَابِ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠] الْآيَاتُ،

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦١).

وفي «صحيح مسلم»^(١) عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلُحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ». والذي يعتدي على غيره بالضرب، يُقْتَصُّ منه بالضرب في يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري في «الأدب المفرد» والبيهقي في «السُّنَنِ» بسند صحيح صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ضَرَبَ بِسَوْطٍ ظَلَمًا، اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صحَّحه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»^(٣) عن عَمَّارٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ضَرَبَ مَمْلُوكَهُ ظَالِمًا، أُقِيدَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

والذي يَقْذِفُ مَمْلُوكَهُ بِالزَّنَا يَقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنْ كَانَ كَذَابًا فِيمَا رَمَاهُ بِهِ، ففي «صحيح مسلم»^(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ».

مَتَى يُقْتَصُّ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ؟

يُقْتَصُّ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

(١) رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٢) (صحيح) رواه البخاري في «الأدب المفرد» وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٧٤).

(٣) (صحيح) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٥)، والبيهقي (١٥٧٨٣). وقال الألباني في

«صحيح الأدب المفرد»: صحيح.

(٤) رواه البخاري (٢٤٤٠).

ففي «صحيح البخاري»^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خُلِّصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُسِبُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مِظَالَهُمْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا تَقَوُّوا وَهَدُّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَخَذُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَذَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

كَيْفَ يَكُونُ الْاِقْتِصَاصُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَتْ تَرَوُهُ الْإِنْسَانُ وَرَأْسُ مَالِهِ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِظَالُهُ لِلْعِبَادِ فَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنْ حَسَنَاتِهِ بِقَدْرِ مَا ظَلَمَهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَوْ قَلَّتْ حَسَنَاتُهُ، فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَيُطْرَحُ فَوْقَ ظَهْرِهِ. ففي «صحيح البخاري»^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِزِّهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ».

وهذا الذي يأخذ الناس حَسَنَاتِهِ، ثُمَّ يَقْدُرُونَ فَوْقَ ظَهْرِهِ بِسَيِّئَاتِهِمْ هُوَ الْمُفْلِسُ، كَمَا سَمَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ، فِي «صحيح مسلم»^(٣) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّذِرُوا مِنَ الْمُفْلِسِ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أَمْنِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

(١) رواه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٤).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨١).

والمدين الذي مات، وللناس في ذمته أموال يأخذ أصحاب الأموال من حسناته بمقدار ما لهم عنده، ففي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(١) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ، قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ» وَإِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْعِبَادِ مِظَالِمٌ مُتَبَادِلَةٌ اقْتَصَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِنْ تَسَاوَى ظُلْمُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ كَانَ كِفَافًا لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، وَإِنْ بَقِيَ لِبَعْضِهِمْ حَقٌّ عِنْدَ الْآخَرِينَ أَخَذَهَا. فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»^(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «جَاءَ رَجُلٌ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكْذِبُونَنِي، وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتِمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كِفَافًا لَا لَكَ، وَلَا عَلَيْكَ. وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذَنْبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتَصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ». فَتَنَحَّى الرَّجُلُ، وَجَعَلَ يَهْتَفُ وَيَبْكِي. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْزِلَتْ بِهَا وَكَفَى بِنَاحِسِينَ﴾» [الأنبياء: ٤٧].

ولما كَانَ هَذَا شَأْنُ الظُّلْمِ فَحَرِيٌّ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَخَافُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ يَتْرُكُوهُ وَيَجْتَنِبُوهُ وَقَدْ أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ الظُّلْمَ يَكُونُ ظُلُمَاتٍ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الظُّلْمُ

(١) (صحيح) رواه ابن ماجه (٢٤١٤). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٤٦).

(٢) (صحيح) رواه الترمذي (٣١٦٥). وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥٣١).

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلُمَ، فَإِنَّ الظُّلُمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

عِظَمُ شَأْنِ الدَّمَاءِ:

من أعظم الأمور عند الله أَنْ يَسْفِكَ الْعِبَادُ بَعْضُهُمْ دَمَ بَعْضٍ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي يَرْوِيهِ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح النسائي»^(٢) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! هَذَا قَتَلَنِي. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ. فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي. وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي. فَيَقُولُ اللَّهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ! فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ.

وفي «السنن» للترمذي بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صحيح الترمذي»^(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيئُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْحَبُ دَمًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ حَتَّى يُدْنِيهِ مِنَ الْعَرْشِ». وَلِعِظَمِ أَمْرِ الدَّمَاءِ فَإِنَّهَا تَكُونُ أَوَّلَ شَيْءٍ يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ الْعِبَادِ. فِي «الصحيحين»^(٤)

(١) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) (صحيح) رواه النسائي (٨٤ / ٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤١ / ٤). وقال الألباني في «صحيح النسائي» (٣٩٩٧): صحيح.

(٣) (صحيح) رواه الترمذي (٣٠٢٩)، والنسائي (٨٧ / ٧)، وابن ماجه (٢٦٢١) صحيح. وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٣٦): صحيح.

(٤) رواه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدَّمَاءِ». قال ابنُ حَجَرٍ في شَرْحِهِ للحديث: وَفِي الْحَدِيثِ عِظَمُ أَمْرِ الدَّمِ فَإِنَّ الْبُدْءَ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْأَهَمِّ وَالذَّنْبُ يَعْظَمُ بِحَسَبِ عِظَمِ الْمَفْسَدَةِ وَتَقْوِيَةِ الْمَصْلَحَةِ، وَإِعْدَامُ الْبَنِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ غَايَةٌ فِي ذَلِكَ ^(١).

وقال - أيضًا - ولا يُعارضُ هذا حديثُ أبي هريرة رَفَعَهُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ» ^(٢) الحديثُ أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ «السُّنَنِ»، لِأَنَّ الْأَوَّلَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَامَلَاتِ الْخَلْقِ. والثاني: فيما يَتَعَلَّقُ بِعِبَادَةِ الْخَالِقِ. وقد جَمَعَ النَّسَائِيُّ فِي رَوَايَتِهِ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ، وَلَفْظُهُ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدَّمَاءِ» ^(٣) ^(٤).

الاقتصاص للبهائم بعضها من بعض:

يقضي الله بين خَلْقِهِ: الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبَعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى قَالَ اللَّهُ: كُونُوا تَرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَلَيْسَتَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ [النبا: ١٠]. هذا حديثٌ أَخْرَجَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ فِي (تَفْسِيرِهِ) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» ^(٥)، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى أَخْرَجَهَا ابْنُ جُرَيْرٍ بِسَنَدٍ

(١) فَتْحُ الْبَارِي (١١/ ٣٩٧).

(٢) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٩٤٩٠). وَأَبُو دَاوُدَ (٨٦٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٤١٣)، وَالنَّسَائِيُّ (١/ ٢٣٢)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٤٢٥)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» (١٤٢٦) صَحِيحٌ.

(٣) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٧/ ٨٣). وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (١٧٤٨): صَحِيحٌ.

(٤) فَتْحُ الْبَارِي (١١/ ٣٩٦).

(٥) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٤/ ١٨٠). صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ»

بَشَوَاهِدِهِ (١٩٦٦).

صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَخْشُرُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، كُلَّ دَابَّةٍ وَطَائِرٍ وَإِنْسَانٍ. يَقُولُ لِلْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ: كُونُوا تَرَابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيِّنَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ [النبا: ١٠]. وأخرج ابن جرير بسند جوده الألباني في «الصحيحة»^(٢) عن عبد الله بن عمرو قال: إذا كان يوم القيامة مدَّ الأديم، وحُشِرَ الدَّوابُّ والبَهَائِمُ والوَحْشُ، ثُمَّ يَخْصُلُ الْقِصَاصُ بَيْنَ الدَّوَابِّ، يُقْتَضُّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ نَطَحَتْنَهَا، فإذا فَرَعَ مِنَ الْقِصَاصِ بَيْنَ الدَّوَابِّ، قال لها: كوني ترابًا. قال: فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيِّنَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ [النبا: ١٠]. وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «لَتَوُذَّنَّ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ».

وأخرج أحمدُ بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «يَقْتَضُّ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى الْجَمَاءُ مِنَ الْقِرْنَاءِ، وَحَتَّى الذَّرَّةُ مِنَ الذَّرَّةِ».

وأخرج أحمد - بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيحة»^(٥) - عن أبي هريرة

(١) (صحيح) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨٠ / ٢٤). وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» بعد حديث (١٩٦٦)، وهذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات رجال مسلم غير ابن ثور.

(٢) (صحيح) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨٠ / ٢٤). وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» بعد حديث (١٩٦٦): إسناده جيد.

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٤) (صحيح) رواه أحمد (٣٦٣ / ٢) (٨٧٤١). قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٧): إسناده صحيح رجاله ثقات رجال مسلم.

(٥) (صحيح) رواه أحمد (٣٩٠ / ٢) (٨٧٤١). قال المُنْذِرِيُّ في «الترغيب والترهيب» (٣٠٢ / ٤) والهيتمي في «مجمع الزوائد» (٣٥٢ / ١٠): إسناده حسن... وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» بعد حديث (١٥٨٨): وإسناده حسن في المتابعات.

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا والذي نفسي بيده لَيُخْتَصِمَنَّ كُلُّ شَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَا».

وروى أحمدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»^(١) عن أبي ذرٍّ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: لَكِنَّ اللَّهَ يَذَرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا».

اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِثْلَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلُ الشَّيْءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبُّنَا وَنَحْنُ عِبَادُكَ، ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا لَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، إِنَّا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنَا لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وسبحانَكَ اللهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

(١) (صحيح) رواه أحمدُ (٥/ ١٦٢) (٢١٤٧٦). قال الألبانيُّ في «السَّلسَلَةِ الصَّحِيحَةِ» بعد حديث (١٩٦٧): وهذا إسنادٌ صحيحٌ عندي، فإن رجاله كلُّهم ثقاتٌ رجالُ الشَّيْخَيْنِ غَيْرِ الْأَشْبَاحِ الَّذِينَ لَمْ يُسَمُّوا وَهُمْ جَمْعٌ مِنَ التَّابِعِينَ، يُغْتَفَرُ الْجَهْلُ بِحَالِهِمْ لِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ.

١١- وَصَفُ الْجَنَّةِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٤] ﴿عمران: ٧٢﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أَمَّا بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بعدُ فحديثي اليومَ عن وَصْفِ الْجَنَّةِ دَارِ السَّعَادَةِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْأَكْدَارِ وَالنَّعِيمِ الصَّافِي النَّاصِعِ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْحَيَاةِ الَّتِي لَا شِقَاءَ فِيهَا وَلَا سَقَمَ وَلَا جُوعَ وَلَا حَزَنَ وَلَا نَصَبَ إِنَّهَا الْحَيَاةُ الْحَقِيقَةُ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْآخِرَةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٦١] ﴿العنكبوت: ٦٤﴾.

وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ:

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٣٨٢٤).

«أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ. فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]».

ولعلَّ أشمل ما ورد في وصفها قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا قُتِّبَتْهُ الْآنَفُسُ وَكَذَلِكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١]. إنها حياة المؤمنين في جنات النعيم، حياة تُنسي كُلَّ شقاء، ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» غمسة واحدة في الجنة تُنسي وتُنسخ كُلَّ ما كان قبلها من همٍّ وغمٍّ وضيقٍ وحزنٍ وشدةٍ وبلاءٍ. وغمسة واحدة في النار تُذهِبُ كُلَّ ما قبلها من نعيمٍ دنيويٍّ ومتاعٍ فانيٍّ وسلطانٍ زائلٍ وشهرةٍ وهميةٍ.

والنساء المؤمنات يَدْخُلْنَ مع أزواجهنَّ في الجنة، فالله ﷻ يقول: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٠]، تُخْبِرُونَ: أي تَفْرَحُونَ وتُكْرِمُونَ، بل يَتَجَدَّدُ السرورُ، فَيَأْتِيهِمْ كُلُّ سَاعَةٍ ما يُسْرُونَ بِهِ. وليس هناك خلافاتٌ ولا غيرُها: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ﴾ ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ﴾ [سورة يس: ٥٥-٥٦].

ولا يغيبُ عن بالٍ أَحَدٍ أَنَّ الجنةَ ونعيمها ليست خاصةً بالرجالِ دونَ النساءِ إنما

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧).

هي قد أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ مِنَ الْجِنْسَيْنِ كما أخبرنا الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٤].

والذي ينبغي للمرأة أن لا تشغل بالها بكثرة الأسئلة والتنقيب عن تفاصيل دخولها للجنة: ماذا سيُعمَلُ بها؟ أين ستذهب؟ إلى آخر أسئلتها... وكأنها قادمة إلى صحراء مهلكة! ويكفيها أن تعلم أنه بمجرد دخولها الجنة تختفي كل تعاسة أو شقاء مرَّ بها... ويتحوَّل ذلك إلى سعادة دائمة وخلود أبدي ويكفيها قوله تعالى عن الجنة: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (١٨) [الحجر: ٤٨]، وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّىٰهِ الْأَنْفُسُ وَلَكِنَّ الْأَعْيُنَ لَا تَعْرِى فِيهَا خَلَدًا﴾ (٧١) [الزخرف: ٧١].

ويكفيها قبل ذلك كله قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ٧٨].

عند ذكر الله للمُغْرِيَّاتِ الموجودة في الجنة من أنواع المأكولات والمناظر الجميلة والمساكن والملابس فإنه يُعمَّم ذلك للجنسين (الذكور والأنثى) فالجميع يستمتع بما سبق.

ويتبقى: أن الله قد أغرى الرجال وشوقهم للجنة بذكر ما فيها من (الحور العين) و(النساء الجميلات) ولم يرد مثل هذا للنساء... فقد تساءل المرأة عن سبب هذا؟!

والجواب:

١- أن الله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٢) [الأنبياء: ٢٢]، ولكن لا حرج أن نستفيد حكمة هذا العمل من النصوص الشرعية وأصول الإسلام فأقول:

٢- إنَّ من طبيعة النساء الحياء - كما هو معلوم - ولهذا فإن الله ﷻ لا يُشوقهنَّ للجنة بما يستحجن منه.

٣- أن شوق المرأة للرجال ليس كشوق الرجال للمرأة - كما هو معلوم - ولهذا فإن الله شوق الرجال يذكر نساء الجنة مصداقاً لقوله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» [أخرجهُ البخاري] أما المرأة فشوقها إلى الزينة من اللباس والحلي يفوق شوقها إلى الرجال لأنه مما جلبت عليه كما قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

٤- قال الشيخ ابن عثيمين: إنما ذكر -أي الله ﷻ- الزوجات للأزواج لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة فلذلك ذكرت الزوجات للرجال في الجنة وسكت عن الأزواج للنساء ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج... بل لهن أزواج من بني آدم.

المرأة لا تخرج عن هذه الحالات في الدنيا فهي:

١- إما أن تموت قبل أن تتزوج.

٢- إما أن تموت بعد طلاقها قبل أن تتزوج من آخر.

٣- إما أن تكون متزوجة ولكن لا يدخل زوجها معها الجنة، والعياد بالله.

٤- إما أن تموت بعد زواجها.

٥- إما أن يموت زوجها وتبقى بعده بلا زوج حتى تموت.

٦- إما أن يموت زوجها فتتزوج بعده غيره.

هذه حالات المرأة في الدنيا ولكل حالة ما يقابلها في الجنة:

١- فأما المرأة التي ماتت قبل أن تتزوج فهذه يزوجه الله ﷻ في الجنة من رجل

من أهل الدنيا لقوله ﷺ: «ما في الجنة أعزب» [أخرجهُ مسلم]، قال الشيخ ابن عثيمين: إذا لم تتزوج - أي المرأة - في الدنيا فإن الله تعالى يزوجه ما تقر به عينها في الجنة... فالنعم في الجنة ليس مقصوراً على الذكور وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم: الزواج.

٢- ومثلها المرأة التي ماتت وهي مطلقة.

٣- ومثلها المرأة التي لم يدخل زوجها الجنة. قال الشيخ ابن عثيمين: فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال. أي فيتزوجها أحدُهم.

٤- وأما المرأة التي ماتت بعد زواجها فهي - في الجنة - لزوجها الذي ماتت عنه.

٥- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فبقيت بعده لم تتزوج حتى ماتت فهي زوجة له في الجنة.

٦- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فتزوجت بعده فإنها تكون لآخر أزواجها مهما كثروا فعن ميمون بن مهران قال:

حَطَبُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَبَتْ أَنْ تَزَوَّجَهُ وَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْأَةُ لِأَخِرِ أَزْوَاجِهَا، [وفي رواية: أَيَّمَا امْرَأَةٍ تُؤْفَى عَنْهَا زَوْجُهَا فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ فَهِيَ لِأَخِرِ أَزْوَاجِهَا]»، وَلَسْتُ أُرِيدُ بِأَبِي الدَّرْدَاءِ بَدَلًا^(١).

(١) (صحيح) رواه الطبراني في الكبير (٣١٣٠) وأبو علي الحرائي القشيري في «تاريخ الرقة» (٣/ ٢٩/

٢)، انظر صحيح الجامع: ٢٧٩٤، ٦٦٩١، الصحيحة: ١٢٨١.

مسألة: قد يقول قائل: إنه قد وردَ في الدعاء للجنّاة أننا نقول: «وأبديها زوجاً خيراً من زوجها» فإذا كانت متزوجة... فكيف ندعو لها بهذا ونحن نعلم أن زوجها في الدنيا هو زوجها في الجنّة وإذا كانت لم تتزوج فأين زوجها؟

والجواب كما قال الشيخ ابن عثيمين: «إن كانت غير متزوجة فالمراد خيراً من زوجها المقدّر لها لو بقيت وأما إذا كانت متزوجة فالمراد بكونه خيراً من زوجها أي خيراً منه في الصفات في الدنيا لأنّ التبديل يكون بتبديل الأعيان كما لو بغت شاة ببعير مثلاً ويكون بتبديل الأوصاف كما لو قلت لك: بدّل الله كُفْرَ هذا الرجل بإيمان وكما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ١٨]، والأرض هي الأرض ولكنها مُدَّت والسماء هي السماء لكنها انشقت».

وردَ في النساء كما في «الصحيحين»^(١) من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فقالت امرأةٌ منهنّ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عن عمران بن حصينٍ فحدّث، عن النبي ﷺ أنّه قال: «إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءَ».

قال العلماء - رحمهم الله -: «بل هنّ أكثر أهل النار في بداية الأمر ثمّ يكنّ أكثر أهل الجنّة بعد أن يخرجنّ من النار - أي المسلمات - قال القرطبي تعليقاً على قوله: «رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» قالوا: «يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا فِي وَقْتِ كَوْنِ النِّسَاءِ فِي النَّارِ وَأَمَّا بَعْدَ خُرُوجِهِنَّ فِي الشِّفَاعَةِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ قَالَ: لَا

(١) رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٨).

إله إلا الله. فالنساء في الجنة أكثر.

بل قد جاء في حديث آخر ما يدل أن نساء الجنة أكثر من الرجال ففي «الصحيحين»^(١) عن ابن سيرين، قال: تفاخروا يوماً عند أبي هريرة فقالوا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أو ليس قد قال أبو القاسم: «إن أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم مثل القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كأصول كوكب دُرِّيٍّ في السماء كذلك، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخرج ساقها من وراء اللحم، والذي نفسي بيده ما فيها عذب».

واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى^(٢): «لأن النساء أكثر من الرجال إذ قد صحَّ أنهن أكثر أهل النار وقد صحَّ لكل رجل من أهل الجنة زوجتان من الإنسيات سوى الحور العين وذلك لأن من في الجنة من النساء أكثر من الرجال وكذلك في النار فيكون الخلق منهم أكثر» ذكر الشيخ ابن باز رحمته الله «أن أكثر أهل الجنة من نساء الدنيا والحور وأكثر أهل النار النساء من نساء أهل الدنيا، وأقل أهل الجنة من له زوجتان والزيادة على حسب فضل الله»^(٣).

وقال العلماء: لا يتعارض مع كونهن أكثر أهل النار لأنهن أكثر من الرجال مطلقاً وزد على ذلك أن حديث «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» المخاطب به ابتداء نساء المؤمنين اللواتي مألهن إلى الجنة لذا علل كثرتهن في النار

(١) رواه البخاري (٣٠٨١)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) الفتاوى (٦ / ٤٣٢).

(٣) الحُلُلُ الإبريزية (٤ / ٢٧١).

بأمرٍ دونَ الكُفْرِ الأكْبَرِ ولا تُوجِبُ الخلودَ في النارِ وهي الإكثارُ من اللَّعْنِ وكفرانُ العَشِيرِ وإذهابُ لُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ ولهذا كان التَّغْيِبُ بالصدقةِ لتكفيرِ الخطايا عَنْهُنَّ وهنا مسألةٌ وهي أن جماعَ النساءِ في الجنةِ مُتَرَّةٌ عن المذْيِ والمنْيِ والصَّغْفِ... وفيه أكْمَلُ لذَّةٍ... يعطى الرجلُ قوةَ مائةِ رَجُلٍ في الجماعِ... ويُفْضَى إلى مائةِ عَذْرَاءٍ... وجماعُ النساءِ في الجنةِ لا يُوجِبُ غُسْلاً... ولا يَغْفِبُهُ كَسَلٌ.

أخرج الطبرانيُّ في الكبيرِ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»^(١) من حديثِ زيدِ بنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجَمَاعِ».

وأخرج الطبرانيُّ في الأوسطِ بِسَنَدٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»^(٢) من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءٍ».

والمرأةُ الصالحةُ إِذَا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ فَإِنَّهَا تَكُونُ سَيِّدَةً الْخُورِ الْعَيْنِ، وجمالُها أعلى وأكملُ من الخُورِ، وحُسْنُها وكرامَتُها أعظمُ. بل إِنَّ جمالَها ليزدادُ المَرَّةَ بَعْدَ المَرَّةِ.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَخْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ

(١) (صحيح) أخرجه الطبرانيُّ في الكبير (٥: ١٧٨)، وهذا لَفْظُهُ.

وأخرجه الدارميُّ (٢٧٢١)، وانظر صحيحَ الجامع رقم (١٦٢٧).

(٢) (صحيح) أخرجه الطبرانيُّ في الأوسط (٥٢٦٣)، وأخرجه أبو نعيم في صِفَةِ الْجَنَّةِ... برقم

(٣٧٣)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٣٦٧).

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٣).

فَيَزِدُّونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ زِدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ زِدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ زِدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا.

فالكواكبُ الأترابُ نساءُ الجنة من أهل الدنيا، يُنشئهنَّ اللهُ تعالى إنشاءً بعد ما كنَّ عجائزَ فانياتٍ، كما قال اللهُ تعالى في شأنهنَّ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً﴾ (٢٥) ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٢٦) ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (٢٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٨].

قال ابنُ عثيمينَ رَحِمَهُ اللهُ: «قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً﴾ (٢٥) أي: أنشأناهنَّ إنشاءً عجيباً غريباً بديعاً، وفَسَّرَ هذا الإنشاءُ بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٢٦) أي: هؤلاء الزوجاتُ أبكارٌ مهما أتاها زوجها عادت بِكراً ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ونساءُ الدنيا إذا افتَضَّ الزوجُ بكارةَ الزوجة لا تعود، ولكن في الآخرة تعود بِكراً ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (٢٧) العُربُ الْمُتَحَبِّبَاتُ إلى أزواجهنَّ، وهذا يدلُّ على كمالِ المُتَعَةِ أَنْ تكونَ الزوجةُ تَتَحَبَّبُ إلى زوجها وتَقْرُبُ إليه وتُغْرِيه بِنَفْسِهَا، وتَفْعَلُ كُلَّ ما يوجبُ مَحَبَّتَهُ لَهَا، ﴿أَتْرَابًا﴾ (٢٧) أي: على سَنٍّ واحدةٍ لا تَخْتَلِفُ» (١).

ولا تحتاجُ المرأةُ في الجنة أَنْ تُغَطِّيَ وَجْهَهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الجنةِ نَظَرٌ سَوْءٌ، ولا مَرَضٌ قَلْبٍ حتَّى تُلْزَمَ المرأةُ بتغطيةِ وَجْهَهَا، ولا هي مَحَلٌّ لِلْعَمَلِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، كما قالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ» (٢).

وَوَصَفَ اللهُ ﷻ الحُورَ الْعِينَ بأنهنَّ قاصراتُ الطَّرْفِ أي: يَقْصُرْنَ نَظْرَهُنَّ وَحُبَّهِنَّ

(١) تفسيرُ الواقعةِ للعثيمين (١/ ٣٣٨).

(٢) (صحيح) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٦١٦) وعَلَّقَهُ البخاريُّ في بابِ الأَمَلِ وطولِهِ، من كتابِ الرِّقَاقِ.

على أزواجهنَّ، وَوَصَفَهُنَّ بِأَنَّهُنَّ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُنَّ لَا يَخْرُجْنَ مِنْ مَمْلَكَتِهِنَّ، بَلْ لَهُنَّ كُلُّ مَا يَشْتَهُنَّ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِثْلُهُ يُقَالُ فِي نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، أَنْتَ الْمَنَانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَجْعَلَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عَلَمِنَا، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



١٢- وَصَفُ النَّارِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي معكم اليوم عن شيء من وصفِ النارِ، والنارُ وما أدراك ما النارُ، النارُ مُنْتَهَى الْعَذَابِ وَشَرُّ الْمَآبِ، وَهِيَ الْخِزْيُ الْأَكْبَرُ وَالْخُسْرَانُ الْعَظِيمُ، الَّذِي لَا خِزْيَ فَوْقَهُ وَلَا خُسْرَانَ أَعْظَمُ مِنْهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿هَذَا وَابِكِ لِلظَّالِمِينَ لَشَرِّ مَتَابِ﴾ [٥٥] جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَوْنَ إِلَهَهُمْ﴾ [٥٦] [ص: ٥٥، ٥٦].

وَقَالَ ﷻ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [١١٢] [١] عمران: ١١٢].

وَقَالَ ﷺ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٣) [التوبة: ٦٣].

وَقَالَ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٥) لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ، يَعْبَادُونَ فَأَنْتَقُونَ (١٦) [الزمر: ١٥، ١٦].

وفي «صحيح مسلم» (١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ مِنْ شِدَّةٍ قَطُّ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

وفي «صحيح مسلم» (٢) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا» أُولَئِكَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَجْرُؤْنَهَا، وَأَمَّا خَزَنَتُهَا الْقَائِمُونَ عَلَيْهَا، فَوَصَفَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، فَقَالَ ﷺ: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُكُمُ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) [التحریم: ٦].

وفي «الصحيحين» (٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ كَأَنَّهُ لَكَافِيَةٌ. قَالَ:

(١) رواه مسلم (٤٨٧).

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٣) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

«فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».

وَمِنْ شِدَّةِ النَّارِ وَهَوْلِ عَذَابِ أَهْلِهَا بِهَا، أَنَّهَا إِذَا رَأَتْهُمْ قَادِمِينَ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ زَفَرَتْ، مُعْبِرَةً عَنْ حُنْقِهَا وَغَيْظِهَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (١٢) [الفرقان: ١٢].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّ لَهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (١٤) [الحجر: ٤١، ٤٢].

وَعِنْدَمَا يَرِدُ الْكَافَرُ تُفْتَحُ أَبْوَابُهَا لِيَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ فِئًا إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَنَذِيرُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١٥) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبُئْسَ مَثْوًى لِمُتَكَبِّرِينَ (١٦).

وَلَمَّا كَانَتِ النَّارُ دَرَكَاتٍ بَعْضُهَا أَشَدُّ عَذَابًا وَهَوْلًا مِنْ بَعْضٍ كَانَ أَهْلُهَا مُتَفَاوِتِينَ فِي الْعَذَابِ، فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِيهِ (مُسْلِمٌ) (١) وَأَحْمَدٌ عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتَيْهِ». وَفِي رَوَايَةٍ: «إِلَى عُنُقِهِ».

وَفِي (صَحِيحِ مُسْلِمٍ) (٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ نَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ».

(١) رواه مسلم (٢٨٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢١١).

وفي «الصحيحين»^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي صَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاقِهِ».

وأهل النار لا يموتون فلو ماتوا لاستراحوا من العذاب لكنهم لا يموتون.
قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

وفي «الصحيحين»^(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حَزَنًا إِلَى حَزَنِهِمْ» وهذا يقال بعد ذبح الموت.

وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرِيُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرِيُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

(١) رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٣) رواه مسلم (٢٨٤٩).

وهناك أسباب لدخول النار وَلَعَلَّ مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ اتِّبَاعَ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَتَعَجُّلَ تَحْصِيلِهَا وَالْوُضُولَ إِلَيْهَا بِالطَّرِيقِ الَّتِي تَهْوَاهَا تِلْكَ النَّفْسُ، دُونَ مُرَاعَاةِ لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ أَوْ جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ ففِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ».

والمراد بالشَّهَوَاتِ هنا ما أَمَرَ الْمُكَلَّفُ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ فِيهِ فِعْلًا وَتَرْكًا، وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَاقُ لِلشَّهَوَاتِ وَاتِّبَاعُ الْأَهْوَاءِ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ، كَانَتْ النِّسَاءُ فِي النَّارِ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ؛ لِغَلَبَةِ الْهَوَى عَلَيْهِنَّ وَمِيلِهِنَّ إِلَى عَاجِلِ زِينَةِ الدُّنْيَا.

وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ فِي دُخُولِ النَّارِ عَدَمُ الْقِيَامِ بِالتَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ مَعَ التَّكْذِيبِ يَوْمَ الدِّينِ؛ فَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ ﷻ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَسْأَلُونَ أَهْلَ النَّارِ قَائِلِينَ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(١٢) فَيَجِيبُونَ قَائِلِينَ: ﴿قَالُوا لَرَنَّا مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾^(١٣) وَلَرَنَّا نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ^(١٤) وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ^(١٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ بِسُورِ الدِّينِ^(١٦) حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ^(١٧) ﴿[الْمُنْذِرُ: ١٣-١٧].

وَالنَّفَاقُ أَيْضًا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(١٨).

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ الْكِبَرُ، وَهِيَ صِنْفَةٌ يَتَّصِفُ بِهَا عَامَّةُ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١٩).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُرَاعِمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) رواه البخاري ٦٤٨٧، ومسلم ٢٨٢٢ - ٢٨٢٣.

(٢) رواه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

الله ﷻ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَّعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ».

قال النووي في شرحه للحديث: ومعناه يَسْتَضَعِفُهُ النَّاسُ، وَيَخْتَرُونَ، وَيَتَجَبَّرُونَ عَلَيْهِ، لِضَعْفِ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَرَادُ أَنَّ أَغْلَبَ أَهْلِ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ... وليس المراد الاستيعاب^(١).
وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ الظُّلْمُ وَالْأَذَى:

ففي صحيح البخاري^(٢) عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي «الصحيحين»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَذَّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتَهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ».

فاحذَرُوا الْمَعَاصِيَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا وَقَلِيلَهَا وَكَثِيرَهَا، فَإِنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ النَّارِ كُلَّهَا تَدْخُلُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا كَبِيرًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء: ٨).

وَالْكُفْرُ سَبَبٌ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ، وَمَا دُونَهُ مِنَ الْمَعَاصِي سَبَبٌ فِي دُخُولِهَا وَالتَّعْذِيبِ بِهَا.

وبعد ذكر بعض أسباب دخول النار نذكر بعض أسباب النجاة منها:

فأسباب النجاة مِنَ النَّارِ تَكُونُ بِمَا يَأْتِي:

تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْإِحْسَانِ

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧ / ١٨٧).

(٢) رواه البخاري (٣١٨).

(٣) رواه البخاري (رقم ٣٣٨)، ومسلم (رقم ٢٢٤٢).

إِلَى الْخَلْقِ، وَذَكَرَ اللَّهُ وَدُعَائِهِ بِالنَّجَاةِ، وَلِذَا كَانَ الْإِيمَانُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ عِبَادُ اللَّهِ إِلَى رَبِّهِمْ لِيُخَلِّصَهُمْ مِنَ النَّارِ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْكَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١).

وفي «الصحيحين» (١) عَنْ عَثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». وفي «الصحيحين» (٢) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ثَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وفي «صحيح مسلم» (٣) عَنْ عَمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا - يَعْنِي صَلَاتِي الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ».

وفي «الصحيحين» (٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

وفي «الترمذيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ» (٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ سَهْلٍ».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠٠٥)، وَمُسْلِمٌ (١٠١٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٤)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٠).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦٣٤).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٤٠) وَمُسْلِمٌ (٢٦٨١) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٥) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٨) وَصَحَّحَهَا الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (٩٣٥).

اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ.
 اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ،
 وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفُرُوزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.
 اللهم آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
 اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ
 بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا
 سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ
 الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ
 عَمَلٍ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.
 وسبحانَكَ اللهم وبحمديكَ، أشهدُ أنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



مرتبة الإيمان بالقضاء والقدر

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُصْلِحْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ فَتَدَفَارَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن الإيمان بالقضاء والقدر.

فالقضاء تقديرُ الله ﷻ للكائناتِ حَسْبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ ﷻ، وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ وَالْقَدَرُ هُوَ الْإِحَاطَةُ بِمَقَادِيرِ الْأُمُورِ.

حُكْمُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ هُوَ الرُّكْنُ السَّادِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، فَتَنِي «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْمَشْهُورِ بِحَدِيثِ جَبْرِيلَ «أَنَّ جَبْرِيلَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:

(١) رواه مسلم (٨).

أخبرني عن الإيمان، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وفي «صحيح مسلم»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

وفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ».

أركان الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر يتكوّن من أربع مراتب أو أربعة أركان، وهي:

(١) الإيمان بعلم الله السابق.

(١) رواه مُسْلِمٌ (٢٦٥٣).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (١٨٢ / ٥) وصحّحه الألباني في الصحيح (٢٣٨٢).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) الإيمانُ بكتابتِهِ قبلَ كونِها.

(٣) الإيمانُ بمشيئَةِ اللَّهِ النافذةِ.

(٤) الإيمانُ بأنه خالقُ كُلِّ شيءٍ.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويدورُ الإيمانُ بالقَدَرِ على الإيمانِ بأربعِ مراتبٍ:

المرتبةُ الأولى: العِلْمُ، وذلك أن تؤمنَ إيمانًا كاملاً بأنَّ اللَّهَ ﷻ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، أحاطَ بكلِّ شيءٍ مما مضى، ومما هو حاضرٌ، ومما هو مستقبلٌ، سواءً أكانَ ذلك مما يتعلَّقُ بأفعاليهِ ﷻ، أو بأفعالِ عبادِهِ، فهو محيطٌ بها جُمْلَةً وتفصيلاً بعلمِهِ الذي هو موصوفٌ به أزلاً وأبدًا، وأدلةُ هذه المرتبةِ كثيرةٌ في القرآنِ والسُّنَّةِ، قال اللَّه - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٥)، وقال - تعالى -: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦)، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الدالةِ على عِلْمِ اللَّهِ ﷻ بكلِّ شيءٍ جُمْلَةً وتفصيلاً.

وهذه المرتبةُ من الإيمانِ بالقَدَرِ مَنْ أنكرَها فهو كافرٌ؛ لأنَّه مُكذِّبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وإجماعِ المسلمين، وطاعينٌ في كمالِ اللَّهِ ﷻ؛ لأنَّ ضِدَّ العلمِ إمَّا الجَهْلُ، وإمَّا النسيانُ، وكلاهما غيبٌ، وقد قال اللَّه - تعالى - عن موسى ﷺ حينما سألهُ فرعونُ: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (٧) قالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٨)، فهو ﴿لَا يَضِلُّ﴾؛ أي لا يَجْهَلُ شيئًا مُستقبلاً، ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ شيئًا ماضياً ﷻ.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله ﷻ كَتَبَ مقاديرَ كُلِّ شيءٍ إلى أن تقوم الساعة فإنه
ﷻ حينما خَلَقَ الْقَلَمَ، قال له: «اكتب». قال: رب، وماذا أَكْتُبُ؟ قال: اكتب ما هو
كائنٌ فجرئ في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

فَكَتَبَ اللهُ ﷻ في اللوح المحفوظِ مقاديرَ كُلِّ شيءٍ، وقد ذَلَّ على هذه المرتبة
قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾، قال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۝٧٠﴾، أي مكتوبٌ في كتابٍ، وهو اللوح
المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾، ثُمَّ هذه الكتابة تكون مُفَصَّلَةً أحياناً، فإن
الجنينَ في بطنِ أمِّه إذا مَضَى عليه أربعة أشهر يُبْعَثُ إليه مَلَكٌ، فيأمرُهُ بأربع كلمات:
يَكْتُبُ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيئِي أَمْ سَعِيدٌ، كما ثَبَتَ ذلك في الصحيح من حديث
عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، ويكتبُ أيضاً في ليلة القدرِ ما يكونُ في تلك
السنة، كما قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٢﴾ فيها يُفَرِّقُ
كُلَّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝١ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾.

المرتبة الثالثة: الإيمان بأن كُلَّ ما في الكونِ فإنه بمشيئةِ الله، فكلُّ ما في الكونِ فهو
حادثٌ بمشيئةِ الله ﷻ سواء أكانَ ذلك مما يَفْعَلُهُ هو ﷻ أو فيما يَفْعَلُهُ المخلوقُ
قال الله - تعالى -: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝١﴾، وقال - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ۝٢﴾، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۝٣﴾، وقال ﷻ: ﴿إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٤﴾ إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على أَنَّ فِعْلَهُ
واقعٌ بمشيئته، وكذلك أفعالُ الخلقِ واقعةٌ بمشيئته، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ
وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاوَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝٥﴾، وهذا نصٌّ صريحٌ في أَنَّ

أفعال العبيد قد شاءها الله ﷻ ولو شاء الله أن لا يفعلوا لم يفعلوا.

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله - تعالى - خالق كل شيء فالله ﷻ هو الخالق، وما سواه مخلوق، فكل شيء فالله خالقه، فالمخلوقات مخلوقة لله ﷻ وما يصدُر منها من أفعال وأقوال مخلوقة لله ﷻ أيضًا؛ لأن أفعال الإنسان، وأقواله من صفاته، فإذا كان الإنسان مخلوقًا كانت صفاته أيضًا مخلوقة لله ﷻ، ويدل ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

فَنَصَّ اللهُ - تعالى - على خلق الإنسان وعلى خلق عمله قال: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقد اختلف الناس في (ما) هنا هل هي مصدرية، أو موصولة؟ وعلى كل تقدير فإنها تدل على أن عمل الإنسان مخلوق لله ﷻ هذه أربع مراتب لا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها.

ثم اعلم أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب، بل إن فعل الأسباب مما أمر به الشرع، وهو حاصل بالقدر؛ لأن الأسباب تتج عنها مسبباتها، ولهذا لما توجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام علم في أثناء الطريق أنه قد وقع فيها الطاعون، فاستشار الصحابة رضي الله عنهم هل يستمر ويمضي في سيره، أو يرجع إلى المدينة؟ فاختلف الناس عليه، ثم استقر رأيهم على أن يرجع إلى المدينة، ولما عزم على ذلك جاءه أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجله ويقدره فقال: يا أمير المؤمنين، «كيف ترجع إلى المدينة؟ أفرارًا من قدر الله؟» فقال عمر رضي الله عنه: «نفر من قدر الله إلى قدر الله»، وبعد ذلك جاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان غائبًا في حاجة له، فحدثهم أن النبي ﷺ قال عن الطاعون: «إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها».

والحاصل: أن في قول عمر رضي الله عنه: «نفر من قدر الله إلى قدر الله» دليلًا على أن اتخاذ الأسباب من قدر الله ﷻ ونحن نعلم أن الرجل لو قال: أنا مؤمن بقدر الله وسيرر فني

الله ولداً بدون زوجة، لو قال هذا لعد من المجانين، كما أنه لو قال: أنا أؤمن بقدر الله، ولكن أسعى في طلب الرزق، ولم يتخذ أي سبب للرزق لعد ذلك من السفه؛ فالإيمان بالقدر إذن لا ينافي الأسباب الشرعية، أو الحسية الصحيحة، أما الأسباب الوهمية التي يدعي أصحابها أنها أسباب، وليست كذلك فهذه لا عبرة بها ولا يلتفت إليها.

ثم اعلم أنه يرد على الإيمان بالقدر إشكال - وليس بإشكال في الواقع - وهو أن يقول قائل: إذا كان فعلي من قدر الله ﷻ فكيف أعاقب على المعصية، وهي من تقدير الله ﷻ؟

والجواب على ذلك أن يقال: لا حجة لك على المعصية بقدر الله؛ لأن الله ﷻ لم يجبرك على المعصية، وأنت حين أقدمت عليها لم يكن لديك العلم بأنها مقدره عليك؛ لأن الإنسان لا يعلم بالمقدر إلا بعد وقوع الشيء، فلماذا لم تُقدّر قبل أن تفعل المعصية أن الله قدّر لك الطاعة، فتقوم بطاعته؟! وكما أنك في أمورك الدنيوية تسعى لما ترى أن فيه خيراً، وتهرب مما ترى فيه شراً، فلماذا لا تعامل نفسك هذه المعاملة في عمل الآخرة؟!

ولا اعتقد أن أحداً يسلك الطريق الصعب، ويقول: إن هذا قد قدّر لي، بل سوف يسلك الطريق المأمون الميسر، ولا فرق بين هذا وبين أن يقال لك: للجنة طريق، وللنار طريق، فإنك إذا سلكت طريق النار فأنت كالذي سلك الطريق المخوف الوعر، فلماذا ترضى لنفسك أن تسلك طريق الجحيم، وتدع طريق النعيم؟!

ولو كان للإنسان حجة بالقدر على فعل المعصية لم تنتف هذه الحجة بإرسال الرسل، وقد قال الله - تعالى -: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً عَلَى سِيرِ الْإِنْسَانِ، وَعَلَى قَلْبِهِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا آمَنْتَ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ فَإِنَّكَ عِنْدَ السَّرَاءِ تَشْكُرُ اللَّهَ ﷻ وَلَا تَعْجَبُ بِنَفْسِكَ، وَلَا تَرَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَصَلَ مِنْكَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَلَكِنَّكَ تُؤْمِنُ بِأَنَّ هَذَا سَبَبٌ إِذَا كُنْتَ قَدْ فَعَلْتَ السَّبَبَ الَّذِي نِلْتَ بِهِ مَا يَسُرُّكَ، وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﷻ فَتَزِدُ بِذَلِكَ شُكْرًا لِنِعَمِ اللَّهِ ﷻ وَيَحْمِلُكَ هَذَا عَلَى أَنْ تَقُومَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى حَسَبِ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ فَضْلًا عَلَى رَبِّكَ، بَلْ تَرَى الْمِنَّةَ لِلَّهِ ﷻ عَلَيْكَ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾. كَمَا أَنَّكَ إِذَا أَصَابَتْكَ الضَّرَاءُ فَإِنَّكَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﷻ وَتَسْتَسْلِمُ، وَلَا تَنْدَمُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تَلْحِقُكَ الْحَسْرَةُ، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ اخِرٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ».

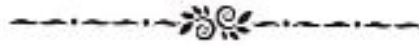
فَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ فِيهِ رَاحَةُ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ، وَعَدَمُ الْحُزَنِ عَلَى مَا فَاتَ، وَعَدَمُ الْغَمِّ وَالْهَمِّ لِمَا يُسْتَقْبَلُ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَوْفَ يَتَضَجَّرُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَيَنْدَمُ، وَيَفْتَحُ الشَّيْطَانُ لَهُ كُلَّ بَابٍ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَفْرَحُ وَيَبْتَطِرُ، وَيَغْتَرُّ إِذَا أَصَابَتْهُ السَّرَاءُ، لَكِنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ يَمْنَعُ هَذَا كُلَّهُ (١).

اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنَا مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لَنَا،

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين - المجلد الثاني - باب القضاء والقدر (٢/ ٨٠ - ٨٦).

وَتَوَفَّنَا إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لَنَا، اللَّهُمَّ وَنَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَنَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرُّضَى وَالْغَضَبِ، وَنَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَنَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَنَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَنَسْأَلُكَ الرُّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَنَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَنَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيْنَ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



في هذا الكتاب نرى كيف كانت النساء في
القديمات وما كن عليه من العادات والسنن
والأخلاق والصفات الحميدة والذميمة
والتي هي من لوازم الطبيعة البشرية
والتي لا بد من معرفتها لئلا نكون
أعمى عن حقيقة ما كنا عليه وما كنا
نستحقه من العقاب والجزاء

الطبعة الأولى: ١٣٩٥ هـ

مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١١٢] ﴿أَلَمْ يَخْلُقْنَا مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن الإحسان، والإحسانُ معناه مراقبةُ الله تعالى في السرِّ والعلنِ مراقبةً مَنْ يُحِبُّهُ وَيَخْشَاهُ وَيَرْجُو ثَوَابَهُ وَيَخَافُ عِقَابَهُ بِالمحافظَةِ على الفرائضِ والنوافلِ واجتنابِ المُحَرَّمَاتِ والمكروهاتِ. والمحسنون هم السابقون بالخيراتِ المُتَنَافِسُونَ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وفي «الصحيحين» (١) سَأَلَ جَبْرِيلُ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ عَنْ عُمَرَ

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّا حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (٨).

وأبي هريرة رضي الله عنه: «قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ففسّر النبي ﷺ الإحسان في عبادة الله تفسيراً لا يستطيعه أحد من المخلوقين غيره ﷺ لما أعطاه الله من جوامع الكلم فقال ﷺ: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

- ومرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها خطراً وأهلها هم السابقون بالخيرات المقربون في أعلى الدرجات.

وقد أخبر ﷺ أن مرتبة الإحسان على درجتين وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:

المقام الأول وهو أعلاهما: أن تعبد الله كأنك تراه وهذا يُسميه بعض العلماء (مقام المشاهدة) وهو أن يعمل العبد كأنه يشاهد الله ﷻ بقلبه فيتنور القلب بالإيمان حتى يصير الغيب كالعيان فمن عبّد الله ﷻ على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم.

المقام الثاني: مقام الإخلاص [والمراقبة] وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله ﷻ وإياه وإطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمله عليه فهو مخلص لله تعالى لأن استحضاره ذلك في عمله بمنعه من الالتفات إلى غير الله، وإرادته بالعمل. وهذا المقام إذا حققه العبد سهل عليه الوصول إلى المقام الأول. ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلاً للأول فقال: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وفي بعض ألفاظ الحديث: «فإنك إذا لم تكن تراه فإنه يراك» فإذا تحقّق في عبادته بأن الله تعالى يراه

وَيُطْلَعُ عَلَى سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ وَبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ فَحَيْثُذَ يَسْهَلُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْمَقَامِ الثَّانِي وَهُوَ دَوَامُ اسْتِشْعَارِ قُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عِبْدِهِ وَمَعِيَّتِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ. نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ^(١).

قال الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَقَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ...» يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْعَبْدَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَهِيَ اسْتِحْضَارُ قُرْبِهِ وَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ؛ وَذَلِكَ يُوجِبُ الْحَشْيَةَ وَالْخَوْفَ وَالْهَيْبَةَ وَالتَّعْظِيمَ، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، وَيُوجِبُ أَيْضًا النَّصْحَ فِي الْعِبَادَةِ، وَيَذَلُّ الْجَهْدَ فِي تَحْسِينِهَا وَإِتْمَامِهَا وَإِكْمَالِهَا.

وَقَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»؛ قِيلَ: إِنَّهُ تَغْلِيلٌ لِلأَوَّلِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَمَرَ بِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ وَاسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ مِنْ عِبْدِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ الْعَبْدَ يَرَاهُ، فَإِنَّهُ قَدْ يَشْقُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِإِيمَانِهِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيُطْلَعُ عَلَى سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ وَبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا حَقَّقَ هَذَا الْمَقَامَ، سَهَّلَ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْمَقَامِ الثَّانِي، وَهُوَ دَوَامُ التَّحْدِيقِ بِالْبَصِيرَةِ إِلَى قُرْبِ اللَّهِ مِنْ عِبْدِهِ وَمَعِيَّتِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ.

وَقِيلَ: بَلْ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ شَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَلْيَعْبُدِ اللَّهَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيُطْلَعُ عَلَيْهِ، فَلْيَسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِهِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: «اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ إِلَيْكَ»، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «خَفِ اللَّهَ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيِ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ».

(١) انظر: «معارج القبول» لحافظ الحكيم (٢/ ٣٠ - ٣٣، ٣٢٦ - ٣٢٨) والمجموع الثمين (١/ ٤٩،

٥٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٦).

وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعٍ مُتَعَدِّدَةٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَرِ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِالنَّدْبِ إِلَى اسْتِحْضَارِ هَذَا الْقُرْبِ فِي حَالِ الْعِبَادَاتِ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ»، وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ»، وَقَوْلِهِ لِلَّذِينَ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِي رَاحِلَتِهِ»، وَقَوْلِهِ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»، وَقَوْلِهِ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا مَعَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٌ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

وَكَلَامُ الْقَوْمِ فِي هَذَا الْبَابِ يَطُولُ ذِكْرُهُ جَدًّا، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(١).

وقال العلامة الفوزانُ حَفِظَهُ اللهُ:

«فالإحسانُ بينَ العبدِ وبينَ رَبِّهِ هو إتقانُهُ الْعَمَلِ الَّذِي كَلَّفَهُ اللهُ بِهِ، بِأَنْ يَأْتِيَ بِهِ صَاحِبًا خَالصًا لِرُؤُوسِهِ اللهُ ﷻ».

عَمَلُ الإِحْسَانِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ مَا تَوَقَّرَ فِيهِ:

الإِخْلَاصُ لِلَّهِ ﷻ.

وَالْمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ.

وقد بيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الإِحْسَانَ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ؛ وَاحِدَةٌ أَعْلَى مِنَ الْآخَرَى:

الأُولَى: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، بِأَنْ يَبْلُغَ بِكَ الْيَقِينُ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ كَأَنَّكَ تَشَاهِدُ اللَّهَ عِيَانًا، لَيْسَ عِنْدَكَ تَرَدُّدٌ أَوْ أَيُّ شَكٍّ، بَلْ كَأَنَّ اللَّهَ أَمَامَكَ ﷻ تَرَاهُ عِيَانًا، فَمَنْ بَلَغَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ؛ فَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ الإِحْسَانِ، «تَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»؛ مِنْ كَمَالِ الْيَقِينِ وَكَمَالِ الإِخْلَاصِ، كَأَنَّكَ تَرَى اللَّهَ عِيَانًا.

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنْ تَرَاهُ بِقَلْبِكَ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَاهُ بِعَيْنِكَ، وَلِذَلِكَ يُجَازَى أَهْلُ الإِحْسَانِ بِالْآخِرَةِ بِأَنْ يَرَوْهُ ﷻ، لَمَّا عَبَدُوهُ وَكَانَهُمْ يَرَوْنَهُ فِي الدُّنْيَا؛ جَازَاهُمْ اللَّهُ بِأَنْ أَفْسَحَ لَهُمُ الْمَجَالَ بِأَنْ يَرَوْهُ بِأَبْصَارِهِمْ فِي دَارِ النُّعِيمِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخَيْرَ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

الزِّيَادَةُ: هِيَ النَّظَرُ لِرُؤُوسِهِ اللهُ، فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٢٦ - ١٣٥)، باختصار.

(٢) «رواه مسلم» (٨١).

ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ -: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشِفُ الْحِجَابَ؛ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷺ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾».

فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَزَادَهُمْ رُؤْيَا اللَّهِ ﷻ.

«تَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» عَلَى الْمَشَاهِدَةِ، وَالْمَحَبَّةِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ ﷻ، تَكَلُّدُ بِطَاعَتِهِ، وَتَطْمِشْنُ إِلَى طَاعَتِهِ ﷻ، تَشْتَاقُ إِلَيْهَا، هَذِهِ طَرِيقَةُ الْمُحْسِنِينَ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: إِذَا لَمْ تَبْلُغْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ الْعَظِيمَةَ فَإِنَّكَ تَعْبُدُهُ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُرَاقَبَةِ، بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاكَ، وَيَعْلَمُ حَالَكَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، فَلَا يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَعْصِيَهُ، وَأَنْ تَخَالَفَ أَمْرَهُ، وَهُوَ يَرَاكَ وَيَطَّلِعُ عَلَيْكَ.

وَهَذِهِ حَالَةٌ جَيِّدَةٌ، وَلَكِنَّهَا أَقْلُ مِنَ الْأُولَى، وَمَا دُمْتَ أَنْك تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ؛ فَإِنَّكَ تُحَسِّنُ عِبَادَتَهُ وَتُتَقِنُهَا؛ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَاكَ، وَاللَّهُ الْمُثُلُ الْأَعْلَى؛ لَوْ كُنْتَ أَمَامَ مَخْلُوقٍ لَهُ مَنْزِلَةٌ وَأَمْرَكَ بِأَمْرٍ، وَأَنْتَ تَنْفِذُ هَذَا الْأَمْرَ أَمَامَهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْكَ؛ هَلْ يَلِيقُ بِكَ أَنْ يَقَعَ مِنْكَ إِخْلَالٌ بِهَذَا الْفِعْلِ؟

الْحَاصِلُ: أَنَّ الْإِحْسَانَ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ:

مَرْتَبَةُ الْمَشَاهِدَةِ الْقَلْبِيَّةِ: وَهِيَ «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»؛ مِنْ شِدَّةِ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ، كَأَنَّكَ تَرَى اللَّهَ ﷻ عِيَانًا.

وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: وَهِيَ أَقْلُ مِنْهَا، أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ وَيَطَّلِعُ عَلَيْكَ، فَلَا تَعْصِيَهُ وَلَا تَخَالَفَ أَمْرَهُ ﷻ.

هَذِهِ مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ، وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الدِّينِ، مَنْ بَلَغَهَا فَإِنَّهُ بَلَغَ أَعْلَى مَرَاتِبِ

الدِّينَ، وَقَبْلَهَا مَرْتَبَةُ الْإِيمَانِ، وَقَبْلَهَا مَرْتَبَةُ الْإِسْلَامِ»^(١).

والإحسانُ بمعناه العامُّ يشتملُ إحسانَ العبدِ في عبادةِ رَبِّهِ، وتعاملَهُ مع الخلقِ، وأعمالَهُ، وأقوالَهُ ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٢) [الملك: ٢].

ففي العباداتِ؛ يقولُ النبيُّ ﷺ لجبريلَ عندما سألهُ ما الإحسانُ؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٣).

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَصَحَ الْعَبْدُ سَيِّدَهُ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» والشاهدُ في هذا الحديثِ قوله: «وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ».

وفي «صحيح مسلم»^(٥) من حديثِ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٌ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

وقد عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِأَنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ الْعِبَادَةِ، ففي سننِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٦) مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ. فَقَالَ:

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (١٧٢ و ١٧٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٣) رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٦٦٤).

(٤) رواه مسلم (٢٢٨).

(٥) (صحيح) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٦٩).

أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». وَكَانَ مِنْ دَعَوَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ: «... وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ» جَاءَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ وَهُوَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ (١) اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بِلَايَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمَةً وَالسَّنةَ صَادِقَةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

وَسَبِّحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٨ / ٣٣٨) بِرَقْمِ ١٧١١٤، وَقَالَ مُحَقِّقُوهُ: حَدِيثٌ حَسَنٌ بِطَرِّقِهِ.

علاماتُ السَّاعَةِ

١- علامات الساعة الصغرى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿الْأَمْرُ﴾
عمران: ١٠٢، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي معكم اليوم عن علامات الساعة الصغرى.

والساعة: جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الزَّمَنِ، وَيُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْقِيَامَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥].

والساعة من أشهر أسماء يوم القيامة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ بِالسَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بَغْتَةً فَيَفَاجَأُ النَّاسَ فِي سَاعَةٍ.

والمؤمنون يخشون الساعة، ويخافون يوم القيامة؛ لإيمانهم بما فيه من الحساب

والجزاء على الأعمال، ويعملون صالحاً في الدنيا لذلك اليوم العظيم، مع وجليهم أن لا يُقبل منهم. وأما أهل الكُفر والنفاق فيَسْخَرُونَ من ذلك، ويستعجلون قيام الساعة؛ لِكُفْرِهِم بالله تعالى، وتكذيبهم بيوم القيامة، وقد وَصَفَ اللهُ تعالى الْمُتَّقِينَ بقوله سبحانه: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (١١) ﴿[الأنبياء: ١٩].

وفي آية أخرى: ﴿وَمَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (١٧) ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٧ - ١٨].

والمُكَذِّبُونَ بالساعة يُؤَبِّخُونَ يومَ القيامةِ على سُكُوبِهِمْ في قيامِ الساعةِ، والجزاء على الأعمال ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَذِيرُ مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾ (٣٢) ﴿[الجاثية: ٣٢].

والساعة آتية وإن استبطأها كثير من الناس، وقريبة وإن استبعدوا زَمَنَهَا ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧) ﴿[النحل: ٧٧].

وللساعة أمارات تقع بين يديها، وعلامات تدل على قربها، ومن علاماتها ما وقع وانتهى، ومنها ما وقع ولا يزال يقع وهو في ازدياد، ومنها ما لم يقع وهو واقع لا محالة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

وتنقسم علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلامات الصغرى: وهي التي ظهرت وانقضت.

القسم الثاني: العلامات المتوسطة: وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جداً.

القسم الثالث: العلامات الكبرى التي يعقبها اليوم الموعود.

وحديثنا اليوم عن علامات الساعة الصغرى وهي التي ظهرت ثم انقضت:

فمن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ثم انقضت بعثة النبي محمد ﷺ، ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ؛ كَفَضَلٍ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، وَصَمَّ السَّبَّابَةُ وَالْوُسْطَى» والمراد بهذا التشبيه أنه ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبي آخر، فهي تليها، وتأتي بعده، وهذا علم يقربها، ولا يستلزم العلم بوقت مجيئها، فإن العلم بوقت المجيء لا يعلمه إلا الله.

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله كما في تذكرته^(٢) مُتَحَدِّثًا عن أشراف الساعة الصغرى: أولها النبي ﷺ؛ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بُعِثَ وليس بينه وبين القيامة نبي. اهـ.

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ثم انقضت: انشقاق القمر وانشقاق القمر علامة على قرب الساعة؛ ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَقَرَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۚ﴾ [القمر: ١، ٢].

قال النووي رحمه الله: «قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم، مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها»^(٣).

وفي (الصحيحين)^(٤) عن أنس رضي الله عنه قال: «سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم

(١) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).

(٢) «التذكرة» (٧٣ / ١).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٧ / ١٤٣).

(٤) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

انشقاق القمر» وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا» زاد في رواية «اللبخاري»^(٢): «ونحن مع النبي ﷺ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ثم انقضت موت النبي ﷺ:

فَمَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ علامة من علامات الساعة ويدل على ذلك ما أخرجه «البخاري»^(٣) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقِعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظْلُ سَاطِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَنْقُى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا».

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

كما في حديث عوف بن مالك الملقب بالمتقدم: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ...»^(٤).

وَقَدْ فَتِحَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت طَاعُونُ عَمَوَاسَ.

(١) رواه البخاري (٤٨٦٤).

(٢) رواه البخاري (٤٨٦٥).

(٣) رواه البخاري (٣١٧٦).

(٤) الحديث السابق.

قَالَ ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ - منها - : مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقِعَاصِ الْغَنَمِ»^(١).

وَمُوتَانٌ - بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْوَاوِ - : هُوَ الْمَوْتُ الْكَثِيرُ الْوُقُوعِ.

وَقِعَاصٌ - بِالضَّمِّ - دَاءٌ يَأْخُذُ الدَّوَابَّ، فَيَسِيلُ مِنْ أُنْفِهَا شَيْءٌ، فَتَمُوتُ فَجْأَةً^(٢).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقَالُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ظَهَرَتْ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»^(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الطَّاعُونُ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ، أَيُّ: بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِعَامَيْنِ عَلَى الْمَشْهُورِ، حَيْثُ وَقَعَ فِي كُورَةِ عَمَوَاسَ، ثُمَّ انْتَشَرَ فِي أَرْضِ الشَّامِ، فَمَاتَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، قِيلَ: بَلَغَ عَدْدُ مَنْ مَاتَ فِيهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَاتَ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -»^(٤).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ لِلْحَاكِمِ مِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ لِمُعَاذٍ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»، فَقَدْ وَقَعَ مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ، يَعْنِي: مَوْتُهُ ﷺ، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ،

(١) الحديث السابق.

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٩٤).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٣٢٢).

(٤) انظر «فتح الباري» (٦/ ٢٧٨).

وَالطَّاعُونَ، قَالَ: وَيَبْقَى ثَلَاثٌ اهـ^(١).

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت اقْتَبَالَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي «صحيح البخاري»^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ».

وقال الحافظ ابن حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«الْمُرَادُ بِالْفِتْنَتَيْنِ، عَلِيٌّ وَمَنْ مَعَهُ، وَمُعَاوِيَةُ وَمَنْ مَعَهُ»^(٣).

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت ظُهُورُ نَارِ الْحِجَازِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَغْنَاقُ الْإِبِلِ يَبْصُرُونَهَا»^(٤).

وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ النَّارُ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«خَرَجَتْ فِي زَمَانِنَا نَارٌ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتٍّ مِثَّةً، وَكَانَتْ نَارًا عَظِيمَةً جَدًّا، مِنْ جَنْبِ الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيِّ وَرَاءَ الْحَرَّةِ، وَقَدْ تَوَاتَرَ الْعِلْمُ بِهَا عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الشَّامِ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ، وَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» اهـ^(٥).

(١) «فتح الباري» (٦ / ٢٧٨).

(٢) رواه البخاري (٧١٢١).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٩٢).

(٤) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

(٥) «شرح مسلم» (١٨ / ٢٨).

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَدْ خَرَجَتْ نَارُ بِالْحِجَازِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ بَدْؤُهَا زُلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ، الثَّلَاثِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى صُحَى النَّهَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَسَكَنَتْ، وَظَهَرَتْ النَّارُ بِقُرَيْظَةَ بِطَرْفِ الْحَرَّةِ تُرَى فِي صُورَةِ الْبَلَدِ الْعَظِيمِ، عَلَيْهَا سُورٌ مَحِيطٌ عَلَيْهِ شَرَارِيفٌ وَأَبْرَاجٌ وَمَآذِنٌ، وَتَرَى رِجَالًا يَقُودُونَهَا، لَا تَمُرُّ عَلَى جَبَلٍ إِلَّا دَكَّتُهُ وَأَذَابَتْهُ، وَتَخْرُجُ مِنْ مَجْمُوعٍ ذَلِكَ مِثْلُ النَّهْرِ أَحْمَرٌ وَأَزْرَقٌ لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيٌّ الرَّعْدِ يَأْخُذُ الصُّخُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَنْتَهِي إِلَى مَحَطِّ الرُّكْبِ الْعِرَاقِيِّ، وَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ رَذَمٌ صَارَ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، فَانْتَهَتْ النَّارُ إِلَى قُرْبِ الْمَدِينَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ يَأْتِي الْمَدِينَةَ نَسِيمٌ بَارِدٌ، وَشُوْهِدَ لِهَذِهِ النَّارِ غَلْيَانٌ كَغَلْيَانِ الْبَحْرِ، وَقَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: رَأَيْنَاهَا صَاعِدَةً فِي الْهَوَاءِ مِنْ نَحْوِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَسَمِعْتُ أَنَّهَا رُؤِيتُ مِنْ مَكَّةَ، وَمِنْ جِبَالِ بُصْرَى» اهـ^(١).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِي ظَهَرَ لِي أَنَّ النَّارَ الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ الْبَابِ هِيَ الَّتِي ظَهَرَتْ بِنَوَاحِي الْمَدِينَةِ، كَمَا فَهَمَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ»^(٢).
وَهَذِهِ النَّارُ غَيْرُ النَّارِ الَّتِي تَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت قتال الترك.

ففي «الصحيحين»^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرُكَ، قَوْمًا وَجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ (أَي: كَالْتَرَسِ)

(١) «التذكرة» (٦٣٦، ٦٣٧).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٨٥).

(٣) رواه البخاري (٣٥٩١)، ومسلم (٢٩١٢).

الْمُطَرَّقَةُ، يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ وَيَمْشُونَ فِي الشَّعْرِ». وَفِي لَفْظٍ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) أَيْضًا: «صِغَارُ الْأَعْيُنِ، ذُلْفُ الْأَنْوْفِ» [أي: قِصْرُ الْأَنْوْفِ]، وَلِلْبُخَارِيِّ^(٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ: «قَوْمًا عِرَاضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ» وَقَدْ قَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ فِي عَصْرِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)، وَكَذَلِكَ قَاتَلُوهُمْ فِي عَصْرِ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقَدْ وَجَدَ قِتَالَ هَؤُلَاءِ التُّرْكِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ، حُمْرُ الْوُجُوهِ، ذُلْفُ الْأَنْوْفِ، عِرَاضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطَرَّقَةِ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ، فَوُجِدُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا فِي زَمَانِنَا، وَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مَرَّاتٍ، وَقَاتَلَهُمُ الْآنَ»^(٤).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ لَائِمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَوَسِّعْ لَنَا فِي دَارِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَرَمِ، وَالتَّرَدِّي، وَالْهَدْمِ، وَالْعَمِّ، وَالْعَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرِينَ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَمُوتَ لِدِيغِينَ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

(١) رواه البخاري (٢٩٢٩)، ومسلم (٢٩١٢).

(٢) رواه البخاري (٢٩٢٧).

(٣) انظر «فتح الباري» (٦/ ٦٠٩).

(٤) «شرح مسلم» (٩/ ٢٢٧).

٢- علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿[الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور. فَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ أَنْ أَخْفَى وَقْتُ السَّاعَةِ وَأَوَانَ الزَّوَالِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِهِ الَّذِي لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ لَا مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٣٤] ﴿[لقمان: ٣٤].

وقال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَفَّيْهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَا كَأَنَّكَ كَافٍ فِيهَا وَلَٰكِن لَّا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ

وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وعلى المؤمن ألا يشغل نفسه بتحديد وقت الساعة؛ فإن كل ذلك رجم بالغيب، وقول غير صحيح، والآتي بالمؤمن أن يشغل بما ينفعه عندما تقوم الساعة؛ ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة؟ فقال ﷺ: «ماذا أعددت لها؟»، فوجهه ﷺ إلى ما ينفعه وما ينبغي أن يسأل عنه.

وقد جعل الله لقرب الساعة أمارات وأشرافاً؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ ﴿١٨﴾ [محمد: ١٨].

فمن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور:

الفتن العظيمة وقد بين النبي ﷺ أن ظهور الفتن وكثرتها من أشراف الساعة؛ ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج؛ وهو القتل».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور كثرة القتل؛ ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل، القتل».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور ظهور مدعي النبوة، ففي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا

(١) رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) رواه البخاري (٩٨٩).

(٣) رواه مسلم (١٥٧).

(٤) رواه البخاري (٦٧٠٤)، ومسلم (٢٢٦٤).

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.
وَمِمَّنْ ظَهَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِينَ مُسَيِّمَةُ الْكَذَّابِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْأَسْوَدُ
الْعَنْسِيُّ فِي الْيَمَنِ وَظَهَرَتْ سَجَّاحُ التَّمِيمِيَّةِ فَادَّعَتْ النُّبُوَّةَ وَتَزَوَّجَهَا مُسَيِّمَةُ الْكَذَّابِ ثُمَّ
لَمَّا قُتِلَ رَجَعَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَظَهَرَ طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْأَسَدِيُّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ،
ثُمَّ ظَهَرَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ، وَظَهَرَ الْحَارِثُ الْكَذَّابُ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
مَرْوَانَ، وَخَرَجَ فِي خِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ جَمَاعَةٌ، وَظَهَرَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ مِيرْزَا أَحْمَدُ
الْقَادِيَانِيُّ بِالْهِنْدِ وَادَّعَى النُّبُوَّةَ وَأَنَّهُ الْمَسِيحُ الْمُنْتَظَرُ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ مَنْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ مُطْلَقًا فَإِنَّهُمْ لَا
يُخْصَوْنَ كَثْرَةً لِكَوْنِ غَالِبِهِمْ يَنْشَأُ لَهُمْ ذَلِكَ عَنْ جُنُونٍ أَوْ سَوْدَاءٍ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَنْ قَامَتْ
لَهُ سَوَكَةٌ وَبَدَتْ لَهُ شُبُهَةٌ كَمَنْ وَصَفْنَا وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَبَقِيَ
مِنْهُمْ مَنْ يُلْحِقُهُ بِأَصْحَابِهِ وَآخِرُهُمُ الدَّجَالُ الْأَكْبَرُ» (١).

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الصَّغْرَى الَّتِي ظَهَرَتْ وَمَا زَالَتْ تُتَابِعُ الظُّهُورَ ضِيَاعُ الْأَمَانَةِ
وَأِسْنَادُ الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَفِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ» (٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِي فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟
فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَّرَهُ مَا قَالَ، وَقَالَ
بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا
أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا ضُبِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا
رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

(١) فتح الباري (٦/ ٦٧٧).

(٢) رواه البخاري (١١٧).

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتابع الظهور:

ظهور المعازف واستخلاؤها فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَارِفُ وَالْقَيْنَاتُ وَاسْتَحْلَتِ الْحُمُرُ».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي عامر الأشعري رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْحُمُرَ وَالْمَعَارِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرْوِحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ازْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيَسْتَسْقِئُهُمُ اللَّهُ وَيَضْعُ الْعَلَمَ، وَيَمَسُخُ آخَرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتابع الظهور شرب الخمر ورفع العلم وانتشار الزنا ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخُمْرُ وَيَظْهَرَ الزَّانَا».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتابع الظهور ظهور الربا وانتشاره بين الناس، وعدم المبالاة بأكل الحرام، أخرج الطبراني في «الأوسط» بسند قال عنه الألباني في «صحيح الترغيب» صحيح لغيره^(٤) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني (٥٨١٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٥).

(٢) رواه البخاري تعليقا (٥٥٩٠)، وَوَصَلَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٠٣٩) وَغَيْرُهُ.

(٣) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٦٢٧١).

(٤) (صحيح لغيره) رواه الطبراني في الأوسط (٨١٥٨) وَقَالَ الألباني في صحيح الترغيب (١٨٦١): صحيح لغيره.

ﷺ قَالَ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ يَظْهَرُ الرَّبَا، وَالزَّنَا، وَالْخُمُرُ».

ومن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتَابَعُ الظهورُ تصديقُ الكاذبِ وتكذيبُ الصادقِ وتخوينُ المؤتمِنِ وتأمينُ الخائِنِ وتوليةُ الرُّوَيْبِضَةِ أمورَ الناسِ.

ففي مسندِ أحمدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»^(١) من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكْذَبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ النَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».

ومن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتَابَعُ الظهورُ:

كَثْرَةُ الشُّحِّ، وَالشُّحُّ هُوَ أَشَدُّ الْبُخْلِ، وَقِيلَ: هُوَ الْبُخْلُ مَعَ الْجِرَاصِ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّهُمُ هُوَ؟ قَالَ: الْقَتْلُ، الْقَتْلُ».

ومن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتَابَعُ الظهورُ السَّلامُ عَلَى مَنْ تَعْرِفُ وَخُرُوجُ النِّسَاءِ لِلتَّجَارَةِ وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»^(٣) من حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ - أَيْ أَنْ يَكُونَ التَّسْلِيمُ عَلَى مَنْ يَعْرِفُ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ -، وَفُشُوَ التَّجَارَةُ،

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩١) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (٨٨٧).

(٢) رواه البخاري (٦٦٥٢)، ومسلم (١٥٧).

(٣) رواه أحمد (١/ ٤٠٧)، والحاكم (٤/ ١٣)، وغيرهما، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في السَّلسلةِ الصَّحِيحَةِ (٦٤٧).

حتى تُعَيِّنَ المرأةُ زوجها على التجارة، وقَطَعَ الأرحامُ، وشهادةُ الزورِ، وكيتمانُ شهادةِ الحقِّ، وظهورُ القلمِ» [أي: كثرةُ الكتابةِ، والاعتمادُ عليها].

ومن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتَابِعُ الظهورَ أنْ تَرَى الحُفَاءَ العُرَاءَ رِعاءَ الشاةِ يتناولون في البُنيانِ كما جاء في «الصحيحين»^(١) عن عُمَرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديثِ جبريلَ الطويلِ وفيه: «وَأَنْ تَرَى الحُفَاءَ العَالَةَ رِعاءَ الشاةِ يتناولون في البُنيانِ».

وها نحنُ نرى ذلكَ عياناً ونشاهدُ رِعاءَ الشاةِ يَتَنَوَّنَ ناطحاتِ السحابِ.
ومن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتَابِعُ الظهورَ زخرفةُ المساجِدِ والتباهي بها.

ففي سُنَنِ أَبِي داودَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»^(٢) من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ». وعِلَّةُ النَّهْيِ عن زُخْرَفَةِ المساجِدِ والتباهي بها أَنَّهُ علامةٌ على التَّرفِ والتَّبذيرِ والإسرافِ، وسببٌ لإشغالِ الناسِ عن صلاتِهِمْ.

ومن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتَابِعُ الظهورَ تقاربُ الزمانِ ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صحيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»^(٣) من حديثِ أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ حَتَّى يَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ،

(١) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود (١١٨ / ٢) وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٥٨٩٥).

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد (٥٣٧ / ٢) وصحَّحه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٧٤٢٢).

والشهر كالجمعة، والجمعة كالיום، واليوم كاحتراق السعفة.

ومن معاني تقارب الزمان: سرعة انقضاء الوقت، والتطور في وسائل النقل والاتصال التي تجعل التنقل أو المحادثة تتم في وقت قصير جداً، وقلة البركة في الوقت ولعل هذا هو المعنى الصحيح.

قال ابن حجر: «فالذي تضمنه الحديث وجد في زماننا هذا، فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم تكن نجد في العصر الذي قبل عصرنا هذا وإن لم يكن هناك عيش مستلذ، والحق أن المراد نزغ البركة من كل شيء من الزمان وذلك من علامات الساعة... قال النووي: المراد بقصده: عدم البركة فيه، وأن اليوم مثلاً يصير الانتفاع به يقدر الانتفاع بالساعة الواحدة»^(١).

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور التشبه بالكفار. ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع». فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك».

وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ، فوقع كثير من المسلمين في التشبه باليهود والنصارى، والتخلي بأخلاقهم، وهذا كثيراً ما يفعله ضعاف الإيمان والنفوس الذين يظنون أنهم بهذا يسرون في ركب التقدم والرقي.

وفي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) من

(١) الفتح (١٦) / ٣٠٩.

(٢) رواه البخاري (٧٣١٩).

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٠٣١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٤٩).

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتابعُ الظهورَ التبرُّجُ والسُّفورُ.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدُ: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا
النَّاسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلاتٌ رءوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا
يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجُنَّ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

ومعنى: (كاسياتٌ عارياتٌ) أي أَنَّهُنَّ يَلْبَسْنَ ثِيَابًا غَيْرَ سَاتِرَةٍ لَجَمِيعِ أَعْمَالِهِنَّ، أو
شفافةٌ تصِفُ ما تحتها، أو ضَيِّقَةٌ تُبْرِزُ تفاصيلَ جَسَدِهَا. وهذا كُلُّهُ موجودٌ وَيَخْتَلِفُ
مِنْ بَلَدٍ لآخر.

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتابعُ الظهورَ أَنْ يَكْثُرَ
النساءُ وَيَقِلَّ الرجالُ.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: لأَحَدُكُمْ حَدِيثًا لَا
يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ
وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزَّنا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيَمُ
الْوَاحِدُ».

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَمَعَاصِيكَ. وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا
تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا،

(١) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١).

وَأَنْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَيَّ مَنْ ظَلَمْتَنَا،
وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَتَجَبَّرَ هَمُّنَا، وَلَا
مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تَرُدَّ إِلَيْنَا
أَرْذَلَ الْعُمُرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا خَطِيئَتَنَا، وَجَهْلَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، اللَّهُمَّ
اغْفِرْ لَنَا هَزْلَنَا، وَجِدَّنَا، وَخَطْبَتَنَا، وَعَمْدَنَا، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدَنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. فَاعْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً مِنْ
عِنْدِكَ، وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٣- المهدي ﷺ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليومَ عن الْمَهْدِيِّ ﷺ والذي خُرُوجُهُ أَوَّلُ عِلَامَةٍ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى الَّتِي يَتَّبِعُهَا الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ.

والمهديُّ وما أدراك ما المهديُّ، المهديُّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبَوَّةِ يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مِلَّتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، تَنعَمُ الْأُمَّةُ فِي عَهْدِهِ نِعْمَةً لَمْ تَنعَمْهَا قَطُّ؛ تُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا، وَيُعْطَى الْمَالُ بِغَيْرِ عَدَدٍ^(١).

(١) انظر «أشراط الساعة» للوالب (٢٤٩).

ففي زمانه تكونُ الثمارُ كثيرةً والزورُ غزيرةً، والمالُ وافرًا، والسلطانُ قاهرًا، والدينُ قائمًا، والعدوُّ راغمًا، والخيرُ في أيامه دائمًا^(١).

ومن صفاتِ المهديِّ ﷺ أنه يملأُ الأرضَ عدلاً كما مُلِئتَ ظلماً، فهذا قد جاء عند الطبراني في الأوسطِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحه الألباني في «الصحيح»^(٢) عن أبي سعيد قال: «لَتَمْلَأَنَّ الأرضُ جورًا وظلمًا، فإذا مُلِئتَ جورًا وظلمًا بعثَ اللهُ رجلاً مني اسمه اسمي، فيملأها قسطًا وعدلاً كما مُلِئتَ جورًا وظلمًا».

ومن صفاتِ المهديِّ ﷺ أن اسمه كاسمِ رسولِ اللهِ ﷺ، واسمُ أبيه كاسمِ أبي النبي ﷺ فيكونُ اسمه محمدًا أو أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ، وهو من ذريةِ فاطمة بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم من وَلَدِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنه.

ففي سُنَنِ أبي داودَ بِسندٍ قال عنه الألباني في «صحيح الجامع» حسنٌ صحيحٌ^(٣) من حديثِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لا تَنْقُضِي الأَيَّامَ، وَلَا يَذْهَبِ الدَّهْرُ حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، اسْمُهُ يُوَاطِئُ اسْمِي» قال ابنُ كثيرٍ رضي الله عنه في المهديِّ: «وهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ العلويُّ الفاطميُّ الحَسَنِيُّ رضي الله عنه»^(٤).

وفي سُنَنِ أبي داودَ بِسندٍ صحيحٍ صحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» من حديثِ أمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «المهديُّ مِنْ عَتَرَتِي مِنْ وَلَدِ فاطمة».

وقوله: مِنْ عَتَرَتِي عَتَرَةُ الرَّجُلِ أَخَصُّ أَقَارِبِهِ، وقال ابنُ الأعرابي: العَتَرَةُ وَلَدُ

(١) «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (١/ ٣١).

(٢) (صحيح) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣٢٥)، وصحَّحه الألباني (السلسلة الصحيحة) (١٥٢٩).

(٣) (حسنٌ صحيحٌ) أخرجه أبو داودَ (٤٢٨٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٠٤).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم (٥٥).

الرَّجُلِ وَذُرِّيَّتُهُ، وَعَقِبُهُ مِنْ صُلْبِهِ، فَعَتَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَدُ فَاطِمَةَ (١).

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢) مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ».

قال ابن كثير: «أي يتوب عليه ويؤفقه، ويُلهمه ويُرشده بعد أن لم يكن كذلك» (٣).

فيهديه الله في ليلة فيقذف في قلبه الهداية، ولذلك يُسمَّى المهدي؛ لأنَّ الله هداة، ولا يُستغربُ صلاحُ رَجُلٍ في ليلة، فإنَّ سَحَرَةَ فرعونَ كانوا في أولِ النهارِ كَفَرَةً أشرارًا فلما ألقى موسى العصا، وإذا هي تلقف ما يأفكون ألقى السحرةُ ساجدين، فماتوا في آخرِ النهارِ شهداءَ أبرارًا يُصْلِحُهُ اللَّهُ في ليلة، وإذا أرادَ الله أن يهدي رجلاً فلن تجدَ مَنْ يُضِلُّهُ.

ومن صفاتِ المهديِّ ﷺ أنه يَحْثِي المَالَ حَثِيًّا، ولا يَعُدُّهُ عَدًّا، كما في سُنَنِ الترمذيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَه» (٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِيِّنَا حَدَثٌ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعَةً أَوْ تِسْعًا»، زَيْدُ الشَّامِ - أَحَدُ الرُّوَاةِ - قَالَ: وَقُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: «سَنِينَ، قَالَ: فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فيقول: يا مهديُّ أعطني، قال: فَيَحْثِي لَهُ فِي ثَوْبٍ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهُ مِنَ الدَّنَانِيرِ، أَوْ الدَّرَاهِمِ، أَوْ الذَّهَبِ، وَالْأَمْوَالِ». وقد وَرَدَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٥) قَوْلُهُ عَلَيْهِ

(١) تهذيب اللغة للأزهري: (١/ ٢٤٢).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٢/ ٥٨) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦٧٣٥.

(٣) «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ٢٩).

(٤) (صحيح) رواه الترمذي: ٢٢٣٢، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه: (٣٢٩٩).

(٥) رواه مسلم (٢٩١٣).

الصلاة والسلام: «يكونُ في آخِرِ أُمِّي خَلِيفَةُ يَخْشِي الْمَالَ حَتَّى لَا يَعُدَّهُ عَدًّا» فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن صفاته الجسدية أنه أَجْلَى الْجَبْهَةِ، وَأَقْنَى الْأَنْفِ: كما جاء في سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» ^(١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ مِائَتِ سَنَةٍ.

أَجْلَى الْجَبْهَةِ: يعني: وَاسِعُ الْجَبْهَةِ إِذَا انْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ مُقَدِّمِ الرَّاسِ، فَهَذِهِ الْجَبْهَةُ قَدْ انْجَلَتْ، جَبْهَتُهُ مُسَبَّحَةٌ. فَإِذَا لَا يُعْطِيهَا الشَّعْرُ، وَيَنْزِلُ عَلَيْهَا بِلْ هِيَ وَاسِعَةٌ. أَقْنَى الْأَنْفِ: الْقَنْى فِي الْأَنْفِ طَوْلُهُ وَدِقَّةُ أَرْبَتَيْهِ، وَالْأَرْبَةُ هِيَ رَأْسُ الْأَنْفِ مَعَ ارْتِفَاعٍ فِي وَسْطِهِ، وَسَطُ الْأَنْفِ مَرْتَفَعٌ، فِيهِ طَوْلٌ، وَسَطُهُ مَرْتَفَعٌ، الْأَرْبَةُ دَقِيقَةٌ، وَصَفْهَا وَصْفًا دَقِيقًا، إِذَا لَوْ قَالَ قَائِلٌ: أَنَا الْمَهْدِيُّ، وَنَظَرْتُ فِي وَجْهِهِ وَلَمْ تَجِدِ الْعَلَامَةَ فِي جَسَدِهِ فَلَا تُصَدِّقْهُ.

ومن صفاته أنه يُصَلِّي بِالنَّاسِ إِمَامًا وَيُصَلِّي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلْفَهُ.

كما في «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

وقال كما في «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ». وَفِي رَوَايَةٍ ^(٤): «فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ» قَالَ

(١) (صَحِيحٌ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ: ٤٢٨٧، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ: (٦٧٣٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٤٩).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٥٥).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٥٥).

الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ^(١): قَالَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ: أَتَدْرِي مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟ قُلْتُ: تُخْبِرُنِي. قَالَ: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَى صَلِّ لَنَا، فيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ، تَكْرَمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

وَهَذَا الْإِمَامُ الَّذِي يُصَلِّي بِالْمَسِيحِ هُوَ الْمَهْدِيُّ، جَزَمَ بِذَلِكَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَالْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ، وَالسِّيُوطِيُّ، وَصَدِيقُ حَسَنُ خَانَ، وَالْأَلْبَانِيُّ، وَغَيْرُهُمْ^(٣).

بَلْ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْآبِدِيُّ: «تَوَارَدَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْمَهْدِيَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنَّ عِيسَى يُصَلِّي خَلْفَهُ»، نَقَلَهُ الْحَافِظُ، وَأَقْرَأَهُ عَلَيْهِ، وَنَزَلَ عِيسَى ﷺ سَيَكُونُ عِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَسَيَقْدُمُهُ الْمَهْدِيُّ، فَيَأْتِي عِيسَى لِيُصَلِّيَ الْمَهْدِيُّ إِمَامًا بِالْمُسْلِمِينَ، وَخَلْفَهُ نَبِيُّ اللَّهِ^(٤).

وَمِنَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ - كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ - بَيَانُ فَضْلِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ مِنْهُمْ، وَبَيَانُ أَنَّ عِيسَى تَابِعٌ لَشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَنْ يَأْتِيَ بِشَرْعٍ جَدِيدٍ، ثُمَّ تَجَوُّزُ إِمَامَةِ الْمَفْضُولِ لِلْفَاضِلِ.

يَعْنِي: لَوْ كَانَ هُنَاكَ وَاحِدٌ أَفْضَلُ وَالْإِمَامُ أَقْلُ فَضْلًا يَجُوزُ فِي الشَّرِيعَةِ، وَلَا بَأْسَ بِهَذَا، وَقَدْ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَصَلَّى وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ.

(١) «الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ»: هُوَ رَاوِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ أَبِي ذَنْبٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٥٦).

(٣) السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ: (١٥٢٩).

(٤) فَتْحُ الْبَارِي (٦/ ٤٩٤).

وقبل أن أودّع مقامي هذا أقول إنه يَجِبُ علينا الإيمانُ بظهور المهدي؛ لأنَّ الإيمانَ بظهور المهدي المُتَنَظَّرِ جزءٌ من عقيدة المسلم، ومن الإيمانِ بالغيب، والإيمانُ بالأشياء الغيبية من مستلزمات شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، ومن مستلزمات الإيمان باليوم الآخر، والإيمانُ بأشراط الساعة من مقتضيات الإيمان بالغيب.

وقد دلَّت على ذلك أحاديث كثيرة وَرَدَتْ عن الرسول ﷺ بَلَّغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ كما قال المُحَقِّقُونَ من أهل الحديث.

قال الإمام الشوكاني: «والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيحُ والحسنُ والضعيفُ والمُنْجَبِرُ وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يَصْدُقُ وصفُ التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المُحَرَّرَةِ في الأصول، وأما الآثارُ عن الصحابة المُصَرِّحَةُ بالمهدي فهي كثيرة أيضًا لها حُكْمُ الرَّفْعِ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك...».

وقال السفاريني في عقيدته المسماة لوامع الأنوار البهية: «الإيمان بالمهدي من جملة عقيدة أهل السنة والجماعة...»^(١).

وقال في موضع آخر: «قَدْ كَثُرَتِ الْأَقْوَالُ فِي الْمَهْدِيِّ حَتَّى قِيلَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى، وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ أَنَّ الْمَهْدِيَّ غَيْرُ عِيسَى، وَأَنَّهُ يَخْرُجُ قَبْلَ نُزُولِ عِيسَى ﷺ، وَقَدْ كَثُرَتْ بِخُرُوجِهِ الرُّوَايَاتُ حَتَّى بَلَّغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ حَتَّى عُدَّ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ»^(٢).

والأحاديث الواردة في المهدي نُقِلَتْ عن أكثر من عشرين من الصحابة رضي الله عنهم

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٣).

(٢) المَرْجِعُ السَّابِقُ (٢/ ٨٤).

وقد احتج بها أهل الحديث وقبِلوها وذَكَرَ صاحبُ كتابِ «عَقْدُ الذَّرَرِ» في أخبار المهديِّ المُتَنَزِّلِ أكثرَ من خمسين من علماء الحديث الذين رَوَوْا تِلْكَ الأحاديثَ واحتجُّوا بها فلا مجالَ لإنكارِها.

وختامًا المهديُّ خارجٌ لا محالةَ لكنْ لا نعلمُ وقتَ خروجِهِ، والواجبُ على المسلم أن لا يتنظرَ خروجَ المهديِّ، بل عليه أن يُسارعَ ويجتهدَ ويعملَ بجدٍّ ونشاطٍ لِتَنْصُرَ الدينَ، وأن يُقدِّمَ ما يستطيعُهُ للدينِ، وأن لا يعتمدَ على خروجِ المهديِّ أو غيره، بل يُصلِحَ نفسه وأُسْرَتَهُ وَمَنْ حَوْلَهُ، وبالتالي إن لَقِيَ اللهَ لَقِيَهُ وَقَدْ أَعْدَرَ مِنْ نَفْسِهِ.

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ:

«خروجُ المهديِّ لا يَسْتَلْزِمُ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَتَرْكَ الاستعدادِ والعَمَلِ لإقامةِ حُكْمِ اللهِ في الأرضِ، بل العكسُ هو الصوابُ، فإنَّ المهديَّ لن يكونَ أعظمَ سَعْيًا من نبيِّنا محمدٍ ﷺ الذي ظلَّ ثلاثًا وعشرينَ عامًا وهو يعملُ لتوطيدِ دعائمِ الإسلامِ، وإقامةِ دولتِهِ، فماذا عسى أن يعملَ المهديُّ لو خرجَ اليومَ فوجدَ المسلمينَ شيعًا وأحزابًا وعلماؤهم إلا القليلَ منهم اتَّخَذَهُمُ النَّاسُ رءوسًا، لما استطاعَ أن يُقيمَ دولةَ الإسلامِ إلا أن يُؤخِّدَ كلمَتَهُمْ ويجمَعَهُمْ في صفٍّ واحدٍ، وتحتَ رايةٍ واحدةٍ، وهذا بلا شكٍّ يحتاجُ إلى زَمَنٍ مديدٍ اللهُ أَعْلَمُ بِهِ، فالشرعُ والعقلُ معًا يقتضيان أن يقومَ بهذا الواجبِ المُخْلِصون من المسلمين، حتى إذا خَرَجَ المهديُّ، لم يَكُنْ بحاجةٍ إلى أن يقودَهُم إلى النَّصْرِ.

وإذا لم يخرجْ فَقَدْ قاموا بواجبِهِم واللهُ يقولُ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

(١) الصحيحة (٤/ ٤٢ - ٤٣).

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.
 اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ،
 وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.
 اللَّهُمَّ قِنَا شُحَّ أَنْفُسِنَا وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُفْلِحِينَ.
 اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
 اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ.
 يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ.
 وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



٤- صفات الدجال والتحذير من فتنه

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلَقُكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن صفات الدَّجَالِ.

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَالِ أَعْظَمُ فِتْنَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَتُخَيِّرُ الْأَلْبَابَ.

ففي «صحيح مسلم»^(١) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ».

(١) رواه مسلم (٢٩٦٦).

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: «الْمُرَادُ أَكْبَرُ فِتْنَةٍ، وَأَعْظَمُ مُوَكَّةٍ»^(١).

وَأَصْلُ الدَّجَالِ مَعْنَاهُ الْمَخْلُطُ^(٢).

وَسُمِّيَ الدَّجَالُ دَجَالًا لِأَنَّهُ يُغْلِي الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ^(٣).

وَسُمِّيَ مَسِيحًا لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ»^(٤).

وَأَمَّا صِفَةُ الدَّجَالِ فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، لَهُ صِفَاتٌ كَثِيرَةٌ، بَيْنَهَا لَنَا النَّبِيُّ ﷺ يُتَعَرِّفُ النَّاسَ بِهِ، وَتَحْذِيرُهُمْ مِنْ شَرِّهِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا يُفْتَنُونَ بِهِ. فَمِنْ صِفَاتِهِ الْوَاردَةِ فِي السُّنَّةِ: قُوَّتُهُ وَصَخَامَةُ بَدَنِهِ:

فَقِي «صَحِيحُ مُسْلِمٍ»^(٥) مِنْ حَدِيثِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ: «فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ الْحَدِيثِ، فَذَكَرَ صِفَةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: «فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ... قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ».

(١) «شَرْحُ مُسْلِمٍ» (٩ / ٢٦٣).

(٢) انظر «النهاية في غريب الحديث» (٢ / ١٠٢).

(٣) انظر «لسان الغريب» (١١ / ٢٣٦).

(٤) سِيَرَاتُ تَخْرِيجُهُ.

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩١٤).

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٢٨).

ومن صفات الدَّجَالِ ضَخَامَةٌ بَدَنِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَصِيرٌ:

ففي «سنن أبي داود بسند صحيح صحَّحه الألباني في «المشكاة»^(١) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَتَّى خَشِيتُ أَلَّا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجٌ، جَعْدٌ، أَغْوَرٌ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِيَةٍ، وَلَا جَحْرَاءَ، فَإِنْ أَلِيسَ عَلَيْكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَغْوَرَ».

ومن صفات الدَّجَالِ أَنَّهُ شَابٌّ:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) مِنْ حَدِيثِ الثَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُوهُ حَاجِبُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ...» فدلَّ الحديثُ عَلَى أَنَّهُ شَابٌّ كَمَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَطَطٌ وَالْقَطَطُ هُوَ شَدِيدُ جُعُودَةِ الشَّعْرِ^(٣).

ومن صفات الدجال أَنَّهُ أَحْمَرُ:

ففي «صحيح البخاري»^(٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ».

ومن صفات الدجال مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى:

ففي «صحيح مسلم»^(٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وصحَّحه الألباني في «المشكاة» (٥٤٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) انظر «شرح مسلم» (٦٥ / ١٨)، «النهاية» (٨١ / ٤).

(٤) رواه البخاري (٧١٢٨).

(٥) رواه مسلم (٢٩٣٣).

«الدَّجَالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «... وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةُ غَلِيظَةٌ» الظَّفَرَةُ: لَحْمَةٌ تَنْبُتُ عِنْدَ الْمَاقِي، وَقَدْ تَمْتَدُّ إِلَى السَّوَادِ فَتَغْشَاهُ^(٢).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٣) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٤) عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى».

وَقَدْ جَمَعَ الْقَاضِي عِيَّاضُ بْنُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَالرِّوَايَاتِ الْقَائِلَةَ بِأَنَّ الْعَوَرَ فِي عَيْنِهِ الْيُمْنَى، بِأَنَّ كِلْتَا عَيْنَيْهِ مَعِيْبَةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ الرِّوَايَاتِ صَحِيحَةٌ، فَتَكُونُ الْعَيْنُ الْيُمْنَى هِيَ الْمَمْسُوحَةُ الَّتِي ذَهَبَ صَوُّوْهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، وَتَكُونُ الْعَيْنُ الْيُسْرَى هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا ظَفَرَةُ غَلِيظَةٌ^(٥).

وَرَجَّحَ هَذَا الْجَمْعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ^(٦)، وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي هَذَا الْجَمْعِ: «هُوَ فِي

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٥٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٣٤).

(٢) «الْنَهَائِيَّةُ» (١٥٨ / ٣).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٢٣)، وَمُسْلِمٌ (١٦٩).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٤).

(٥) انْظُرْ «شَرْحَ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (٢ / ٢٣٥).

(٦) «التَّذَكُّرَةُ» (٦٦٣).

نِهَآيَةِ مِنَ الْحُسْنِ»^(١).

قُلْتُ: نَعَمْ، هُوَ نِهَآيَةُ فِي الْحُسْنِ، إِلَّا أَنَّهُ يُعَكِّرُ عَلَيْهِ أَنَّ فِي إِحْدَى رَوَايَاتِ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدَّجَالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ»، فَوَصَفَ الْعَيْنَ الْمَمْسُوحَةَ بِكَوْنِهَا عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ، فَانْتَقَصَ جَمْعُ الْقَاضِي عِيَاضٍ أَنَّ إِحْدَاهُمَا - وَهِيَ الْيُمْنَى - مَمْسُوحَةٌ، وَالْأُخْرَى عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلِذَلِكَ فَقَدْ رَجَعَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الرُّوَايَاتِ الْقَائِلَةَ بِأَنَّ الْعَوْرَ فِي الْعَيْنِ الْيُمْنَى، وَهِيَ فِي «الصَّحِيحِينَ» عَلَى رِوَايَةِ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، الَّتِي فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»؛ لِأَنَّ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ^(٣).

وَمِنْ صِفَاتِ الدَّجَالِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ:

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُنْذِرَ أُمَّتُهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٥) مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَفْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

(١) المرجع قبل السابق.

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٣) انظر «فتح الباري» (١٣ / ٩٧).

(٤) رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٥) رواه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَقِيتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ، أَحْمَرُ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قَالُوا: هَذَا الدَّجَالُ...».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، جُفَأَ الشَّعْرِ أَيْ: كَثِيرُهُ».

وَمِنْ صِفَاتِ الدَّجَالِ أَنَّهُ أَفْحَجُ:

فَقِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ»^(٣) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ».

وَالْأَفْحَجُ: هُوَ الَّذِي إِذَا مَسَى بَاعَدَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ كَالْمُخْتَبِئِ، فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ عُيُوبِهِ^(٤).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَقَوْلٍ لَا يُسْمَعُ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٢٨)، وَمُسْلِمٌ (١٦٩).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٥٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٣٤).

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٣٢٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (٥٤٨٥).

(٤) «عَوْنُ الْمَعْبُودِ» (٧/ ٣٩٠).

٥- خروج الدجال والوقاية من فتنته

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي معكم عن المسيح الدجال، والدجال وما أدراك ما الدجال؟ هو رجلٌ من بني آدمَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيُفْتَنُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ، يُجْرِي اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ بَعْضَ الْأَعْمَالِ الْخَارِقَةِ، وَيَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ وَلَا يَرْوِجُ بَاطِلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَيَدْخُلُ الْأَمْصَارَ كُلَّهَا إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَمَعَهُ نَارٌ وَجَنَّةٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، وَالْإِيمَانُ بِخُرُوجِهِ وَاجِبٌ. قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي رَمَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِخُرُوجِ الدَّجَالِ أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنْ فِتْنَتِهِ»^(١).

(١) أصول السنة (١٨٨).

وَجُمُهِوْرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ مَوْجُودٌ الْآنَ فِي جَزِيرَةِ فِي الْبَحْرِ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ الطَّوِيلِ فِيهِ قَوْلُهُ: «قَدْ خَلَقْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقَيْنَا ذَاتَهُ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: ااعْمِدُوا إِلَيَّ هَذَا الرَّجُلُ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَيَّ خَبَرَكُمْ بِالْأَشْوَاقِ».

وَخُرُوجُهُ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِخُرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالْأَجَالَ وَالذَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسَفَ بِالشَّرْقِ وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ» فَخُرُوجُ الدَّجَالِ مُقَدِّمَةٌ لِنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ.

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَالِ أَكْثَمُ فِتْنَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَتُخَيِّرُ الْأَلْبَابَ.

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَالِ أَكْثَمُ فِتْنَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَتُخَيِّرُ الْأَلْبَابَ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٢).

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ (٢٩٠١).

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ». قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: «الْمُرَادُ أَكْبَرُ فِتْنَةٍ، وَأَعْظَمُ شَوْكَةٍ»^(٢).

فالمسيحُ الدجالُ من أعظمِ الفتنِ التي يُفتَنُ النَّاسُ بها فهو يدَّعي الربوبيةَ وقد حَدَّثَ الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنْذِرُكُمْوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَغْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَغْوَرَ».

أَمَّا مَكَانُ خُرُوجِهِ فَهُوَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ جِهَةَ إِيْرَانَ، فَأَكْثَرُ أَتْبَاعِهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودٍ أَضْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيْلَسَةُ».

أَمَّا أَوَّلُ ظَهْوَرِهِ فَبِسَبَبِ غَضَبِهِ يَغْضَبُهَا ثُمَّ تَبْدَأُ فِتْنَتُهُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٥) عَنْ حَفْصَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضَبِهِ يَغْضَبُهَا».

الْفِتْنُ الَّتِي مَعَهُ فِتْنٌ حَقِيقَةٌ وَلَيْسَتْ خَيَالَاتٍ كَخَيَالَاتِ السَّاحِرِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٦)

(١) رواه مسلم (٢٩٤٦).

(٢) «شرح مسلم» (٢٦٣ / ٩).

(٣) رواه البخاري (٣٠٥٧) ومسلم (٢٩٣١).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٤).

(٥) رواه مسلم (٢٩٣٢).

(٦) رواه البخاري (٣٤٥٢) ومسلم (٢٩٣٤).

عن حذيفة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيِي الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالْآخَرُ رَأْيِي الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجَحُ، فَإِذَا أَدْرَكَنَّ أَحَدُ فَلَيَاتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُعَمِّضْ ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ».

فالذي يَظْهَرُ عَلَى يَدِ الدَّجَالِ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ إِنْزَالِ الْمَطَرِ وَالْخِضْبِ عَلَى مَنْ يُصَدِّقُهُ وَالْجَذْبِ عَلَى مَنْ يُكَذِّبُهُ وَاتِّبَاعِ كَنُوزِ الْأَرْضِ لَهُ وَمَا مَعَهُ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَمِائِهِ تَجْرِي، كُلُّ ذَلِكَ مَحَنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاجْتِبَاءٌ لِيَهْلِكَ الْمَرْتَابُ وَيَنْجُو الْمُتَّقِنُ.

فَالْمُؤْمِنُ يَعْصِمُهُ اللَّهُ مِنْهُ فَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ» فَلَا تَرُوجُ فَتَنَتُهُ عَلَى الْمُؤَحِّدِينَ فَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ سُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ. قَالَ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ. قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ» وَمِنْ فَتَنِ الدَّجَالِ وَتَلْبِيسِهِ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَالِ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَسْتَهِي إِلَى بَعْضِ السَّبَاحِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمِيذٌ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَخَيَّتُهُ، أَتَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ

(١) رواه البخاري (٣٤٥٢) ومسلم (٢٩٣٤).

(٢) رواه البخاري (٧١٢٤) ومسلم (٢٩٣٩).

(٣) رواه البخاري (١٨٨٢)، ومسلم (٢٩٣٨).

حِينَ يُخَيِّبُهُ: وَاللَّهُ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ، قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ.

أما مُدَّةُ مُكُثِ الدَّجَالِ فِي الْأَرْضِ:

فكما جاءَ في «صحيح مسلم»^(١) من حديثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الصَّحَابَةَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنِيَّةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

أَتْبَاعُ الدَّجَالِ:

أَكْثَرُ أَتْبَاعِ الدَّجَالِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالْعَجَمِ، وَالتُّرْكِ، وَأَخْلَاطٍ مِنَ النَّاسِ، بِمَا فِيهِمُ الْأَعْرَابُ وَالنِّسَاءُ؛ ففِي «صحيح مسلم»^(٢) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودٍ أَضْبَهَانِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجَهْلَ غَالِبٌ عَلَى الْأَعْرَابِ، وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ حَالُهُنَّ أَشَدُّ مِنْ حَالِ الْأَعْرَابِ، لِشِدَّةِ تَأَثُّرِهِنَّ وَغَلْبَةِ الْجَهْلِ عَلَيْهِنَّ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَةُ الْأَلْبَانِي فِي «قِصَّةِ الدَّجَالِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ الدَّجَالُ فِي هَذِهِ السَّبْعَةِ بِمَرْقَنَاءَ - وَادٍ يَأْتِي مِنَ الطَّائِفِ - فَيَكُونُ أَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ».

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٤).

(٣) (حسن) أخرجه أحمد (٥٣٥٣) وحسنه الألباني في قصة الدجال (٨٨).

وَأَمَّا نَهَايَةُ الدَّجَالِ فَتَكُونُ عَلَى يَدَيِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَنَزَلَ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيٍّ وَمَشْقِيٍّ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ - أَيْ: لَا بَسَّ ثَوْبَيْنِ مَضْبُوعَيْنِ -، وَاضْعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَائِينَ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَجِلُّ لِكَافِرٍ يَحْدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَبَابٍ لَدَى، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ».

وَأَمَّا الْوَقَايَةُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَ أُمَّتَهُ مَا يَتَّقُونَ بِهِ فِتْنَتَهُ، وَيَعَصِمُهُمْ مِنْهُ، وَأَهَمُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَقِي مِنَ الدَّجَالِ:

مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ؛ فَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّجَالَ بَشَرٌ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرُ وَاللَّهُ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى أَحَدًا رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ، وَالِدَّجَالُ يَرَاهُ النَّاسُ عِنْدَ خُرُوجِهِ، مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ.

وَمِنَ الْوَقَايَةِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ التَّعَوُّذُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، خَاصَّةً فِي الصَّلَاةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، مِنْهَا:

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ».

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٧).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٨٣٢)، وَمُسْلِمٌ (٥٨٩).

ومن الوقاية من فتنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ حِفْظُ فَوَاتِحِ سُورَةِ الْكَهْفِ:
فِي حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ»^(١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ».

وَمِنْ الْوَقَايَةِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ الْفِرَارُ مِنَ الدَّجَالِ، وَالْإِتِّعَادُ عَنْهُ، وَذَلِكَ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَالْخَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي قَدْ يَفْتِنُ بِهَا الْمَرْءُ، وَالْأَفْضَلُ سُكْنَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا كَمَا تَقْدَمُ.

فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ»^(٣) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَتَأَنَّ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا بِمَنْ يُرِيدُ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُنْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ».

وَمِنْ الْوَقَايَةِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ السَّكْنُ فِي مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ؛ لِأَنَّ الدَّجَالَ يَمُرُّ بِالْبِلْدَانِ كُلِّهَا إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُورُهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَخْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ

(١) تَقْدَمُ تَخْرِيجُهُ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٠٩).

(٣) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٩٧٦١)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (٥٤٨٨).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٨٨١) وَمُسْلِمٌ (٢٩٤٣).

رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ» فَمِمَّا يُعْتَصَمُ بِهِ مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ سُكْنَى هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ الْمُقَدَّسَتَيْنِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا، وَمَا أَسْرَفْنَا، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



٦- نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠١) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلَقُكُمْ رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٢) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣) ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وعيسى ابن مريم عليه السلام، هُوَ مِنْ أَوْلَى الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَنَزُولُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْكُبْرَى لِلْسَّاعَةِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمُوتُكُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (١). وَإِنَّهُ يَعْنِي عِيسَى ﷺ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ أَيَّ نَزُولُهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ يُعَلِّمُ بِهِ قُرْبَهَا. قَالَ مُجَاهِدٌ: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ) أَيَّ آيَةٍ لِّلْسَاعَةِ خُرُوجِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٦).

وقال الطبري: «معناه أن عيسى ظهوره عِلْمٌ يَعْلَمُونَ به مجيء الساعة لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة» (١).

وما من شك أن عيسى ابن مريم ﷺ حي إلى الآن خلافا لما يَعْتَقِدُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ قُتِلَ وَصُلِبَ، وَأَنَّهُ الْآنَ فِي عِذَابِ الْمَوْتَى، قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) [النساء: ١٥٧].

وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَيَعْتَقِدُونَ فِيهِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، مِنْ كَوْنِهِ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا، وَلَا يَزَالُ حَيًّا إِلَى أَنْ يَنْزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِزْيِرَ، وَيَقْتُلُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، ثُمَّ يَمُوتُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَى رَادًّا عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ قَوْلَهُمْ بِمَوْتِ الْمَسِيحِ: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْجَاعِ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

فَقَوْلُهُ هُنَا: (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) يَبِينُ أَنَّهُ رَفَعَ بَدَنَهُ وَرُوحَهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّهُ يَنْزِلُ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ، إِذْ لَوْ أُريدَ مَوْتُهُ لَقَالَ: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ، بَلْ مَاتَ.

قال ابن كثير رحمه الله: «فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا شُبِّهَ لَهُمْ فَقَتَلُوا الشَّيْبَةَ وَهُمْ لَا يَتَبَيَّنُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّهُ بَاقٍ حَيٌّ، وَإِنَّهُ سَيَنْزِلُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ - الَّتِي سَنُورِدُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَرِيبًا - فَيَقْتُلُ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِزْيِرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ - يَعْنِي: لَا يَقْبَلُهَا مِنْ

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٣٦).

أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، بَلْ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ - (١).

وفي «الصحيحين» (٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْحَرْبَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْنَكُمْ» (وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) [النساء: ١٥٩].

فَقَدْ فَسَّرَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْآيَةَ، بِأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ سَيُؤْمِنُ بِهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ نَزُولِهِ ﷺ آخِرَ الزَّمَانِ.

وَأَمَّا صِفَتُهُ فَهُوَ رَجُلٌ، مَرْبُوعُ الْقَامَةِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، أَحْمَرُ، جَعْدٌ، عَرِيضُ الصَّدْرِ، سَبْطُ الشَّعْرِ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ - أَي: حَمَامٍ - لَهُ لِمَّةٌ (شَعْرُ الرَّأْسِ) قَدْ رَجَلَهَا تَمَلُّاً مَا بَيْنَ مِنْكَبَيْهِ.

والدليل على ذلك ما جاء في «الصحيحين» (٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْلَةُ أُسْرِي بِي لَقِيتُ مُوسَى... (فَنَعْتُهُ إِلَى أَنْ قَالَ): وَلَقِيتُ عِيسَى... (فَنَعْتُهُ فَقَالَ): رُبْعَةٌ، أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ (يَعْنِي: الْحَمَامَ)».

وفي «صحيح البخاري» (٤) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى؛ فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ».

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٨) واللفظ له، ومسلم (١٥٥).

(٣) رواه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).

(٤) رواه البخاري (٤٣٨).

وفي «صحيح مسلم»^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيْتُني في الجِجْرِ وقريشُ تسألُني... (فَدَكَرَ الحديثَ، وفيه): وإذا عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام قائمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بهِ شَبَهاً عروَةُ بنُ مسعودٍ الثَّقَفِيُّ».

وفي «الصحيحين»^(٢) عن عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أراني ليلةً عندَ الكعبةِ، فرأيتُ رجلاً آدمَ هو الأسمَرُ الشَّديدُ السُّمْرَةِ، كأَحْسَنِ ما أنتَ راءٍ من آدمِ الرجالِ، له لِمَمَّةٌ كأَحْسَنِ ما أنتَ راءٍ من اللَّمَمِ، قد رَجَلَهَا، فهي تَقَطُرُ ماءً، مُتَكِنًا على رَجُلَيْنِ أو على عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يطوفُ بالبيتِ، فسألتُ: مَنْ هذا؟ فقبل هذا المسيحُ ابنُ مريمَ».

وأما صِفَةُ نُزُولِهِ، وَمَهَامُهُ ﷺ:

فَبَعْدَ خُرُوجِ الدَّجَالِ، وَإِفْسَادِهِ فِي الْأَرْضِ، يَبْعَثُ اللهُ عيسى ابنَ مريمَ عليه السلام لِيَقْتُلَهُ، فيَنزِلُ إلى الأرضِ، ويكونُ نُزُولُهُ عندَ المنارةِ البيضاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ الشَّامِ، وعليه مهرودتان (أي: ثوبان مصبوغان بورسٍ ثُمَّ زعفرانٍ) واضعاً كَفَّيْهِ على أجنحةِ مَلَكَيْنِ، إذا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإذا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُحَمَانٌ كاللؤلؤِ، ولا يَحِلُّ لكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ.

فَفي «صحيح مسلم»^(٣) من حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ صِفَةُ نُزُولِهِ وَالْمَكَانُ الَّذِي يَنزِلُ فِيهِ، وَقَتْلُهُ لِلدَّجَالِ، فَفي الْحَدِيثِ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِلدَّجَالِ قَالَ ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ، فَيَنزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ

(١) رواه مسلم (١٦٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٩)، ومسلم (٣٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

جُحْمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَسْتَهِي حَيْثُ يَسْتَهِي طَرَفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يَذَرِكُهُ بِبَابٍ لَدُنَّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُخَدِّثُهُمْ بِدَرَجاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَسْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ، فَحَرَّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَنْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ».

وفي «الصحيحين»^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟».

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التي تُقَاتِلُ عَلَى الْحَقِّ، وتكونُ مجمعةً لِقِتَالِ الدَّجَالِ، فينزل وقت إقامة الصلاة، يُصَلِّي خَلْفَ أَمِيرِ تِلْكَ الطَّائِفَةِ.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: «فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَى صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءَ، تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

وأما مُدَّةُ بَقَايِهِ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ نَزْوِلِهِ، وَوَقَاتُهُ ﷺ:

فإنه يمكث في الأرض بعد نزوله وقتله الدجال أربعين سنةً ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(١) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

(٢) رواه مسلم (١٥٦).

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد (٩٣٧٠) وأبو داود (٤٣٢٤)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (٢٧٨٢).

«الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَاتُهُمْ سَتَى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَنِي وَبَيْتُهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يَصْبُهُ بَلَلٌ، وَإِنَّهُ يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيَقْبِضُ الْمَالَ، وَيَقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ ﷻ فِي إِمَارَتِهِ الْمِلَلِ كُلَّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَحَتَّى يُهْلِكَ اللَّهُ ﷻ فِي إِمَارَتِهِ مَسِيحَ الضَّالَّةِ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى يَزْعَى الْأَسَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنَّمْرُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَتَلْعَبُ الصَّيَّانُ بِالْحَيَّاتِ لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يَلْبَثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَّى ﷻ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

وبعد أن يعيش عيسى - عليه الصلاة والسلام - بعد نزوله أربعين سنة في الأرض ثم يموت كما يموت الناس ويدفن في الأرض وأما مكان دفنه فلهذا أعلم؛ لأن الأحاديث الواردة في دفن عيسى بن مريم ﷺ في حُجْرَةِ النَّبِيِّ - عليه الصلاة والسلام - بعد نزوله آخر الزمان وموته كلها ضعيفة، وهكذا ما روى الترمذي عن عبد الله بن سلام؛ أنه مكتوب في التوراة: «أَنَّ عِيسَى - عليه الصلاة والسلام - يُدْفَنُ مَعَ النَّبِيِّ - عليه الصلاة والسلام -» فهو ضعيف^(١).

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَمَعَاصِيكَ. وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا

(١) انظر «تُحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ» (٧/ ٨١).

مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا
 تُخْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.
 وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٧- خروج يا جوج وما جوج

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٧٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٢] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٣] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد، فحديثي اليوم عن يا جوج وما جوج، وهما قبيلتان من ذُرِّيَّةِ آدَمَ تَسْمَيَانِ بِهَذَا الْأَسْمِ، كَمَا نَقُولُ نَحْنُ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ وَهَمَا كَفِيرُهُم مِّنْ بَنِي آدَمَ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَنَاسَلُونَ وَيَمُوتُونَ، أَمَّا عَدَدُهُمْ فَهَمَا قَبِيلَتَانِ كَثِيرَتَا الْعِدَّةِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مُنَاجَزَتَهُمَا مِنْ كَثَرَتِهِمَا، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ كَثَرَتَهُمَا وَسُرْعَةَ خُرُوجِهِمَا وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) [الأنبياء: ٩٦].

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ الطويل وفيه: «وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِئَةَ فَيَسْرُبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ».

فَقَوْمٌ يَشْرَبُ أَوَّلُهُمُ الْبَحْرَ تَعَجُّ بِهِمُ الْأَرْضُ.

وفي «صحيح البخاري»^(٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَتَأَدَّى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ دُرَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعَثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أَرَاهُ قَالَ - تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، فَجَبْتِيذُ تَضَعُ الْحَايِلُ حَمْلَهَا، وَيَنْشِيبُ الْوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ».

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ».

وَأَمَّا خُرُوجُهُمْ فَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى قَالَ اللَّهُ ﷻ: (حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) (١٦) وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي بُيُوتِهِمْ أَقْدَمُ عَلَى عُقْلِهِمْ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (١٧) [الأنبياء].

جاء في التفسير الميسر^(٣):

«إِذَا فُتِحَ سَدُّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ، وَانْطَلَقُوا مِنْ مَرْتَفَعَاتِ الْأَرْضِ وَانْتَشَرُوا فِي

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه البخاري (٤٧٤٨).

(٣) التفسير الميسر (٦/ ١٢).

جَنَابَتِهَا مُسْرِعِينَ، دَنَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَبَدَتْ أَهْوَالُهُ فَإِذَا أَبْصَارُ الْكُفَّارِ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ مَفْتُوحَةٌ لَا تَكَادُ تَعْرِفُ، يَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْوَيْلِ فِي حُسْرَةٍ: يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا لَا هِمَّ غَافِلِينَ عَنْ هَذَا الْيَوْمِ وَعَنِ الْإِعْدَادِ لَهُ، وَكُنَّا بِذَلِكَ ظَالِمِينَ».

وقد تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ فِي أَنَّ خُرُوجَ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فِيهِ «صَحِيحٌ مُسْلِمٌ»^(١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشَرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَتُرُوقَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسَفُ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفُ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

أَمَّا أَيْنَ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ الْآنَ؟ فَهَمُ وَرَاءَ السِّدِّ الَّذِي بَنَاهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ كَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَنْ قِصَّةِ بَنَائِهِ... وَلَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ لَنَا مَكَانَ هَذَا السِّدِّ... فَتَقِفُ حَيْثُ أَوْقَفَنَا اللَّهُ، وَأَمَّا قِصَّةُ بَنَاءِ سِدِّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ فَكَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ ﷻ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ قَالَ تَعَالَى: (ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا) ﴿١٦﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٧﴾ قَالُوا يَا بَنَا الزُّنُورِ إِنَّا فِى الْبُلُوغِ بَيْنَ السَّدَّيْنِ مَقِصُّوْنَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٨﴾ قَالَ مَا مَكْنَى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِ بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٩﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٢٠﴾ فَمَا اسْتَغْتَبُوا أَنْ يَنْظُرُوهُ وَمَا اسْتَسْقَمُوا لَهُ نَفْسًا ﴿٢١﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءُ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٢٢﴾ [الْكَهْفُ].

إيضاح هذه الآيات الكريمات أن ذا القرنين وصل إلى مكان بين السدين والسدان

(١) رواه مسلم (٢٢٢٦).

هما جَبَلَانِ عَظِيمَانِ فَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا أَيُّ أَمَامَهُمَا قَوْمًا لَا يَكَاذُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا أَيْ لَا يَفْهَمُونَ إِلَّا بِطُءٍ وَصَعُوبَةٍ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ قَبِلْتَنِي يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أَيْ بِالْقَتْلِ وَنَهَبِ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا أَيْ أَجْرًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا فَأَبَى ذُو الْقَرْنَيْنِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ أَجْرَةً وَأَرَادَ أَنْ يَذْفَعَ فسادَ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ أَيْ مَا أَعْطَانِي رَبِّي مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ خَيْرٌ مِمَّا تَبْذُلُونَهُ لِي فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَيْ بِالْيَدِ الْعَامِلَةِ وَالْآلَاتِ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا أَيْ حَاجِزًا فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ الْمَالَ وَلَكِنْ يَرِيدُ الْإِعَانَةَ بِالْأَيْدِي وَالْقُوَّةَ.

آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ أَيْ قِطْعَ الْحَدِيدِ فَجَعَلَ قِطْعَ الْحَدِيدِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ حَتَّى حَاضِيَ يَقْطَعِ الْحَدِيدُ رُؤُوسَ الْجَبَلَيْنِ قَالَ انْفُخُوا أَيْ بِالْكِرَانِ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا أَيْ صَارَتْ قِطْعُ الْحَدِيدِ نَارًا مَتَوَهِّجَةً قَالَ: آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا أَيْ نُحَاسًا مُذَابًا لِيَسْخَلَ الْحَدِيدُ وَيَسْلُكَ بَيْنَ فَجْوَاتِهِ وَيَخْتَلِطَ بِهِ فَيَرْبِدُهُ قُوَّةً وَصَلَابَةً فَلَمَّا قَرَعَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ بِنَاءِ السَّدِّ أَرَادَ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْهِ أَيْ يَعلُوا عَلَيْهِ فَمَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ لَارْتِفَاعِهِ وَمَلَأَتْهُ فَأَرَادُوا أَنْ يَنْقُبُوهُ فَمَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ لَصَلَابَتِهِ وَسُمْكِهِ وَقُوَّتِهِ.

فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: هَذَا أَيْ السَّدُّ رَحْمَةٌ أَيْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَلَهُ الْفَضْلُ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى صُنْعِهِ «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي» أَيْ مَوْعِدُ خُرُوجِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ فُبَيْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ جَعَلَهُ دَكَّاءَ أَيْ أَلْصَقَ السَّدِّ بِالْأَرْضِ وَحَدَّثَ لَهُ الْإِهْدَامَ التَّامَ.

«وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي» بِخُرُوجِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ «حَقًّا» لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ.

مَحَاوِلُهُ فَتَحَ رَدْمَ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ ثُمَّ فَتَحَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ:

جَاءَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا

(١) رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

فَرَعَا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبَلَّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِيحَ الْيَوْمَ مِنْ رَذَمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ». وَحَلَّقَ بِإِضْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ».

وفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَخْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَبْرُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ازْجِعُوا فَسْتَخْفِرُونَهُ غَدًا فَيُعِيدُهُ اللَّهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَيْعَنَّهُمْ عَلَى النَّاسِ حَضَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَبْرُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ازْجِعُوا فَسْتَخْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاسْتَنْتُوا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَخْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُسْشِفُونَ الْمَاءَ وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ فَيَرْمُونَ سِهَامَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ الَّذِي اجْفَظَ فَيَقُولُونَ: فَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَيَنْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَقْعًا فِي أَقْفَانِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكُرُ شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ».

وَأَمَّا كَيْفَ خُرُوجُهُمْ وَهَلَاكُهُمْ؟

فَبَعْدَ نَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ وَقَتْلِهِ الدَّجَالَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَعِنْدَ خُرُوجِهِمْ يُوحِي اللَّهُ إِلَيْنِ عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ أَيْ: لَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ النَّوَاسِيِّ بْنِ سَمْعَانَ الطَّوِيلِ فِيهِ: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْنِ عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرَّزْ عِبَادِي إِلَيْنِ الطُّورَ».

(١) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٥١٠) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٢٧٦).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٣٧).

وَيَبْعَثُ اللَّهُ تَاجُوجَ وَمَاجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيقَةٍ فَيَسْرُبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُخَصِّرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْعَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُضْبَحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبِيرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْعَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَغْنَاكِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَنْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِي ثَمَرَتِكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرُّسُلِ، حَتَّى أَنَّ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِتَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَحْدَ مِنَ النَّاسِ، فَيَنِمَّا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَانِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى سِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، (أي: يُجَامِعُ الرِّجَالُ النِّسَاءَ بِخُضْرَةِ الرِّجَالِ كَمَا يَفْعَلُ الْحَمِيرُ) فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

وأما الواجب علينا نحنُ الإيمانُ بوجودِهِم فذلك من الإيمانِ بنبينا ﷺ ومن الإيمانِ بالغيبِ.

قال ابنُ قدامة المقدسي رحمه الله: لا يَجِبُ الإيمانُ بِكُلِّ ما أخبرَ به النبي ﷺ وصَحَّ به النَّقْلُ فيما شاهدناه أو غابَ عَنَّا، نعلمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وسواءٌ في ذلك ما عَقَلْنَاهُ وما جَهَلْنَاهُ، ولم نَطَّلِعْ على حَقِيقَةِ معناهُ مثلُ حديثِ الإسراءِ والمعراجِ... إلى أن قال: ومن ذلك أَسْرَاطُ السَّاعَةِ مثلُ خُرُوجِ الدَّجَالِ، ونزولِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقْتُلُهُ

وخروج يأجوج ومأجوج...^(١)

وقال القاضي عياض: «الأحاديث الواردة في يأجوج ومأجوج: هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها؛ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، وقد ورد في خبرهم أنه لا قُدْرَةَ لِأَحَدٍ عَلَى قِتَالِهِمْ مِنْ كَثَرَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَخْضُرُونَ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَجَوْا مِنَ الدَّجَالِ، فَيَدْعُو عَلَيْهِمْ فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْمَعِينَ بِالنَّعْفِ - وَهُوَ دُودٌ فِي رِقَابِهِمْ - فَيُؤْذِنُ الْأَرْضَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِشَنَائِهِمْ، فَيَدْعُو عِيسَى وَأَصْحَابَهُ رَبَّهُمْ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا فَتَحْمِلُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»^(٢).

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنْ خَرَجَهُمْ مِنْ وَرَاءِ السُّدِّ عَلَى النَّاسِ حَقٌّ ثَابِتٌ لِرُودِهِ فِي الذِّكْرِ وَثُبُوتِهِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ، وَلَمْ يُحِلَّهُ عَقْلٌ فَوَجِبَ اعْتِقَادُهُ»^(٣)...

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَسُرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَسُرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ سُرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ قُلُوبَنَا بِمَاءِ الثَّلَجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قُلُوبَنَا مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِذْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَطَايَانَا كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ.

(١) «لُفْعَةُ الْإِعْتِقَادِ» لابن قُدَامَةَ (٣٠).

(٢) «إِكْمَالُ الْمَعْلَمِ» (٦ / ١١٥، ١١٦).

(٣) لَوَائِحُ الْأَنْوَارِ (٢ / ١١٦).

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنياً التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، تستغفرُك وتَتوبُ إليك.



٨- سائر أشراف الساعة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٥٩) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن سائر أشراف الساعة فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ بَعْدَ مَوْتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - سَوْفَ تَعُودُ الْبَشَرِيَّةُ إِلَى جَاهِلِيَّتِهَا الْأُولَى أَوْ أَشَدَّ.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمُكُّ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ ﷻ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَيْنَ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ، فَيَطْلُبُهُ

(١) رواه مسلم (٢٩٥٠).

فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمُكِّتُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ النَّبِيِّ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَيْدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُتَكَبَّرُونَ مُتَكَبِّرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، يَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَبَنًا وَرَفَعَ لَبَنًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ فَتَبَّتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ».

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «لا تقوم الساعة حتى تضطرب ألياث نساء دؤسٍ على ذي الخلصة»، وذو الخلصة طاغية دؤس التي كانوا يعبدون في الجاهلية. أي: أنهم يرتدّون ويرجعون إلى جاهليّتهم في عبادة الأوثان، فترمل نساء دؤس طائفات حوله، فترتج أزدافهنّ.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَدَ اللات والعزى»، قلت: يا رسول الله إن كنت لأظنّ حين أنزل الله، (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣٣] أَنَّ ذَلِكَ تَامٌ، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَيَوَفِّي كُلَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ».

(١) رواه البخاري (٧١١٦) ومسلم (٢٩٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٧).

فَقَوْلُهُ: «حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ»: وَهُوَ اسْمُ صَنَمٍ لِثَقِيفٍ.

وَقَوْلُهُ: «وَالْعُزَّى» اسْمُ صَنَمٍ لِعَظْمَانٍ وَسَلِيمٍ.

وَهَذَا يَكُونُ عِنْدَ قُرْبِ السَّاعَةِ قَبْلَ مَوْتِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ ضَعْفِ الْإِسْلَامِ أَوْ بَعْدَهُ.

وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى: تُخْرَبُ الْكَعْبَةُ ثُمَّ لَا تُعْمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا، فَفِي

«الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُخْرَبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْفَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدُ أَفْحَجُ يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِيَنَّ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَكِنْ يَسْتَعِجِلُ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلَهُ، فَإِذَا اسْتَحْلَوْهُ فَلَا تُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخْرِبُونَهُ خَرَابًا لَا يُعْمَرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ».

وَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى الْخُسُوفَاتُ الثَّلَاثُ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ:

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٤) مِنْ حُدَيْقَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (١٥٩٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٠٩).

(٢) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (١٥٩٥).

(٣) أَحْمَدُ (٢/ ٢٩١). وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي (٢/ ٢٩٨) فِي الصَّحِيحِ بَعْضُهُ: رَجَالُهُ يُقَاتُونَ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (٥٧٩).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٠١).

وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: مَا تَذَاكُرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالْجِبَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَتُرُوقَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

ومن أشراف الساعة الكبرى طلوع الشمس من مغربها.

قال الله ﷻ: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا أَنَا مُنظِرُونَ) (١٥٨) [الأنعام: ١٥٨].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا الْآيَةُ».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ صُحُفٌ

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، و«مسلم» (١/ ٩٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤١).

فَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا قَرِيبًا.

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «اتَذَرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْقِيعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْقِيعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَكْبِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالَ لَهَا: ارْقِيعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَذَرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟» ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا».

ومسألة سجود الشمس كل ليلة واستئذانها تسجُد تحت العرش كل ليلة وتستأذن ولا يلزم من ذلك أن تفارق فلَكها؛ لأن هذه أمور غيبية، ولو قلنا: إنها تفارق الفلك والآن بعد أن اكتُشِفَتْ جميع أجزاء الأرض وأن الشمس لا تُغَابُ عن الأرض، إذا غَابَتْ عن جزءٍ طَلَعَتْ عَلَى جزءٍ آخَرَ، فأقول: إن هذا من الأمور الغيبية التي لا تُدْرِكُ بِالرَّأْيِ، فإذا صَحَّحْتُ عِنْدَنَا الْأَخْبَارَ عَلَيْنَا التَّسْلِيمَ، يَعْنِي كَمَا نَقُولُ فِي النُّزُولِ الْإِلَهِيِّ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُورِدُ - هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ - اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - يَنْزِلُ آخِرَ كُلِّ لَيْلَةٍ فِي الثُّلُثِ الْآخِرِ بِالْأَدْلَةِ الْقَطْعِيَّةِ وَصَلَتْ إِلَى حَدِّ الْقَطْعِ، وَالثُّلُثُ الْآخِرُ مُتَفَاوِتٌ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَأَيْضًا قَدْ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَعَارِضَةِ، وَجَهَ مَعَارِضَةٍ لِأَحَادِيثِ الْإِسْتِوَاءِ، وَأَدْلَةُ الْعُلُوِّ، وَالَّذِي قَرَّرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ يَنْزِلُ فِي آخِرِ كُلِّ لَيْلَةٍ، وَأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْهُ

(١) رواه مسلم (١٥٩).

الْعَرْشُ، سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، هَذَا شَيْءٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَحِيطَ بِهِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ امْتِحَانِ الْمُكَلَّفِ، وَقَدْ مُدِّمُ الْإِسْلَامِ لَا تَثْبُتُ إِلَّا عَلَى قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ^(١).

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكِبْرِيُّ ظُهُورُ الدَّابَّةِ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢). قَالَ ابْنُ سَعْدٍ ﷻ: وَهَذِهِ الدَّابَّةُ (تُكَلِّمُهُمْ) أَي: تَكَلِّمُ الْعِبَادَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ، أَي: لِأَجْلِ أَنَّ النَّاسَ ضَعُفَ عِلْمُهُمْ وَيَقِينُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، فإِظْهَارُ اللَّهِ هَذِهِ الدَّابَّةَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَجِيبَةِ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ.

وَهَذِهِ الدَّابَّةُ هِيَ الدَّابَّةُ الْمَشْهُورَةُ الَّتِي تَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَتَكُونُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَمَا تَكَاثَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ [وَلَمْ يَأْتِ دَلِيلٌ يَدُلُّ عَلَى كَيْفِيَّتِهَا وَلَا مِنْ أَيِّ نَوْعٍ هِيَ، وَإِنَّمَا دَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّ هَذَا التَّكْلِيمَ مِنْهَا خَارِقٌ لِلْعَوَائِدِ الْمألُوفَةِ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ]^(٢).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٣) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: أَطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذَكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ...».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ

(١) شَرْحُ الْمُوطَّأِ لِلْحُضَيْرِ (٢٣ / ١٢) دُرُوسٌ مُفَرَّغَةٌ.

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ سَعْدٍ (٦١٠).

(٣) تَقْدِيمُ تَخْرِيجُهُ.

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤١).

خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ صُحًى، وَإِثْمًا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبِيهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا.

قال الطحاوي رحمه الله: «أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدتهم مثلهم مألوفة، أما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية»^(١).

ومن علامة الساعة الكبرى خروج نار عظيمة من قعر عدن تخشع الناس إلى محشرهم، ففي «صحيح مسلم»^(٢) عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات: ... وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيُخْشَرُ بَقِيَّتُهُمُ النَّارُ، ثَقِيلٌ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَثَبِيتٌ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُضْبَعُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسَى مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧٥٧، ٧٥٨).

(٢) تقدم تخريجُه.

(٣) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

ثم يرسلُ اللهُ ﷻ رِيحًا لَيِّنَةً فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ففِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْعِثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْبَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ» وَفِي رِوَايَةٍ: «مِثْقَالُ ذَرَّةٍ».

وَبَعْدَ أَنْ يَقْبِضَ اللهُ ﷻ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، ففِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ».

اللَّهُمَّ قِنَا شَرَّ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ... اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ...
اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، اللَّهُمَّ انْفَعْنَا وَانْفَعْ بِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ
آتِ أَنْفُسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ
لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَسِدِّدْنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ
سَخَطِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْنَا، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ نَعْمَلْ.
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١١٧).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٩).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٨).

الفهرس

٥	مقدمة.....
٧	مراتبُ الإسلام.....
٩	المرتبة الأولى: الشهادتانِ
٩	١- شهادةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.....
١٦	٢- شَهَادَةُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
٢٣	نواقضُ الشَّهادَتَيْنِ.....
٣٣	المرتبةُ الثانيةُ: الصلاةُ
٤٠	صِفَةُ الصَّلَاةِ
٤٠	الصلاةُ
٤٨	المرتبةُ الثالثةُ: الزكاةُ
٥٥	أحكامُ الزكاة.....
٦٣	المرتبةُ الرابعةُ: صيامُ رَمَضانَ
٦٣	صيامُ رمضانَ.....
٧٠	كَيْفَ نَسْتَقْبِلُ شَهْرَ رَمَضانَ؟
٧٧	آدابُ الصَّيامِ وَمُسْتَحَبَّاتُهُ.....
٨٨	فضلُ قراءةِ القرآنِ في رمضان
٩٦	آدابُ قراءةِ القرآنِ
١٠٦	قيامُ رَمَضانَ

- ١١٤ الاعتكافُ أحكامٌ وفوائدُ
- ١٢٢ ليلةُ القدرِ فضلُها وقتُها علاماتها
- ١٣٠ ٥- الحجُّ والعُمْرةُ
- ١٤١ مراتبُ الإيمانِ
- ١٤٣ المرتبةُ الأولى: الإيمانُ بالله
- ١٥٢ المرتبةُ الثانيةُ: الإيمانُ بالملائكةِ
- ١٦٠ المرتبةُ الثالثةُ: الإيمانُ بالكتبِ
- ١٧٠ المرتبةُ الرابعةُ: الإيمانُ بالرُّسلِ
- ١٧٩ المرتبةُ الخامسةُ: الإيمانُ باليومِ الآخرِ
- ١٧٩ ١- القبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرةِ
- ١٨٩ ٢- أسبابُ عذابِ القبرِ
- ١٩٨ ٣- التَّنْفُخُ في الصورِ
- ٢٠٥ ٤- الحَشْرُ
- ٢١١ ٥- الشِّفَاعَةُ
- ٢١٨ ٦- الحَوْضُ
- ٢٢٦ ٧- الحسابُ
- ٢٣٤ ٨- الميزانُ
- ٢٤١ ٩- الصراطُ
- ٢٤٨ ١٠- القِصاصُ يومَ القيامةِ
- ٢٥٦ ١١- وَصْفُ الْجَنَّةِ

- ١٢- وَصَفُ النَّارِ..... ٢٦٦
- مَرْتَبَةُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ..... ٢٧٤
- مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ..... ٢٨٣
- عَلَامَاتُ السَّاعَةِ..... ٢٩٣
- ١- عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى..... ٢٩٥
- ٢- عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى الَّتِي ظَهَرَتْ وَمَا زَالَتْ تُتَابِعُ الظُّهُورَ..... ٣٠٣
- ٣- الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٣١٢
- ٤- صِفَاتُ الدَّجَالِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ فِتْنَتِهِ..... ٣٢٠
- ٥- خُرُوجُ الدَّجَالِ وَالْوَقَايَةُ مِنْ فِتْنَتِهِ..... ٣٢٦
- ٦- نَزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ٣٣٤
- ٧- خُرُوجُ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ..... ٣٤١
- ٨- سَائِرُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ..... ٣٤٩
- الْفَهْرَسُ..... ٣٥٧



من أحدث إصدارات دار الإيمان

الْأَبِيَّةُ

السُّنَّةُ الْبَاقِيَّةُ

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن محمد قاتر الحارثي

عفا الله عنه

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القلم
الإسكندرية

صدر حديثاً لأبي عبد الله فيصل عبده قائد الحاشدي

- مواعظ النساء .
- الابتلاء السنة الباقية .
- عقيدة المسلم .
- حسن الجوار خلق الأبرار .
- صناعة الرجال .
- مراعاة المشاعر .
- أسرار التوفيق .
- جرح المشاعر .
- جنة الرضا .
- السكينة الخلق المفقود .
- صناعة الحفظ .
- جفاف المشاعر .
- دليلك إلى الفراسة (الطبعة الثانية منقحة ومزودة) .
- المواعظ الذهبية (زاد للخطباء والوعاظ) .
- الفريد في خطب التوحيد .
- البصيرة في خطب السيرة .
- ذوقيات ، حتى نرتق بأخلاقنا .
- دفع المشاعر في الحياة الزوجية .
- صناعة الكتابة (قواعد وأصول) (يصدر قريباً) .
- أعذب الكلام في صلة الأرحام (يصدر قريباً) .
- سلامة الصدر راحة البال ونعيم الآخرة (يصدر قريباً) .
- الجامع في خطب الكبائر (يصدر قريباً) .
- العسل المصفى في سيرة الرسول عَلَيْهِ السَّلَام (تحت الطبع) .

داركم المتميزة

دار الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع

١٩-١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية
تليفون وفاكس : ٥٤٥٧٧٦٩٦ ، ٥٢٢٢٠٠٢

دار القيمة
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة - مقابل بنك سبأ - شارع رداغ
محافظة ذمار - اليمن جوال : ٧٧٥٢٠٩٩٣٥

alemanbookstore@gmail.com

dar_aleman@hotmail.com

